موسوعة أشراط الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثالث

امارات القيامة العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة

الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقى

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية





موسوعة أشراط الساعة
٤

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثالث

أمـــارات القـيـــامـــة العلمـيـــة
والتكنولوجية فى الكـتـاب والسنة

الأستاذ الدكتــــــور
فاروق أحمد الدسوقى
حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٣٢٩٨ / ٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 19 - 5459 - 8





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الاتمان الدائمان على اشرف الخلق اجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،

فاني أحمد الله تعالى الوهاب المنَّان، إليك أخى القارىء، أنْ وفقني سبحانه لاضع بين يديك الجزء الثالث من كتاب القيامة الصغرى على الابواب، وموضوعه: الكشف عن الامارات العلمية والتقنيّة والصناعية المعاصرة فى الكتاب والسنة.

وستتعجب، اخي القارىء المسلم، أيَّما تَعَجُّب، لأنك كنت تتلو وتسمع الآيات القرآنية المخبرة عن هذه الامارات التقنية والعلامات الحضارية المتمثلة فى أدوات وأجهزة ووسائل ومعدات وانظمة نستخدمها ونزاولها ونمارسها ونتعامل معها صباح مساء، ومع هذا ما كان يخطر ببال واحد منا أن هذا الذى يتلوه أو يسمعه من القرآن الكريم مُتَضَمِّنٌ لهذا كله.

فلستَ أنت وحدَك الذى ستتعجب، فلقد تعجَّبتُ قبلك حين هدانى الله تعالى، وعلمنى وكشف لى هذه المطابقة الدقيقة للدلالات اللغوية المحضة للآيات القرآنية والاحاديث النبوية على هذه المظاهر والاشياء الحضارية المعاصرة، لاننا كنا نحفظها ونتلوها من غير ان ندرك تأويلاتها المتحققة تحت ايدينا وبنا، فسبحانك ربى لاعلم لنا الا ما علمتنا، ولا حول ولا قوة إلاَّبك وحدك.

لقد عشتُ رِدْحاً من عمرى العلمى. قبل ان يلهمنى الله تعالى ويعلمنى ويرزقنى فهم ما فهمته من نصوص الوحى الخاصة باشراط الساعة واحداث آخر الزمان الذى هو عصرنا الراهن، وكنتُ اتساءل فى نفسى: هل ذَكَرَ الوحيُ: قرآنا وسنة هذه المظاهر والاشياء الحضارية؟! وهو سؤال ملح لامهرب منه، لان الاجابة عليه لابد أن تكون بالاثبات وليست بالنفي لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٣٧- ٣٩/ الانعام] فقوله تعالى رداً على الذين يطلبون من النبى ﷺ إنزال آية حسيّة، بانه، سبحانه، ما فرّط فى الكتاب من شيء يدب فى الارض أو من شيء يطير بجناحيه فى السماء، ومن ثم فكل آية من كتابه هى معجزة من المعجزات، إلاّ أنهم صم وبكم وعميٌ فى الظلمات، ضلوا بكفرهم عن هذه المعجزات التى تتلى عليهم، هذا القول الحكيم فيه تصريح بان كل شيء سيدب فى الارض ويطير فى السماء بجناحين مذكور فى الكتاب، لان الله تعالى لم يفرط فيه من شيء، أى لم يترك شيئا لم يذكره وخص بالذكر كل مَادَبَّ وسيدب، وكل ماطار وسيطير بجناحيْن. وقد دبّت وسائل الانتقال الحديثة فى ألارض: القطارات والسيارات والدراجات الآلية والمعدات الثقيلة وكذلك طارت الاجيال المتعددة من الطائرات ذات الجناحيْن ابتداء من المروحيات إلى النفّاثات، أفليس فى كتاب الله تعالى ذكرا لهذا كله.؟! بلى والله الذ ى لا اله الا هو.

الم يقل رسول الله ﷺ عن القرآن الكريم للصحابة رضوان الله عليهم «فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم؟»[1] بلى والله الذى لا إله إلاّ هو، وكذلك ألم يخبرنا رسول الله ﷺ فى خطبة واحدة، استغرقت نهارا كاملا، ما سيكون من بعده إلى نهاية الدنيا؟.

افلا يكون قد أخبر بكل هذه الامور العظام التى تعيشها البشرية فى عصرنا الراهن فى شتّى المجالات؟! بلى والله الذى لا اله الا هو، وعلى هذا فالسؤال الملح الذى لامهرب منه هو: ماهى نصوص الوحى: قرآنا وسنة، تلك التى ورد فيها ذكر كل ما استحدثته الحضارة المعاصرة من مخترعات تخدم جميع نشاطات الانسان، فتغيرت بها اساليب العيش وأنماط الحياة ، فى السلم والحرب، وفى المسكن والملبس

---

(١) جامع الترمذى ك فضائل القرآن/ باب ما جاء فى فضائل القرآن/ ح رقم ٢٩٨٢، كما رواه الدارمى أيضاً.

والمأكل وفى الاقامة والسفر وفى النشاطات الانسانية العلمية والفنية والترويجية. وهى مخترعات كثيرة كثيرة، إبتداء من ماكينة الحياكة التى حلت محل الابرة. وانتهاء بالسيارة والقطار والطائرة التى حلت جميعا محل الخيل والحمير والبغال والابل، وكذلك ابتداء بالصاروخ الذى حل محل السهم، وانتهاء بالسفن العملاقة والغواصات وحاملات الطائرات التى حلت محل السفن الشراعية.

اين هذا كله فى كتاب الله تعالى وفى سنة نبيه ﷺ.؟!

لم استطع الهرب من هذا السؤال الذى ظل يطاردنى ردحًا من الزمن، حتى هدانى الله تعالى بفضله إلى مواضع هذا كله فى كتابه تعالى وفى سنة رسوله المصطفى الخاتم ﷺ. وهو محتوى هذا الجزء الثالث من القيامة الصغرى على الابواب، وسيرى القارئ الكريم أن كل هذه المخترعات والمعدات والاجهزة وردت كامارات وعلامات على القرب الشديد لنزول عذاب القيامة الصغرى، بل ان النصوص تصرح بان هذه المخترعات لا تكون فى الارض إلا يوم الرجفة والزلزلة ويوم نزول العذاب الذى ليس له من دافع. وسيعلم القارىء الكريم أن هذه الحقيقة ثابتة بالدلالة القطعية المحكمة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ولكى يزول تعجبك، أخى القارىء، هذا التعجب الناتج عن عدم ادراك مواضع ذكر القرآن الكريم للتقنيات المعاصرة رغم تلاوتها والاستماع إليها، أقول: إن أهم اسباب حجب اخبار التقنيات التى فى نصوص الوحى هو جهلنا باسرار اللغة العربية العبقرية التى نزل بها الوحى من ناحية، ومن ناحية أخرى لان اكثر هذه المخترعات تحمل اسماء غير عربية لأنها بلغة الذين صنعوها، وهى الانجليزية فى أغلب الاحيان، أو تحمل اسماء عربية مترجمة عن هذه الاسماء الانجليزية، وحيث ان اكثر هذه الاسماء لاتُعبر عن الخاصية الذاتية لحقيقة الشىء المصنوعُ، ومن ثم يكون من الخطأ لغويا اطلاقها على مسمياتها، وحيث أنه من المحال أن يرد فى كتاب الله تعالى أدنى خطأ، ولو فى لفظ أو اسم واحد لشىء واحد، لذا فإن لكل هذه المخترعات المعاصرة اسماء فى القرآن والسنة تُعبر عن حقيقتها الجوهرية، و خاصيتها الذاتية، وتدل على ماهيتها الواقعية دلالة المطابقة الدقيقة التامة بصورة معجزة.

فجاءت هذه الاسـماء، نتيجة هذه الدقة، مـخالفة أو مغايرة للأسمـاء التى يطلقها عليها الناس، وكذلك المسلمون، فإذا ما سمعوا اسماءها الحقيقية فى نصوص الوحى ظنوا أنهـا أسـماء لاشـيـاء اخرى، خـاصـة وأن المفـسرين الاوائل لم يـتصـوروا هذه المختـرعات، ولـم تخطر على بال أحدهم، وفَسّروا هذه الاسـماء تفـسيـرات مناسبة لثقافـتهم وعـصـورهم، حتى يسـتقيم مـعنى الآيات بالتـأويل وليس بمحض المدلول اللغوى، ومن ثم فـإننا ظللنا نتعامـل مع هذه الظواهر الحضارية باسـماء ونتلو الآيات المتضـمِّنة لها، ولكن باسـماء اخرى، هى الاسـماء الصحـيحة الدقـيقـة لها، فنظن أن النص يتحدث عن اشياء اخرى.

ولتـوضيح هذا التـعليل اضـرب لك، اخى القـارىء، مثـلا بآخـر ما توصل إليـه الانسان من وسائل ركوب البحر، واعـنى به ما نطلق نحن عليه خطأ «الغواصة» وهى إحدى المخترعات التى انحصرت استخداماتها فى الأغراض الحربية والعلمية.

فما نطلق عليه فى لغتنا العربية «غـوّاصات»، جاء ذكره صراحة فى الذكر الحكيم باسم «النازعات غرقا» لأنها منازعات الغـرق، الواحدة منازعة الغرق. إذ لو دققنا فى الأمر مليّا لَعَدَلْنَا عن تسميتها بالغواصة إلى تسميتها منازعة الغرق، لماذا؟!

لأن جوهر حقيقة هذه القطعة البحرية من قطع الأسطول البحرى الحربى ليس فى كونهـا تغوص فى الأعمـاق حتى القاع، لأنه مـا من شىء كثافـته أعلى من كثـافة الماء كالمعادن إلاّ ويغوص بمجرد إلقائه فى الماء، ماعـدا السابحات سبحاً أو الجاريات يسرا أو الجوارى فى البحر كـالاعلام، لأن جوهر حقيقتهن أنـهن تقاومن الغرق بالطفو مع الحركـة أى السبـاحة أو بالطفـو مع السكون، فيظـللن رواكد على ظهـر البحـر، لهذا سميت سـابحات، لأنها تظل مرتفـعة على سطح الماء فلا تغـوص، أى لاتغرق، فهى تقـاوم الغـرق أى الغـوص فى الأعـمـاق، من حـيـث أن كل غـريق لايكون غـريقـا إلابالغوص في العمق، والسفينة الغارقة غائصة فى العمق، ومن يشاهدها وهى تغرق بسرعة يصح منه الإشارة إليـها مع قوله: هذه السفينة غواصـة أى تغوص بشدة تماما كما يصح منه القول أن هذه السفـينة تغرق، فهل يصح بهذا المعنى أن نطلق على هذه القطعة البحرية«غواصة»؟

إن كونهـا تغوص إلى الـقاع ليس هو الخـاصية الجـوهرية الذاتيـة المعبـرة عن ما هيتـها، لأن أكثر مـايلقى في البحر يـغرق ويغوص، إنما الخاصـيـة الذاتية المعبرة عن ماهيـتهـا، وتميزها عن سـائر قطع الإسطول، أو عن كل مـايركبـه الإنسان في البـحر، هوأنها تنازع الغرق، ولانقـول: أنها تقاوم الغرق لأن السابحـات الطافيات هن اللائي يقاومن الغرق، وهذا هو معنى الطفو في اللغة، أما تلك التي تكون أهـم ماتتميز به عن غيـرها من أخواتها المُقْلعـات في البحر، هو مـنازعة الغرق، فـهي النازعة غرقـا لأنها تنازع الغرق، أي بعد أن تـغرق وتستقر في القـاع، يمكنها أن تنزع نفسهـا صاعدة إلى سطح الماء، لتطـفو وتسبـح فـوقـه مـرة أخـرى، كـمـا كـانت علي سطحـه من قـبل، فالغائصات هن الغارقات اللاتي لايمكنهن الطفو والسـباحة بعد الغرق، أما النازعات غَرْقاً فهن اللاتي يصعدن للطفو والسباحة بعد الغرق.

واللغويون يـضربون مثـالا لمعنى النزع في لغة العـرب بنزع الماء من قاع البـئر إلى أعلى بالدلو، فـالنزع هو أخذ الشيء من أسـفل إلى أعلى بالقوة، ومن ثم فـالنازعات غرقا هُنَّ اللاتي يمكنهن أن ينزعن أنفـسهن بقوة إرتفاعا وصعـوداً من القاع، أي حالة كونهن غرقى، إلي سطح الماء للطفو والسباحة، لأن لفظ «غرقا» في الآية يفيد حال هذه القطعة أثناء نزعها نفسها من أسفل إلى أعلى إذ تكون غارقة.

أرأيت أخي القاريء، كم هي دقة التعبير القـرآني، وبيانه المعجز؟! ولوجاء القسم بقوله تعـالى ﴿والغواصـات غوصاً﴾ لما جـاز لنا أن نفسـره بهذه القطعـة الأسطولية البحرية المعاصرة التي نطلق عليها (الغواصة)، لماذا؟

لأن اللفظ سيصدق على كل مايغـوص غارقا، من ثم لايكون لمن يفسر هذا النص بالغواصة حجة في قَصْرها على هذه القطعة التي نسميها «غواصة» لأن العبرة بمفهوم اللفظ ومـا صدقـات المعنى الذي يحـمله، أمـا قَسَمُهُ تعالى بقـوله ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ فلايصدق إلا على مانـسميه الغوَّاصات، هذا بمقتـضى محض الدلالة اللغوية، وهي دلالة قطعيه محكمة لا سبيل أمام أحد لرفضها.

أرأيت أخى القارىء كم هوعظيم كتاب ربنافلا تنفذ عجائبه ولاتنتهى معجزاته ولا يخلق على كثرة الرد، كما وصفه الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ بأبى هو وأمي، حتى لكأن هذا الكتاب العظيم قد نزل اليوم أوبالأمس القريب.

فلاتتوقع أخى القارىء أن تجد ذكرا للطائرة والصاروخ والقمر الصناعى والسيارة والقطار والكمبيوتر والبترول والكهرباء والتليفزيون والإذاعة واستنساخ الكائن الحى وغير ذلك بأسمائها التى نتعامل بها فى عصرنا هذا، فهى جميعا وكل ما إستحدثته هذه الحضارة مذكور صراحة فى الكتاب والسنة ولكن بأسمائها الصحيحة وعلى هذا فستقرأ أخى القارىء الكريم تفسيرا لكثير من آيات الذكر الحكيم وشروحا لكثير من الأحاديث ليست موجودة فى المصادر القديمة أو الحديثه ولا حتى فى المعاصرة منها.

ولا شك أن منهج المطابقة الذى سلكناه فى هذه الموسوعة سيثير إعتراض البعض بحجة مخالفة القديم، وغالبا ما يكون أولئك من(*) الذين ينسبون أنفسهم للسلف زورا وبهتانا، إذ لا يأخذون من السلف رضى الله عنهم إلا الصورة والشكل والرسم والظاهر غير مدركين أن الإسلام صورة وروح وشكل ومضمون ورسم وحقيقة وظاهر وباطن، وصدق قول رسول الله ﷺ فيهم إذ يقول «يوشك أن يأتى على الناس زمان لايبقى من الإسلام إلا اسمه ولايبقى من القرآن إلا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود»(١) ورواه الحاكم بلفظ «سيأتى على الناس زمان لايبقى من القرآن إلارسمه ولامن الإسلام إلا أسمه يتسمّوْن به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود (٢) وفيهم وفى أمثالهم يصدق أيضاً قوله ﷺ (سيخرج

(*) (منْ) هنا للتبعيض والذى أقصده أن منهم أصحاب هوى، وليس كلهم، والله أعلم بما فى القلوب، وصدقت وصية رسول الله ﷺ بقتالهم فى آخر الزمان بعد ظهور حركة الطالبان التى خرجت على اجماع المجاهدين ومعلوم أنها مدعمة أمريكيا، والا فهل يتصور ترك أمريكالهم لو كانوا مجاهدين مخلصين فى سبيل الله، وهم يسيئون تطبيق الشرع صدا عن سبيل الله وصرفا للأفغان عن دينهم.

(١) رواه البيهقي في شعب الايمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه الحاكم في تاريخ نيسابور عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

فى آخر الزمان قومٌ: أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يقرأون القرن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم عندالله يوم القيامة) (١) فقوله ﷺ أحداث الإسنان أى من الشبان ومع هذا فهم يتطاولون على الشيوخ(٢) وسفهاء الإحلام أى هممهم سفاسف الأموروهى ظواهرها وأشكالها وفروعها. وقراءتهم للقرآن بالحناجر دون القلوب، يعنى أنهم لا يستوعبون منه إلا رسمه ونغمات نطقه لايتجاوزونه إلي حكمته وهديه للقلوب، ومن ثم لايرقى فهمهم للقرآن إلي إدراك معالى الغايات، فهؤلاء وأمثالهم هم خوارج آخر الزمان يجهلون أو يتجاهلون أن كتاب الله تعالى معطاءٌ فى كل العصور ولكل الأجيال.

ومما يجهله هؤلاء وغيرهم الذين يظنون أنهم الموحدون دون غيرهم وأنهم الأعلم بكلام خير البرية دون من سواهم، أن كثيرا من آيات الله تعالي ظل باب الاجتهاد مفتوحا فيه حتى الآن، وسيظل إلى أن يرفع الله تَعالَى القرآن من المصاحف، لأنه نزل لكل زمان حتى زمان رفعه، وليس للقرون الأولى فقط، وإلا فما معنى وصف النبى ﷺ له: «لاتنقضى عجائبه» وهل يتحقق هذا إلاّ بفهم جديد يرزقه الله تعالى لمن يشاء من عباده لآيات كتابه ولسنة نَبيِّه، ﷺ؟! وأليس هذا هو معنى قول النبى ﷺ «نَضَّرَ الله أمرءا سمع مناشيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلَّغ أوعى من سامع؟»(٣) أليس هذا السامع منه ﷺ هو الصحابى، وأليس المُبَلَّغ من الصحابى هو التابعى، وهذا معناه أن التابعى التلميذ ربما يكون أوعى وأفقه من الصحابى الأستاذ،ويصدق هذا على أجيال التلاميذ المتتابعة حتى آخر الزمان فيرزق الله تعالى لأهل آخر الزمان مفاهيم لآيات لم يدركها السلف وبخاصة فيما يخص أحداث القيامة وأشراط الساعة وعلاماتها.

كما يثبت أيضاويؤكد هذا الذى نقول، الأدلة التالية:

---

(١) رواه الشيخان والإمام أحمد وأبو داوود الطيالسي وأبو داوود السجستاني والنسائى.

(٢) أول ظهورهم كانوا يتطاولون على أئمة الامة الكبار ابى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رحمهم الله وقالوا هم رجال ونحن رجال، فما بالك بالمعاصرين لهم؟!

(٣) رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن جمع الفوائد للمغربى جـ١، ص٤١.

(١) أن رسول الله ﷺ قد امسك عن تفسير بعض الآيات، وقال عن بعض آيات تخبر عن أحداث مستقبلية «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» أى سيكون أهل هذا الزمان الذين سيأتى فيه تأويلها أعلم بها، إذ يعاينون هذا التأويل ويدركونه واقعاً مُعَايَشاً «عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عَنْهُ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: أما إنها كائنه ولم يأت تأويلها بعد[١] وصدق رسول الله ﷺ إذ وقع تأويلها فى عصرنا فالعذاب من فوق الرؤوس بالقنابل والصواريخ، ومن تحت الأرجل بالالغام، وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: لم يجيء تأويل هذه بعد، ثم قال عبدالله: إن الله أنزل القرآن حيث أنزله: فمنه آيٌ قد مضى تأيلهن قبل أن ينزل، ومنه آيٌ وقع تأويلهن على عهد النبى ﷺ، ومنه آى وقع تأويلهن بعد النبى بقليل، ومنه آيٌ يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آيٌ يقع تأويلهن بعد الحساب، وذلك ماذكر من الحساب والجنة والنار)[٢] ومن الواضح أن معنى قوله سيقع تأويلهن بعداليوم، أى يتحقق الخبر الذى تخبر به هذه الآيات، وعلى هذا يكون أهل الزمن الذى يقع فيه التأويل أقدر على فهمْ هذه الآيات وتفسيرها ممن قبلهم الذين لم يشاهدوا وقوعه، وهذا يعنى أننا أهل آخر الزمان مكلفون بالبحث عماوقع تأويله فى زماننا وتسجيل تفسيره بمقتضى هذا التأويل المتحقق، وإلاَّ نكون قَدْ قَصَّرنَا فى حق ديننا وكتابنا، وهذا فرْض كفاية على العلماء، يجب أن يقوم بعضهم به.

(٢) أمَر أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه بجلد عبد الله بن صبيغ التميمى مائة جلدة بسبب تَساؤلات طرحها عن معنى قوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وقوله ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ وأمثالهما. ثم أمر بحبسه ومنع الناس من مخالطته،ولهذه الحادثة مغزى وحكمة، تكمن فى أنه عاقبه ليس علي تأويله لهذه الآيات، وإنما على مجرد تَساؤله عن تأويلها،والحكمة العمرية معلومة، وهى أنه، رضى الله عنه، كان

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم ٤٣.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم ٣٨.

يقمع فتنة يمكن أن يتَسَبَّبْ فيها التميمي بإثارة هذه الأسئلة، لأن هذه الآيات مماسيأتي تأويلها بعد في آخر الزمان، ومن ثم لن يدرك أهل زمان عمررضي الله عنه تأويلها، وإثارة الأسئلة حولها سيؤدي إلى بلبة وفتنة وفرقة وإختلاف بلا طائل وسيظل تَفْسيرها الصحيح الدقيق محجوباً عن كل المسلمين في كل العصور، حتى يأتي العصر الذي يقع فيه تأويلها، فيفسرها أهله على الوجه الصحيح الدقيق، لأنهم سَيَرَوْن الأحداث أو الأشياء المخبرة عنها رأى عَيْن، ومن ثم يكون أهل آخر الزمان أو زمان وقوع تأويل مثل هذه الآيات، أقدر على فهمها وتأويلها ممَّن سبقوهم بما في ذلك السلف، مع أنهم رضي الله عنهم أعلم بكتاب الله وسنةرسوله ﷺ، وبلغة القرآن الكريم من غيرهم من أجيال المسلمين ، ما عدا آيات ونصوص أشراط الساعة وأحداث القيامة.

(٣) ومن قواعد البحث بمنهج المطابقة، القاعدة التي تمنع من الخرُوج على إجماع الأمة في تفسير كتاب الله عزو جل، وهي أن الآيات التي إختلف الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيرها، وهذه لابد أن تكون مما سكت عنه رسول الله ﷺ ومن ثم حَقَّ للتابعين من بعدهم أن يجتهدوا فيها، ثم إن الآيات التي إجتهد فيها التابعون رضي الله عنهم واختلفوا فيها دون حسم لهذا الخلاف قد حق لتابعي التابعين أيضاً أن يجتهدوا فيها، فإذا ما اختلفوا يحق لمن بعدهم من المفسِّرين أن يجتهدوا، وما ظل المفسِّرون مختلفين في تفسيره على مدى العصور الإسلامية حتى عصرنا الراهن فباب الإجتهاد فيه مفتوح حتى يجمع العلماء والمفسّرون علي تأويل لايختلفون عليه، ولن يكون إجماعهم إلا علي الآى التي وقع تأويلهن.

(٤) أكثر آيات الذكر الحكيم المخبرة عن إشراط الساعة وأحداث القيامات الثلاث مختلف فيها، ولم يصل العلماء خلال عصور الإسلام كلها إلى ما اتفقوا عليه، بل تبدو هذه التأويلات مضطربة غير مطابقة لدلالات اللغة ولا لمقتضيات السياق القرآني الذي وردت فيه، ومن ثم ظل باب الاجتهاد في فهمها مفتوحا حتى

عـصـرنا الراهن ، مع العلم أنه ليس من هذه الآيـات مايخص الـتوحـيـد أو الأحكام الفقهية والشرعيـة أو أخبار الأمم السابقة إذ هى من القسم الذى لم يقع تأويله إلا فى عصرنا، أو لم يقع تأويله بعد.

(٥) يبقى بعد هذا كله اعتراض تقليدى يلوذ به العلـماء الذين يرفضون الإجتهاد فى الفهم إيثـاراً للسلامة وتجنبـا لتحمل مـسئوليـة الخطأ، ويتمثل هذا الإعـتراض فى عبارة منسوبة لصديق الأمة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه وهو قوله « أى أرض تقلنى وأى سـمـاء تظلنى ، لـو قلتُ فى كـتـاب الله تَعالـى برأيى؟ » والمعنى بالعـامـية المصـرية«أروح من ربنـا فين لو فسَّرت كـلام الله على مـزاجى، أى حـسـب هواى.؟!»

فما هو العاصم من إقحام الهوى فى تفسير كتاب الله عزو جل ؟!

هو فى عبارة واحدة: أن يكون التفسيـر للنص القرآنى من خلال السياق الوارد فيه وبمحض المدلول اللغـوى للكلمات والعـبارات لقولـه تعالى﴿ إِنَّا أَنـزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٢]

فإذا توصلنا إلى تأويل للنص متوافق مع سياقه ومطابق مطابقة تامة ودقيقة حسب مدلوله اللغوى المحض لمظهر أو لحدث أولشىء من المستحدثات المعاصرة ، يمكننا أن نقـرر مطمئـين أننا بازاء تأويل للنص خـالى من الهوى والـرأى الشخـصى، إذ تكون المطابقة مع الواقع دليلا إضافيا مع الأصل اللغوى على صحته. ويكون هذا الحديث أو الواقع المطابق لهذا النص هو تأويله قدو قع.

هذا هو النهج الذى إتَّبعتُه بحـمد الله وتوفيقه فى هذه الموسـوعة . والذى أسأل الله تعالى أن يوفـقنى به إلى الحق والصواب ويجنبى الخطأ والزلل فى فهْم كـتابه الكريم وسنة نبيِّه ﷺ.

فإنْ رفض هذا النهج رافـضون بعد ذلك، فهذا شـأنهم، وَلايُثنينى شىء بعد هذا عن الإستمرار فيما تَفضَّل الله تعالى وتكرم به علىّ، وهو فضل عظيم أحمده وأشكره

عليه، كما ينبغى لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكريم منه، وجليل نعمائه، طالبا المزيد منه، سبحانه، لاعلم لى إلاَّ ماعلمنى، ولاحول ولاقوة إلاَّ به، له الخلق وحده، وله الأمر وحده، وله الحكم وحده، هو الذى ألهم الحق وهدى إلى الصواب، وهو الذى أنجز وأتم، قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فله الحمد وحده.

فما كان فيما كتبتُه صوابا وحقا وهدى، فهو منه سبحانه وحده، وما كان فيه من خطأ أوزلل أونسيان أو ضلال، فهو منى، وأسأله واسع غفرانه، وأن يثقل به ميزاني وميزان من يعيننى على نشره يوم لقائه، والصلاة والسلام الأتمان الدائمان على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. فاروق الدسوقى

الإسكندرية فى ٦ من جمادى الأولى ١٤١٩هـ
٢٦ من أغسطس ١٩٩٨ م.



الباب الأول
الاستخلاف الابتلائي
وصلته بنهاية الحياة الدنيا



الفصل الأول

(١) استخلاف الإنسان في الأرض حقيقته ودلالته الوجودية و صلته بحقيقة الابتلاء[١]

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ **[البقرة/ ٢٩ - ٣٩].**

تتضمن هذه الآيات الكريمات عدة حقائق إيمانية إنسانية، أي تخص تفسير الإنسان من الناحية الوجودية ومن الناحية المعرفية.

أما الوجودية فتتمثل في اعتبار استخلاف الإنسان في الأرض هو الغاية الوجودية العليا لبني آدم في الحياة الدنيا.

---

(١) لمن يريد أن يتوسع في العلم بهذه الحقيقة التوحيدية الهامة فيمكنه الرجوع إلى كتابي (الخلافة الإسلامية حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها).

إن إخبار الله عز وجل الملائكة بأنه سيجعل فى الأرض خليفة أثار دهشتهم وتعجبهم من أن يكون الذى اصطفاه الله تعالى من بين أنواع المخلوقات لاستخلافه فى الأرض هو الإنسان ، لما سبق إليهم من علمٍ عن فساد الإنسان فى الأرض، وعن كثرة سفكه للدماء، فى حين أن الملائكة لايعصون الله عز وجل ولا يفسدون، كما أنهم يسبحون بحمده ويقدسون له.

فأبطل الله عز وجل تعجبهم وأزال دهشتَهم بأنّ طلب منهم الإدلاء بأسماء الأشياء والأحياء المعروضة عليهم فعجزوا واعتذروا قائلين (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) فلما أمر الله تعالى آدم أن ينبئهم بأسمائهم وفعل آدم هذا بنجاح، قال الله تعالى لهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ؟ ا﴾ والذى أبْدَوْه بسؤالهم (أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ هو الدهشة والتعجب، أما الذى أخفوْه وكتموه حياءً من الله تعالى، وخشية منه فهو الغيرة من آدم وبنيه الذين اصطفاهم الخالق عز وجل للخلافة، وما حدثتهم به أنفسهم من أنهم كانوا يظنون أنهم سينالونها أو أنهم أجدر بها من آدم وذريته، فهى غيرة من غير حقد أو حسد، فلما أمرهم بعد ذلك بالسجود لآدم إقراراً منهم باستخلافه فى الأرض، واعترافا بتكريمه بهذه المكانة الوجودية المرموقة التى تاقت أنفسهم إليها، سجدوا فكان هذا السجود منهم إقراراً واعترافا بذلك.

وإعلانا فى الكون كله بأنهم صاروا أولياء لآدم وذريته منذ هذه اللحظة أى عوناً له ولذريته على تحقيق هذه الغاية الوجودية العليا، فى حين أن رفض إبليس الذى أصله من الجن، وكان معهم وقت تلقى الأمر بالسجود، كان هذا الرفض منه إعلاناً بتحوله إلى عَدُوٍّ له ولذريته منذ هذه اللَّحظة، ومن ثم جَنَّدَ نفسه وأتباعه لمناهضة الإنسان حتى لا يحقق غايته العليا من وجوده فى الأرض، وهى تحقيق خلافته لله عز وجل فى الحياة الدنيا برجاء الفوز بالحياة الأبدية الخالدة فى الجنة.

ولما كان أن أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة تَفَضُّلاً منه وكرما ومنّا عليه وعلى زوجه، وجعل شرط بقائهما فى الجنة الابتعاد عن معصية الله عز وجل، وحيث لا معصية ولا طاعة إلاّ بعد تكليف وتخيير واختبار، فقد كلّف الله عزّ وجل أبانا وأمنا بالابتعاد عن شجرة واحدة من أشجار الجنة، وأذن لهما فى أن يأكلا رغدا حيث شاءا من جميع الأشجار، ما عدا هذه الشجرة، ومع أنها شجرة واحدة وليست نصف أشجار الجنة مثلا، أو أكثر أو أقل، بل كانت واحدة، ومع هذا التكليف الخفيف الهيِّن فقد استطاع إبليس أن يزلهما عنها، وأخرجهما من النَّعيم الذى كانا فيه، ثم لما نزلوا جميعا الأرض، نزل آدم وزَوْجُه مغفوراً لهمازلتهما وتاب الله تعالى عليهما، وحذرهما من عدوهما اللدود إبليس، لأن الخسران فى الابتلاء على أرض الابتلاء فى الحياة الدنيا ستكون عاقبتُه ليس فُقدان الجنة فحسب، بل ودخول الجحيم أيضا.

وبتفضُّل من الله تعالى وبمنه ورحمته أخبر البشرية الساكنة فى الأرض بأنه سيُرْسِلُ لهم طيلة الحياة الدنيا رسلا بالهدى فمن اتَّبعهم والتزم هدى الخالق عز وجل فسيعود إلى الجنة موطنه الأصلى مع آدم عليه السلام ومع أنبياء الله ورسله. ومن كفر بالهدى الإلهى وبالرسل، وبالكتب وعبد الشيطان بطاعته إياهُ وتحول عن عبادة خالقه الواحد الأحد، فإن مصيره النار، أى أن بنى آدم سينقسمون إلى فريقين عباد الرحمن وأوليائه وخلفائه فى الأرض. وعباد الشيطان وخلفائه وأوليائه فى الأرض.

فالإنسان إذاً إما أن يصبح ـ بعد الابتلاء ـ عبداً لله وحده فائزاً بالجنة إذا جعل نفسه خليفة لله عز وجل وحده.

وإما أن يصبح عبداً للشيطان إذا أطاعه وعبده، ومن ثم يصبح خليفة للشيطان. لهذا السبب جاءت كلمة خليفة فى الآية مطلقة غير مقيدة ولا مُتَعيِّنَة باثبات المخلوف الذى سيخلفه الإنسان، فلم يقل تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفة لى) ولم يقل عزوجل (إنى جاعل فى الأرض خليفة لغيرى) وإنما قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وهذا معناه أن الطبيعة الاستخلافية التى يخلق الله تعالى الناس عليها هى

طبيعة استخلافية «لامُتَعيِّنَة» أو «لا مُتَوَجِّهة» حتى يتحقق الابتلاء بِتْخيير ابن آدم بين أن يجعل من نفسه خليفة لله عز وجل أو يجعلها من خلفاء الشيطان والعياذ بالله.

أمَّا حقيقة الخلافة المكلَّفُ الإنسان بتحقيقها فهى خلافة الله تعالى فى الأرض، وحيث إن الخلافة بالمعنى المطلق غير المحدد أو المعيَّن هى عبودية الذات الإنسانية لغيرها، أى لغير هذه الذات، وليس من عبوديةٍ لذاتٍ من الذوات إلاَّ لغيرها. هذا هو الوجه الأول للخلافة.

والوجه الثانى هو السيادة فى الأرض.

وعبودية الذات الإنسانية لغيرها بالضرورة يستلزم أن يكون للإنسان معبود يعبده بالضرورة، فهو إما أن يكون عابداً لله وحده وإما أن يكون عابدا لغير الله عز وجل.

فإذا حقق الناس عبوديتهم لله وحده وسيادتهم على كل مخلوقات الأرض، من غير البشر طبعا، فإنهم يكونوا قد حققوا وجهَىْ الخلافة وهؤلاء هم خلفاء الرحمن. وإذا حدث العكس وسقط الناس فى مجتمع ما أو فى عصر ما فى عبوديتهم لغْير الله عز وجل فإنهم يكونوا قد عبدوا الشيْطان على الحقيقة، إمَّا الشمس المعبودة أوالبقر أو الصنم أو الطاغوت الحاكم، أو أو...، فكل هذه مجرد أقنعة يختفى خلفها إبليس لعنه الله قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (/ ٦٠/ يس).

فالكافر أو المشرك عابد للشيطان ومن ثم يكون بهذه العبادة قد حقق نصف خلافته للشيطان.

والمؤمن أو الموحد عابد لله وحده ومن ثم يكون قَدْ حقق نصف خلافته لله عز وجل.

والسؤال الآن: وماذا عن النِّصف الثانى أو الوجه الآخر من حقيقة الاستخلاف وهو السيادة؟!

كيف يحققه الإنسان وما هو منهج تحقيق العبودية أولا، ثم ما هو منهج تحقيق السيادة ثانيا؟

أما بالنِّسْبة لمنهج تحقيق العبودية فهو الهدى المذكور فى قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨/ البقرة) والهدى السَّماوى الربانى هو الرسالة المنزلة من عند الله على رسله الذين خاتَمهم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليهم جميعا وسلم.

او هو الدين الذى هو عند الله تعالى الإسلام والذى لا يرضى الله تعالى من العباد أن يعبدوه تعالى ويخضعوا له إلاَّ به وبمقتضاه.

هذا هو منهج تحقيق العبودية لله وحده.

أمَّا الوجه الآخر للاستخلاف فهو تحقيق سيادة الإنسان فى الأرض على نباتها وأحيائها وأنعامها ومعادنها وبحارها وأعماقها وأنهارها وتربتها وصخُورها وجبالها ورمالها، وفضائها وسمائها وتسخير كل ما فيها لحياته، بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾(البقرة) فكل ما فى الأرض خلقه تعالى لنا أى لبنى آدم. ثم قال تعالى بعد هذه الآية مباشرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣٠/ البقرة) ذلك لأن الله تعالى وهو يخلق الأرض كان يُهيِّؤُها لحياة الإنسان أى بكيفيات ملبية لإحتياجاته وبسنن مُسْتَجيبة لتسخيره لها وسيطرته وهيمَنته عليها، وهذا هو معنى السيادة. فالسيادة على الأرض تتم باستطاعة منحها الله تعالى لمن استخلفه فيها، لكى يتمكن بها من الهَيْمنة والتَّسْخير والاستخدام لكل ما فى الأرض لنفسه.

فإذا تساءلنا : ومَا الحكمة؟ جاءت الإجابة: هى الإبتلاء بمعنى الإمتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٧/ الكهف) وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٤٨/ المائدة). وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (١ - ٢/ الملك) وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ

خَلائفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٥/ الأنعام) وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣ - ١٤/ يونس) فقوله تعالى في آيتي يونس : ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي نختبركم بهذا الاستخلاف بعد الذين ظلموا، وهم الذين سبق أن ابتلاهم الله عز وجل أيضا وخَسِروا وظلموا أنفسهم، فاستخلاف الأجيال هو للابتلاء.

وفي آية الأنعام بيان للحكمة من جعل الناس خَلائف الأرض مع جعلهم بعضهم فوق بعض درجات أي سنن الله تعالى الضرورية للإجتماع البشري، إنما هذا وذاك للإبتلاء أيضا.

وفي آية الملك بيان للحكمة الإلهية العليا من خلق الإنسان في الدنيا خاضعاً لسنة الموت والحياة أجيالاً، وهي أيضا الإبتلاء.

وفي آية المائدة بيان ربَّاني للحكمة التي من أجلها شاء الله تعالى أن يخلق الناس قابلين للاختلاف إلى أصحاب ملل وعقائد وأديان مختلفة الأمر الذي صاروا به أمما مختلفة وهذه الحكمة هي الابتلاء والاختبار أيضا.

وفي آية الكهف بيان للحكمة التي من أجلها جعل الله تعالى ما في الأرض وما عليها زينة أي أسبابا للمتاع والنعيم واللذة والسرور والفرَح ترغيبا فيها وهي الإبتلاء أيضا.

وعلى هذا فالعلاقة بين الابتلاء وبين الاستخلاف وثيقة لإرتباط الإثنيْن بالتفسير الوجودي الإسلامي للإنسان، لأن الإستخلاف هو غاية الإنسان العليا من وجوده والإبتلاء هو الحكمة الإلهية الربانية التي من أجلها جعل الله تعالى الإنسان خليفة في الأرض.

أى أنه استخلفه فى الأرض وأعطاه كل ما فيها وما عليها وما فى باطنها وما فى سمائها لينظر ماذا يفعل، وكيف يتصرَّف فيما سخره الله تعالى فيه، وهل يستخدمه فى طاعة الله تعالى لتحقيق عبوديته لله تعالى أم يَسْتَخْدِمَهُ ويُسَخِّرَه فى معصية الله عز وجل لتحقيق عبوديته وطاعته للشيطان. وهذا هو جوهر الابتلاء بالخلافة أو حقيقة الاستخلاف لتحقيق الابتلاء.



الفصل الثانى

(٢) علم الأسماء هو الأساس فى توسيع دائرة الاستطاعة البشرية وتقويتها.

فالسيادة تتمثل فى عمارة الأرض وإثارتها واستخراج ما فيها واستغلاله واستغلال ما فيها وما عليها من نَبات وحيوان وعناصر.

ومن ثم فهى تقرب من مفهوم الحضارة، وكلما كان الجيل أو الأمة أكثر إثارة للأرض وتعميراً لها كلما كانا أكثر تحضرا من غيرهما من الأجيال والأمم.

فالخلافة لله عز وجل عبودية لله تعالى وسيادة فى الأرض.

وهذا يؤدى بنا إلى سؤال هام وهو:

ما هو المنهج الذى يتحقق به خلافة الإنسان فى الأرض؟

الإجابة: هما منهجان متكاملان وليسا مختلفين أو متعارضان وإن كانا متباينين: هما الدين والعلم أى أنّ الدين - وهو عند الله الإسلام - هو منهج تحقيق عبادة الله وحده، بإعتبار أن العبودية لله تعالى وحده هى الوجه الأول للخلافة الإسلامية والعبودية للشيطان هى الوجه الأول للخلافة الطاغوتية.

أما الوجه الثانى للخلافة فهو السيادة وتتحقق بالمنهج الذى يقابل الدين وهو العلم وسيادة الإنسان هى سيادته على كل ما فى الأرض.

ونعنى بهذا العلم العلم التجريبى وأساسه العلم بالأسماء كلها هذا الذى أعطاه الله تعالى آدم وَخصّه به دون الملائكة ودون الجن وثبت به أهلية آدم وذريته للخلافة.

وعلم الأسماء هو أصل ومصدر العلوم الكونية (فلك وفيزياء وكيمياء وعلوم طبية ونبات وحيوان وأحياء وعلم طبقات الأرض وعلوم البحار والأنهار والجغرافيا وعلوم كل شىء يمكن أن يخضعه الإنسان للتجربة سواء فى الحمل أو فى كينونته النظرية الطبيعية).

وذلك لأنه لايمكن للإنسان أن يتمكن من استخدام أى شىء من المخلوقات فى الأرض وتسخيره لمنفعته أو يتجنب ضرر أى شىء إلاّ إذا علم خصائص هذا الشىء ومكونات هذا الشىء ومنافعه ومضاره والسنن الحاكمة له فى وجوده وتغيره، فإذا علم عنه هذا كله تمكن من تسخيره وإستخدامه، فكلما علم عن كائن حى أو جماد سنن وجوده وقوانين تغيره كلما استطاع تسخيره واستخدامه والاستفادة بما فيه من فوائد والإبتعاد عما فيه من ضرر، فاذا اكثر وازداد عدد الأشياء التى علم عنها الإنسان هذا كله إتسعت دائرة التسخير للأشياء، فإذا ما تخطى علم الإنسان بالأشياء والأحياء إلى القوانين والسنن الحاكمة لتغيراتها فإن هذا معناه أن استطاعة الإنسان تتسع وتقوى وتشتد ومن تم يمكنه أن ينجز من عمارة الأرض وإثارتها فى جيل واحد ما كان ينجزه أهل الأجيال السابقة التى لم تكن متقدمة فى العلوم الكونية وتطبيقاتها فى خمسة أجيال وربما فى عشرة أجيال.

إن الاستطاعة البشرية هى القوة الفاعلة عند بنى آدم، وهذه القوة تتمثل اوضح وأجلى ما تتمثل فى الأخذ بالأسباب المفضية إلى النتائج المرجوة لحياة الإنسان وأهم الأسباب وأولها التى يتمكن بها الإنسان من تسخير الأشياء والأحياء هو كما قلنا العلم بخصائص الشىء وقوانينه الحاكمة له فى ذاته وفى تفاعلاته مع غيره من الأشياء والأحياء.

ولكن العلم وحده لا يكفى لأن العلم الذى يظل فى رؤوس الناس أو فى عقولهم أو فى الكتب على أرفف المكتبات لايجدى ويظل كما هو لا ينفع إذ هو مقوم أول من مقومات الفاعلية الإنسانية أما الثانى فهو الاستطاعة، والاستطاعة هى قوة السمع عند الإنسان وهى قوة البصر وهى القوة الذاكرة والحاسبة وهى قوة اليدين أى التحكم فى الأشياء والرجلين أى حركة النقلة والانتقال وسائر القوى البشرية تلك هى الاستطاعة التى أساسها الصحة ومقوماتها الثلاثة الرئيسية التى صار بها الإنسان إنسانا: السمع والبصروالفؤاد، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (/ ٣٦/ الإسراء) وقال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ

جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيـــــهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾(/ ٩/ السجدة).

فأهم مقومات الاستطاعة الإنسانية هى هذه الثلاثة السمع والأبصار والأفئدة، ومعنى هذا أن توسيع دائرة الاستطالة البشرية يعنى توسيع دائرة كل واحد من هذه الثلاثة بالإضافة إلى القدرات والملكات والقوى الأخرى وأهمها بعد هذه الثلاثة فاعلية اليدين والرجلين، فإذا توسعت الدائرة فى جميع قوى الاستطاعة توسعت السيادة الإنسانية.

وهذا هو ما حدث باختراع الأجهزة السمعية والبصرية وأجهزة الحاسبات الالكترونية التى تقوم بوظائف الأفئدة وكذلك جميع معدات البناء والهدم والتشييد ورصف الطرق والزراعة وآلات المصانع كلها وسعت دائرة استطاعة اليدين ثم جاءت وسائل الانتقال لتوسيع دائرة حركة الانتقال أى استطاعة الرجلين.

فليست هناك قوة عند الإنسان إلا وقد توسع مجالها حتى شمل كل حدود الكرة الأرضة وربما السماء أيضا سمعا وبصرا وإنتقالاً وزراعة وصناعة بمساحات وكميات هائلة فى الكم والسرعة كل هذا بسبب الأجهزة والمعدات والوسائل، وكلها قد توصل الإنسان إلى صنعه وإقامته بعد العلم بخصائص الأشياء والأحياء وقوانين الطبيعة وعناصر الكيمياء وإكتشاف قوانين الميكانيكا والكهرباء وأصل هذه كله عند الناس ما ورثوه من أبيهم آدم من علم الأسماء فالصلة بين تحقيق الخلافة فى الأرض وعلم الأسماء وثيقة إذبه أدركت الملائكة أن آدم وذريته قد آثرهم الله تعالى بمؤهل الاستخلاف وهو علم الأسماء كلها أى كل شىء أو كل حى له إسم. ومامن شىء هو موضوع لعلم إلا ولابد أن يكون له اسم فإن صنعوه أو اكتشفوه لأول مرة وضعوا له اسما.

فعلم الأسماء الذى أساس العلوم الكونية هو منهج تحقيق السيادة، كما أن الهدى الربانى أو الرسالة السماوية أى أن الدين الإسلامى هو منهج تحقيق العبودية.



الفصل الثالث

(٣) الاستطاعة الإنسانية المدعمة بالعلم والتقنية من أهم وأخطر الإمارات بين يدى القيامة الصغرى

السؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو: ما الذى يحدث حين تتوسع دائرة الاستطاعة البشرية بالعلم والصناعة والتقنية؟ وما أثر ذلك على حياة الإنسان ومصيره الأبدى؟ وما صلة هذا كله بالقيامة الصغرى؟!

للإجابة على السؤال الأول نقول: إن الفرق بين مجتمع متقدم علميا وتقنيا وبين المجتمع المتخلف كالفرق بين المحراث الذى تجره الأبقار وبين الجرار الزراعى أو بين قافلة الجمال وبين القطار أو الطائرة من حيث كم الإنتاج وطول المسافة والسرعة.

إن الفاعلية الإنسانية قد تضاعفت آلاف المرات بسبب المعدات والأجهزة الحديثة، إن جهازا من أجهزة الحاسب الإلكترونى يحسب فى ثانية واحدة ما يحسبه عشرات الألوف أو مئات الألوف من الرجال فى ساعة أو أكثر.

إن الأجهزة والآلات والمعدات الحديثة تضاعف الفاعلية الإنسانية فى الخير والشر وفى السلم وفى الحرب فينتج الإنسان من أحداث التاريخ فى شهر ما كان يحدث فى عقد من الزمان.

وحيث إن خلافة الإنسان لله هى المنتجة للخير والحق والسلام فإن توسيع دائرة الاستطاعة بالنسبة لخلفاء الله فى الأرض إنجاز عظيم جدا وإنتاج ضخم هائل من الخير ونُصْرة الحق وإنشاء السلام وترسيخه، ونشر البر.

وبالعكس فإن خلافة الشيطان فى الأرض هى المنتجة للشر والباطل وسفك الدماء وإفساد عظيم فى الأرض ومن ثم فإن توسيع دائرة الاستطاعة البشرية فى ظل خلافة الشيطان إنجاز عظيم وضخم لترسيخ الشر ونصرة الباطل وسفك كميات أعظم وأضعاف أضعاف من دماء الناس.

إن خلافة الشيطان فى مجتمع متقدم علميا وتقنيا وذى استطاعة واسعة قوية أعظم شرا من خلافة الشيطان فى مجتمع متخلف علميا – لأن إنجاز الشر فى الأول يعادل إنجاز الشر فى الآخر عشرات بل ومئات الآلاف من المرات، كما أن التَّدَهور والإنحطاط والتسفل فى الذاتية الإنسانية فى مجتمع خلافة الشيطان التقنى الصناعى يكون أسرع وأقوى وأشد وأسوأ منه فى العصر غير الصناعى حتى إن الرجل فى مثل هذا المجتمع يصبح مؤمنا ويبيت كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً. اى يتم كفر المفتون فى يوم واحد بل فى نصف يوم.

أما المجتمع غير الصناعي وغير التقني والذى تكون استطاعته ضعيفة بطيئة محدودة. فإن فتنة الكفر لاتتم بين يوم وليلة أو بين صباح ومساء، وإنما تتم على مراحل، أورد الهندى فى «كنز العمال» بسنده إلى (ميمون بن أبى شبيب، قيل لحذيفة: أكَفَرَتْ بنو إسرائيل فى يوم واحد؟. قال: لا، ولكن كانت تُعْرض عليهم الفتنة فيأبونها فَيُكْرَهرن عليها، ثم تُعرض عليهم فيأبونها، ثم ضُرِبُوا عليها بالسياط والسيوف حتى خاضوا خَا ضَةَ المَا لم يعرفوا معروفاً ولم يُنكِروا منكراً)(١) ومعنى الحديث أن بنى إسرائيل كفروا فى زمانهم أيام أنبيائهم وأيام وجودهم ببيت المقدس وبعد طردهم منه أى فى القرون التى قبل سيدنا عيسى عليه السلام وفى عهده أو بعده فكانت على مراحل ينجون من الفتنة ثم يكرهون عليها ثم تُعْرض لهم الأخرى فينجُون منها ويأبونها فيضْرَبُونَ عليها بالسياط ويُعَذَّبونَ ويُقْتَلُون، وهكذا مرت عليهم المحن الواحدة تلو الأخرى خلال سنين بل وقرون حتى جاءت أجيال لا تصبر على بلاء ومحنة فلم يقاوموا ولم يرفضوا الفتن حتى خاضوا خاضةَ المت بهم، وتحوَّلوا منها إلى الحال الذى يصبح المرأ فيه لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا. ثم بعد ذلك تَدَرَّجُوا إلى الحال الذى يقبلون المنكر ويرفضون المعروف ثم وصلوا إلى الكفر الذى يَرَوْنَ فيه المنكر معروفاً والمعروف منكراً ثم أصبحوا شياطين الأرض وقادة الإفسَاد ثم

(١) الهندى/ كنز العمال/ ح رقم ٣١٣١٨/ جـ ١١.

إنحدروا وتسفلوا إلى الدرك الذى يأمرون فيه بالمنكر وينْهون فيه عن المعروف[1].

ففتنة الكفر إذن التى أصابتهم كانت على مراحل وأزمان ممتدة، وذلك لأنهم كانوا فى العصر الذى كانت استطاعة الإنسان فيه ضعيفة ومحدودة وبطيئة، عصر الجمال والخيل والبغال والحمير والمحراث والفأس والسيف والمنجنيق والحربة والسفن الشراعية والمياه العذبة غير الملوثة والبيئة النظيفة.

أما فى العصر الراهن الذى صارت فيه استطاعة الإنسان على الفعل والإنتاج والإنجاز فى جميع المجالات قوية وسريعة وغير محدودة الآفاق، أى واسعة جدا.

فإن فتنة الكفر فيه تكون بنفس القوة والسرعة والانتشار والإتساع. يدل على هذا ما أورده الهندى بكنز العمال عن حذيفة رضى الله عنه رفعه قال: أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل....)[2] فانظر إلى الذى يكفر من فتنة واحدة وفى ليلة واحدة أو فى نهار واحد، إن حدوث الفتنة فى ليلة واحدة يَعنى حدوثها فجأة بلا مقدمات حتى ليدخل فيها الرجل ويقع فيها ويكفر فى ساعات قليلة ينتقل فيها من معسكر أهل الإيمان إلى معسكر أهل الكفر، وما هذا إلاَّ لتسارع الأحداث ولقوتها ولانتشارها وتعميمها بعد ظهور وسائل الإعلام البصرية والسمعية: الراديو والتليفزيون والفيديو والإرسال من الأقمار الصناعية والقلمية أى الصحف وكلها واسعة الانتشار وسريعة ولها تأثيرات قوية جدا وخطيرة جدا على المشاهدين والمستمعين والقراء، وكذلك يتم الحدث الهائل كالحرب العظيمة أو غيرها بسرعة فائقة لوجود وسائل الانتقال الحديثة ووسائل ومعدات الحرب الحديثة، كما أن عظمة حجم الحدث وضخامة الجريمة تكون سبباً فى كفر المشتركين فيها مثل المشاركة فى قتل آلاف أو مئات الآلاف أو الملايين بضربات قليلة فى دقائق معدودة.

---

(١) وقد وصل إلى هذا الحال بعض فئات من المسلمين دعاة الضلالة المجاهرون بالكفر والالحاد باسم التنوير والعلم وهم لايدرون أنهم يدعون إلى الظلام والجهل فهم الذين يعمهون.

(٢) الهندى/ كنز العمال/ ح رقم ٣١٣٤٩/ جـ١١.

إن الرجل كان قديما يعيش أياماً بل وشهُوراً أو أكثر فى المجتمع لا تُتَاح له فرصة النظر إلى امرأة غير محجبة إلاَّ مُصَادفةً وبطريقة عابرة، وهو اليوم - إذا أراد - يمكنه أن يرى عاريات تماما أو عاريات كاسيات وبأقل جهد وأقل مال، يُستدعى هذا كله وهو متكىء على أريكته، أى فتنة هذه فى سرعتها وقوتها وإمتدادها وسعتها وانتشارها فى أنحاء الأرض المعمورة. بل إنها تطول حتى البدوى فى الصحراء.

إن قوة الاستطاعة الإنسانية فى الحضارة المعاصرة وسرعتها وشمولها وبطشها أظْهَرَ فى الأرض الهَرْجَ الذى ليس شيئاً سوى القتل الجماعى، فَنَحنُ فى زمان الهرج وهو الذى يطلقون عليه فى العصر الحديث أسلحة الدمار الشامل النَّووى والكيماوى والجرثومى أو البيولوجى الذى يبيد أهل المدن بكاملها.

(فَعَنْ أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن من ورائكم أياما ينزل فيها الجهل ويُرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج. قالوا: يا رسول الله؟ ما الهرج قال: القتل)[1] فالكثرة تفيد القتل الجماعى بأسلحة الدمار الشامل، فقنبلة هيروشيما وهى الجيل الأول البدائى من القنبلة النَّووية قتلت فى لحظة كئيبة من لحظات حكم الجبت والطاغوت قرابة ربع مليون نسمة وشوهت وسَبَّبتَ امراض السرطان لمئات الألوف فى دوائر ممتدة حول موضع انفجارها وبدرجات متفاوتة فى الإصابة حسب ضيق الدائرة واتساعها حول هذا الموضع.

أى استطاعة فى الهرج هذه التى أوصلتْ الحضارة المعاصرة أهلها إليها؟!

ولكن قوة وسعة وسرعة الاستطاعة الإنسانية فى الحضارة المعاصرة ليست فى ذاتها شريرة بل هى مجرد استطاعة محايدة يمكن أن توجه وتستخدم فى الخير كما توجه وتستخدم فى الشر، كما أنها أنتجت وسائل حيادية ومن ثم فهى جميعًا قوى محايدة قابلة للاستخدام الطيب كما أنها قابلة للاستخدام الخبيث الشرير. فما الذى يوجهها نحو الشر تارة ونحو الخير أخرى؟

هذا هو موضوع الفصل التالى بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه الترمذى/ ك الفتن باب ما جاء فى الهرج والعبادة فيه/ ح ٢٢٣١ وقال هذا حديث حسن صحيح.

الفصل الرابع

استغلال خلفاء الشيطان الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية في الإفساد للعلو في الأرض

(٤) علو خلفاء الجبت والطاغوت بالإفساد مستغلين الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية من الإمارات المباشرة للقيامة الصغرى:

ما الذى يرجح استخدام الاستطاعة فى الخير أو فى الشر.

المرجح هو العبودية، الجانب أو الوجه الآخر من الخلافة المقابل للسيادة أى أن الاستطاعة الإنسانية المُرَشَّدَة بالعلم والمدعمة بالتكنولوجيا قوة محايدة.

فإذا كانت العبودية لله عز وجل فإنها تُحَوِّلْ استخدام الاستطاعة العلمية التكنولوجية إلى الخير فيكون كل إنتاجها خَيّراً وبارا وطيبا وسلاما وسعادة فى الدنيا وفلاحا وسعادة فى الآخرة، وإذا كانتْ العبودية للطاغوت أى محققة لخلافة الإنسان للطاغوت يكون إنتاج الاستطاعة الإنسانية الموجهة بالعلم والمدعمة بالتقنيّة شراً وإثمًا وباطلاً وفَسَاداً وسفكًا لدماء المؤمنين بخاصة وفاحشة وتقطيعاً للأرحام وإهلاكا للحرث والنسل ودمارا وهدمًا بعامة.

وأى واحد من الفريقين ظهر على الآخر يظهر أثره المذكور فى الأرض، فإذا تعادل خُلفاء الله تعالى فى قوّة الاستطاعة وسرعتها مع خلفاء الشيطان تعادل الخير مع الشر فى الأرض أو كادَ، وإذا غلبت خلافة الله تعالى على خلافة الشيطان غلب الخير والحق والعدل والسلام على الأرض، وإذا ظهر خلفاء الطاغوت والجبت على خلفاء الله عز وجل ظهر الفساد فى البر والبحر، وغلب الشر وعلا الباطل وفشت الفاحشة والإثم وساد الظلم وعم الظلام، وأهلكوا الحرث والنسل والويل كل الويل للبشرية إذا كانت الغلبة لخلفاء الطاغوت والجبت فى عصر الاستطاعة البشرية القوية السريعة الشاملة، وهذا هو حالها فى هذه الأيام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لم يترك خلفاء الجبت والطاغوت على الأرض وفى الأرض مجالا من مجالات الفاعلية إلاَّ وتَمَكَّنُوا منه وتمكنوا فيه وبقوة لحساب الجبت والطاغوت وهذه أهم وأخطر إمارات القيامة الصغرى بل هى إمارات كثيرة تشكل فى مجموعها الآية الأولى من الآيات العشر وهى المسيح الدجال.

الفصل الخامس

(٥) سنة الله فى استئصال الأمم الكافرة تصدق على نزول بأسه على كل الأرض لتدمير الكافرين فى أحداث القيامة الصغرى

إن خلفاء الجبت والطاغوت إذا تمكنوا من خلفاء الرحمن تمكناً تاما يُتِيح لهم استئصالهم من الأرض حتى تخلو لهم، فلن يَتَوانوْا لحظة عن ذلك.

حدث هذا على مدار التاريخ فما من مرة تمكنوا فيها من المسلمين إلاَّ عملوا فيهم بالإبادة والاستئصال بالذبح وأبشع أنواع القتل والتصفية الجسدية فى شكل مذابح جماعية.

وهذا هو الحادث الآن فى العالم كله ضد ضعفاء المسلمين الذين يشكلون أقليات فى مجتمعاتهم، بل بدأت تجربة الذبح البشع بين مسلمين يشكلون أكثرية فى مجتمعهم وهم أهل الجزائر، وأخرى فى العراق بإثارة الفتن والقتال بين قوميات ومذاهب وطوائف مختلفة من المسلمين ويعدون لمثلها لتقسيم أوطان إسلامية عربية عريقة فى التوحد فى شعب واحد من آلاف السنين مثل مصر وسوريا ولبنان وغيرهم، استئصالا للمسلمين وبخاصة الملتزمين بدينهم، واستئصالا أيضا لأوطانهم ودولهم وتفتيتا لشعوبهم وتقسيمهم إلى دويلات صغيرة لتتمكن إسرائيل من السيطرة عليها. وهذا كله من إمارات الساعة المباشرة.

إن نهاية الدنيا لا تكون إلا بعد أن تتحول البشرية كلها إلى الكفر التام والظلام المطبق والإلحاد الذى سيجهل فيه أهله معنى الألوهية وينسون لفظ الإله ويعيشون كالأنعام بل أضل، هذا حسب سنة الله تعالى فى معاملة الخلق وبأمره وقدره عز وجل، وتلك هى القيامة التى يموت فيها كل حى أى القيامة الوسطى.

كذلك القيامة الصغرى لن تقوم ويحدث الهدم فى الأرض إلا بعد أن يظهر خلفاء الجبت والطاغوت على خلفاء الله عز وجل، وبعد أن تختل موازين القوى بين الفريقين، وبعد أن يستفتح فريق الشيطان ويسعى لاستئصال المؤمنين استئصالاً تاماً شاملاً من الأرض.

وهو ما يخططون له الآن بل إنهم خططوا وانتهوا من التخطيط، وشرعوا فى التنفيذ ونفذوا بعض مراحل الخطة، ويستعدون لمراحل قادمة، ومن هذا الإعداد توحيد أوروبا. ومحاولة إضعاف المسلمين بالقضاء على كل قوة أو دولة أو حكومة تحاول أن تجمع من القوة العسكرية ما يمكنها من الصمود. كما هو حادث الآن مع العراق المحاصر الصامد.

إن استطاعة أهل الاستكبار وعبَّاد الطاغوت يعدون لكى يجلبوا على المسلمين بخيلهم ورَجلهم بعد أن شاركهم الطاغوت فى أموالهم، وأولادهم واعدين إياهم بالتنمية والرخاء والمدنية والتقدم.

لقد أخذت الأرضُ زخرفها وازَّيَّنَتْ وامتلأت عمرانا وتخطيطا وزراعة وصناعة وإضاءة ومواصلات واتصالات وإعلاما وصارت مجتمعا واحدا يحكمه خلفاء الشيطان. بحكومة واحدة ومؤسسات واحدة وأنذرهم الله تعالى بالعذاب النازل من السماء وبالعذاب من تحت أرجلهم، وجاءت الإنذارات من أهل الأديان ومن علماء الفلك يحدثونهم عن نيزك خطير الحجم قادم إلى الأرض، ومن علماء الجيولوجيا والزلازل عن زلزال رهيب مرتقب لعلهم يتوبون ويرجعون. وعلا اليهود بالإفساد فى الأرض كلها وقال الله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (٦/ الإسراء) لكن لا أحد يستجيب للإنذارات ولا اليهود يلبون نداء السلام ولا يعطون الفلسطينيين بعض أرضهم. وأمريكا القوية تصوب أكثر من ١٥٠٠ صاروخ محملة بالرؤوس النووية للعالم الإسلامى، فَتُغَيِّر وجهها من الاتحاد السوفيتى إلى البلاد الإسلامية لقد صار مكرهم لتزول منه الجبال وسيبطله الله عز وجل بقدرته فى يوم من أيام مجده سبحانه. لقد زخرفوا الأرض وزينوا بلادهم ويستعدون الآن للنيزك القادم لإنقاذ الأرض من خطره وعمل الاحتياطات بدلا من التوبة والرجوع إلى خالقهم لكى يرحمهم ويمنع عنهم العذاب قبل نزوله ومجيئه ويؤخر عنهم عذاب القيامة إلى جيل آخر غيرهم لا يتوبْ، بدلا من ذلك فإنهم مصرون على ما هم فيه من فاحشة وربا وتجبر وطغيان وذبح للمسلمين، أما النيزك القادم فهم قادرون حسب زعمهم وظنهم وسلوكهم على ردّه ودفعه عن الأرض من خلال المحطات الفضائية والصواريخ المحملة بالقنابل الهيدروجينية يقذفون بها النيزك فى الفضاء الخارجى قبل دخوله المجال الجوى أو إقترابه من الأرض وقد أعلنت أمريكا فى مارس ١٩٩٨ هذا وَطلبت تعاون الدول الفضائية معها.

إذا استمروا على هذا الحال. ولم يستجيبوا لإنذارات الكتاب المقدس والقرآن والسنة وإنذارات العلماء، فسيأتيهم العذاب.

وسيكون آخر ابتلاء يبتليهم الله تعالى به هو النيزك الذى هو دعوة صريحة جلية من الله تعالى للتوبة، حتى يبعده الله تعالى القادر على كل شىء، والذى لايتم شىء فى الكون إلاَّ بمشيئته سبحانه، فإذا لم يتوبوا وتصدوا له بقصد تدميره معلنين لخالقهم وخالق الكون والشمس والقمر والأرض والسماء سبحانه وخالق كل شىء أنهم قادرون على حماية الأرض مما يأتى من السماء بأمره كان هذا الفعل إعلاناً منهم على استحقاقهم للعذاب وللاستئصال قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (/ ٢٤/ يونس). هذه هى القيامة الصغرى وتلك هى موجباتها تضخم الاستطاعة البشرية بالعلم والصناعة فى عصر علو خلفاء الجبت والطاغوت المحاربين لله عز وجل، حتى ظنوا واهمين أنهم قادرون على دفع عذاب الله تعالى الذى سيبعثه عليهم من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم.

إن مظاهر الاستطاعة الإنسانية العلمية التقنية عمت جميع مناحى الحياة البشرية فى مجالات القوى النفسية: سمعية وبصرية وعقلية ويدوية وانتقالية فى الأرض وفى أعماقها وسمائها بل وخارج سمائها أى سماء الدنيا وفى مجالات البناء كما فى مجالات الهدم وفى مجالات السلم كما فى مجالات الحرب. ولكن كل ذلك فى خدمة أهداف الجبت والطاغوت وفى ظل خلافة الشيطان الظاهرة فى الأرض.

وهذا هو ما سنقرأه تفصيلا باعتبار هذا كله من إمارات الساعة وأوائل القيامة الصغرى الدالة على قرب وقوعها فى القرآن الكريم والسنة. وهو ما أُبلِّغُه البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة بكتابى هذا، برجاء التوبة والعودة إلى الخالق جل وعلا.

ومن ثم سنعرض فى فصول لاحقة بإذن الله تعالى كل ما جاء فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة عن إمارات الساعة فى زمن العجائب وعصر علو خلفاء الشيطان بالإفساد فى الأرض باعتبار هذا كله مقدمات مباشرة لعذاب القيامة الصغرى وذلك قياما بواجب البلاغ.



الفصل السادس

إخبار النبى ﷺ بكل ما سيحدث بعده إلى قيام الساعة بما فى ذلك التقنيات الصناعية المعاصرة

٦ - الإخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية للنبوة.

٧ - طوى الله تعالى الزمن لرسوله حتى رأى المستقبل إلى يوم القيامة وبلغه للأمة.

٨ - أهم وأخطر موضوعات علم أشراط الساعة.

٩ - هل أخبر رسول ﷺ عن التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة.

١٠ - هل تضمن القرآن الكريم ذكرا لإمارات الساعة وآياتها بما فى ذلك التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة؟

(٦) الإخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية للنبوة:

أشتق لفظ النبى من النبوءة لأنه يخبر بالغيبيات التى ستأتى فى المستقبل ومن بعده، ولذلك قُرِئت النبىء أى الذى يتنبأ الغيب وأحداث المستقبل قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن ٢٦/ ٢٧] وعلى هذا فمن مهام النبى الرئيسية الإخبار بما سيحدث فى مستقبل الأيام من أحداث وأحوال للبشر.

والإيمان باليوم الآخر الذى هو الركن الخامس من أركان الإيمان إنما هو نبوءة من نبوءات الغيب التى جاء بها أنبياء الله تعالى بعامة ورسول الله خاتم النبيِّين صلى الله عليهم جميعا وسلم بخاصة.

وإبتداء اليوم الآخر لا يكون فى الآخرة، بل هو فى الدنيا كما صرح بهذا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وقد (سئل عن القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة؟ قال: صَدْرُ ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة)(١) وبدليل غلق باب التوبة بخروج الشمس من مغربها، وهو وقت احتضار البشرية، كما لاتقبل توبة المحتضر وهو حى لم يمت بعد ولم تَزُلْ قدماه من الدنيا لأنه يكون فى أول آخرته.

وقد نَبَّأ الرسول ﷺ بكل ما سيحدث من بعده حتى يدخل أهل الجنة منازلهم ويدخل أهل النار دركاتهم.

(٧) طوى الله تعالى الزمن لرسوله ﷺ حتى رأى المستقبل إلى يوم القيامة وبلغه للأمة:

روى الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن الله عزّ وجل قد رفع لى الدنيا، فأنا أنظر إليها، وإلى ما هوكائن فيها إلى يوم القيامة، كأنما أنظر إلى كفى هذه)(٢) قوله ﷺ (كأنما انظر إلى كفى هذه) يفيد أنه كان ينظر فى

(١) لوامع الأنوار البهية للسفارينى جـ٢ ص١٦٩.

(٢) عن اتحاف الجماعة جـ١ ص١٢ وعزاه إلى الطبرانى.

صفحة مسطحة تتوالى فيها أحداث الدنيا منذ عهده إلى يوم القيامة، وأنه رأى الأحداث كأقرب ما يكون الرائى منا اليوم ناظرا فى شاشة تليفزيونية، ومن ثم علمها علم مشاهدة، وليس علم استماع وتلقى بالألفاظ.

وهذا يعنى أن رسول الله ﷺ قصّ علينا بتعبيره وبيانه البليغ ما رآه عيانا، فهو يصف ما شاهده.

والسؤال الآن: هل أنبأ رسول الله ﷺ صحابته رضوان الله عليهم بكل ما شاهده أى بكل الأحداث المستقبلية إلى يوم القيامة، أم انبأهم ببعض ما شاهد، أو بأكثر ما شاهد، ومنع عنهم بعضه؟!.

للإجابة على هذا السؤال أقول: مما نسب بسند صحيح إلى السيدة عائشة رضى الله عنها قولها (من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئا من الوحى فقد أعظم على الله الفرية)(١) لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة/ ٦٧] أى وإن كتمتَ شيئا فما بلغت، ومن ثم يلزم الاعتقاد بأن النبى ﷺ لم يكتم عن أمته كلمة ولا حرفا، ومن يجيز أنه كتم شيئا فقد افترى على النبى كذبا أنه لم يبلغ رسالةربه.

وبناء عليه فإن ما نظر إليه ﷺ من احداث الدنيا منذ عهده إلى يوم القيامة لابد أن يكون قد بلَّغه صحابته ونقله إليهم وصفًا ببيانه البليغ المعجز.

وهذا ما صرح به حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهو الذى خصه رسول الله ﷺ بما لم يعطه لغيره حتى قيل عنه انه سر رسول الله ﷺ فقد روى الإمام أحمد ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال: (أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه شىء إلا قد سألته الأ إنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة)(٢). وهذا معنى صريح وواضح بأنه علم من النبى ﷺ كل الأحداث الكائنة إلى يوم

---

(١) سنن النسائى الكبرى حديث ١١٠٤٨

(٢) رواه مسلم/ ك الفتن/ ب اخبار النبى فيما يكون إلى قيام الساعة/ ح ٧٢١٠.

القيامة، ثم أنه كـان يريد أن يستفسر ويستـفصل منه عن خروج أهل المدينة من المدينة فى آخر الزمـان، حتى يتركوهـا مهجورة ليس فـيها أحد، ولـكنه نَسِىَ ولعله لم يفعل لسبب اخر.

والسؤال الذى يعرض نفسه علينا الآن هو:

هل خص رسول الله ﷺ حذيفـة بما شاهده نتيجة النظر فى أيام الدنيـا كما ينظر فى كفه؟.

لا : بل عمم عليـه الصلاة والسلام البـلاغ بهذا على صحـابته بدليل قول حـذيفة رضى الله عنه فيمـا رواه أبو داود الطيالسى (قال: قام فينا رسول الله ﷺ فـاخبرنا بما هو كائـن إلى يوم القيـامة، إلاَّ أنى لم أسـأله ما يخـرج أهل المدينة من المدينة)[1]؟! وعنه رضى الله عنه قال: (لقـد خطبنا النبى ﷺ خطبة مـا ترك فيهـا شيئـا إلى قيام السـاعة الا ذكره عَلِمَهَ من عَلِمَهَ وجهله من جـهله، إن كنتُ لأرى الشىء قد نسيت فأعرفـه كما يعرف الَرجلُ الرَجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه)[2].

فنظراً لأن الخطبـة طويلة جـدا، تلك التى اسـتوعـبت جمـيع الأحـداث إلى قيـام الساعـة ، فإن الذين استـمعوا إليـها حـفظوا منها ونسـوا، فإذا حـدث الحدث الذى تضـمنته الخطبـة، تذكر مـا نسيـه كمـا ينسى الرجل وجه الرجل بعـد افتـراق طويل، فإذارآه تذكـره وعرفه. ورواية الإمام أحـمد عن حذيفة أيضـا توضح هذا المعنى قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقـاما، فما ترك شيئا يكون بين يدى الساعـة الاَّ ذكره فى مقامه ذلك، حفـظه من حفظه، ونسيـه من نسيـه) قال حـذيفة : (فـإنى أرى أشياء قـد كنتُ نسيتـها فأعرفـها كما يعـرف الرجلُ وجه الرجل قد كان غـائبا عنه يراه فيـعرفه) وهو يقصد من قـوله «أشياء» أحداثاً وأحوالا وأشـخاصا ووقائع ومواضع وأوقـاتا كلها نبأ بها رسول الله ﷺ فى هذه الخطبةالجامعة الشاملة.

والســؤال الذى يطرأ الآن على الخــاطر هو: كـم استــغـرقت مـن الوقت هذه الخطبةالتى استوعبت أحداث الدنيا إلى يوم القيامة؟.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) صحيح البخارى / ك القدر/ ب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ح/ ٦٣٦٣.

روى مسلم وأحمد رحمهما الله عن عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا)(١). وهذا إضافة جديدة لما سبق من روايات وهى أنه أخبر فى هذا المقام بما كان وبما سيكون ويؤكد هذا ما رواه البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم)(٢) أى أن موضوع هذه الخطبة فى هذا المقام العظيم هو قصة الدنيا من أولها إلى آخرها.

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بنهار ثم قام فينا خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة الا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قال: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقى منها شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: ألاَ إنه لم يَبْقَ من الدنيا فيما مضى الاَّ كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه)(٣).

وفى هذا بيان لقصر الزمن بين عصر رسول الله ﷺ وبين عصر الساعة، إذ يدل التعبير بالسؤال عن الذى بَقِيَ من الشمس على أنها كانت على وشك الغروب.

(٨) أهم وأخطر موضوعات علم أشراط الساعة:

والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن هو:

ما هى أهم وأخطر الأحداث التى ذكرها النبى ﷺ منذ عصره إلى يوم القيامة؟

إنها الفتن، لأن العلاقة بين ازدياد الفتن وشدتها وبين تقدم الزمان والقرب من الساعة علاقة مطردة. فكلما قرب الزمان من الساعة كلما اشتدت وإزدادت ،وأيضا كلما كثرت الفتن واشتدت، دل هذا على القرب الشديد للساعة، حتى اقترنت الفتن

(١) رواه مسلم / ك الفتن وأشراط الساعة/ ب أخبار النبى فيما يكون إلى قيام الساعة/ ح ٧٢١٢ .

(٢) رواه البخارى ك بدء الخلق/ ب ما جاء فى قول الله تعالى: "وهو يبدأ الخلق ثم يعيده/ ح ٣٠٦٠.

(٣) رواه الترمذي/ ك الفتن عن رسول الله ﷺ/ ب ما أخبر النبى ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة / ح ٢٢٢١.

بأشراط الساعة وأشراط الساعة بالفتن. وصنف العلماء فى هذا الموضوع تحت عنوان الفتن وأشراط الساعة، حتى يصعب الفصل بينهما، وأيضا صنفوا تحت عنوان الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لأن الملاحم العظيمة بين حزب الله وحزب الشيطان ستكون آخرالزمان. وهذه الملاحم مواقع عسكرية عظيمة بين أهل الإيمان حزب الله وبين جحافل الكفرحزب الشيطان وهى سلسلة من الملاحم تنتهى بالملحمة العظمى.

لقد روى حذيفة رضى الله عنه الكثير من أحاديث الفتن فقال: (ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه أو اسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك علمنيه رسول الله ﷺ قالوا: بأعيانها؟ قال: أو أشباهها يعرفها الفقهاء أو قال العلماء، انكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ عن الخيروأسأله عن الشر وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون)[1].

وبناء على ذلك صار حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كأنه المتخصص فى مرويات الفتن وأشراط الساعة، حتى إنه ليتحدث عن الفتن من بعد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى يوم القيامة فيقرر انه اعلم بها من علمه بالطرق التى يسير فيها فيقول رضى الله عنه: (ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى منى بكل فتنة هى كائنة وبِنَاعقَها وقائدها إلى يوم القيامة)[2]. ورُوِىَ عنه أيضا (والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى ولا إلى مصر من الأمصار بأعلم منى بما يكون من بعد عثمان بن عفان)[3].

والذى يمكن أن نستنبطه من حديث حذيفة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أخبره بمعلومات عن الفتن التى يزيد اتباع كل فتنة منها عن ثلاثمائة فأكثر، فهو يعرف إسم قائد الفتنة، واسم أبيه ومحل سكنه، ولكنه لا يخبر اسمه الصريح الذى سماه به أبوه والذى يعرفه به أهل زمانه المعاصرين له، ولكن يذكر حذيفة رضى الله عنه أشباه

(١) رواه نعم بن حماد/ حديث رقم.
(٢) رواه نعيم بن حماد فى الفتن رقم : ٢٦
(٣) الفتن / نعيم ابن حماد/ حـ١ حديث رقم: ٢٧.

وأوصاف وعلامات تدل عليه دون ذكر اسمه الحقيقى، فيمكن للعلماء أو الفقهاء المعاصرين لقائد الفتنة أن يستنبطوا مما يرد عنه فى الأحاديث انه هو الذى ترمز إليه الآثار بكذا، ويؤكد لهم هذا ذكر سكنه وقبيلته، وربما الشخصيات الأخرى المتصارعة معه، كما أنه يعلم جميع قادة الفتنة الذين يزيد أتباعهم عن ثلاثمائة من بعد عثمان رضى الله عنه، إلى يوم القيامة، إلا أنه غير مصرح له بالتصريح باسمه الحقيقى ولكن فقط باشباه الأسماء وليس بأعيانها..

والخلاصة أن الرسول الكريم ﷺ ما ترك صحابته الا وقد أخبرهم بما سيكون إلى يوم القيامة فعن أبى ذر رضى الله عنه قال:(لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب فى السماء طائر الا ذكر لنا منه علما)[1] .

وكما شهد هذان الصحابيان الجليلان بأن رسول ﷺ أخبرهم بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون من أحداث وتغيرات إلى يوم القيامة، فإن الذئب أيضا شهد له بذلك ﷺ أمام راعى الغنم اليهودى، فأسلم، فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: (جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى أنتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل فأقعى واستذفر فقال: عمدتَ إلى رزق رَزقنيه الله عزّ وجلّ انتزعته منى.

فقال الرجل: تالله إن رأيتُ كاليوم ذئبًا يتكلم!

قال الذئب: أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاء الرجل إلى النبى ﷺ...)[2].

فخلاصة هذا الفصل أن رسول الله ﷺ بلَّغ الصحابة رضوان الله عليهم بما كان وبما هو كائن، وبما سيكون إلى يوم القيامة، وتلقى التابعون عنهم هذا كله، الأمر الذى كوَّن عند المحدثين فيما بعد قسما هاما ورئيسيا من أقسام علم الحديث صنفوه فى أبواب خاصة جعلوا لها عناوين أشراط الساعة والفتن والملاحم.

---

(١) رواه أحمد ورجال ثقات ح/ ٢٠٩٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد / ح ٧٩٧٧.

(٩) هل أخبر رسول الله ﷺ عن التقدم العلمي والتقني والمخترعات المعاصرة؟

ومن ثم يتحتم علينا الإجابة على سؤال هام يبرز لنا من خلال المعطيات الصحيحة السابقة وهو:

إذا كان رسول الله ﷺ قد أخبر بكل ما سيكون إلى يوم القيامة ووقوع الساعة، فهل أخبر عن سمات الحضارة الصناعية التقنية الحديثة المعاصرة التى غيرت وجه الحياة باختراعات فى مجال وسائل السفر والانتقال ووسائل الاتصالات ووسائل البناءوالتشييد وفى المعدات والآلات الزراعية والصناعية وفى الأجهزة البصرية والسمعية التى ملأت البيوت وصبغت الحياة اليومية للناس بصبغة خاصة مخالفة لما كانت عليه الحياة من قبل.

وكذلك تغيرت وسائل النقل البحرى والأساطيل والمعدات البحرية العسكرية وكذا المعدات والآلات والأسلحة الحربية.

لقد تغير كل شيء فى الحياة بالصناعة حتى أن الفرد العادى أو الطفل يفعل ويحصل على نتائج وأمور بالآلات والأجهزة والوسائل الحديثة ما لا يصدقه عقل القدماء لو أُخبروا بهذا أو ببعضه.

هل كان يتصور أحد القدماء مثلا أن الإنسان يمكن أن يزيل جبلا وينقله من مكانه إلى مكان بعيد؟! وهل كان يتصور أن الإنسان سيتمكن يوما أن يشق داخل الجبل طريقا إلى الناحية الأخرى منه، وهل كان يمكن أن يصدق أن الإنسان سيرقى فى السماء ويركب طبقا عن طبق، حتى يعيش فى بيت خارج السماء الدنيا اسمه المحطة الفضائية. أو هل كان من الممكن أن يصدق أن الإنسان سيرى البعيد ويسمع البعيد فى أقصى الأرض وأنه سيغوص فى قاع المحيطات ويخرج؟ وهل وهل وهل؟!

فهل تضمنت السنة أخبارا عن هذا كله؟!

إذا قلنا لا؟ تضارب قولنا مع ما سبق أن قلناه من أحاديث صحيحة عن إخباره ﷺ بكل شيء حتى قيام الساعة. ومن ثم لابد أن تكون الإجابة بنعم، وإنها لكذلك.

بل إن رسول الله ﷺ ذكر هذا صريحا مُوَضّحًا أن هذه الاختراعات جميعا انما تأتى فى عصر الدّجال أى تسبقه فيما رواه أحمد عن سمره بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدّجال ممسوح العين اليسرى، كأنها عيْن أبى تَحيٍّ ـ لشيخ من الأنصار ـ وإنه متى خرج ، فانه يزعم أنه الله، فمن آمن وصدَّقه وإتَّبعه فليس يَنفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يُعاقب بشيء من عمل سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس فيزلزلون زلزالا شديدا، فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى أن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادى يا مؤمن هذا كافر يَسْتَتِرُ بى فتعال اقتله.

قال: ولن يكون ذلك حتى تروْا أموراً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم:

هل كان نبيكم ﷺ ذكر لكم منها ذكرا؟!، وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على أثر ذلك القبض)(١).

فأنظر إلى السؤال الذى طرحه نبى الله ﷺ مخبرا أننا فى آخر الزمان عندما تحدث الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفسنا ستتساءل: هل كان نبينا ﷺ ذكر لنا منها ذكراً؟ نعم ولابد أن نقول نعم. وهى إجابة صحيحة وحق.

ولكن من أى نوع هى هذه الأمور التى يتفاقهم شأنها فى أنفسنا؟

الإجابة: من قبيل إزالة الجبال عن مراسيها. إذن فهذه الأمور هى المخترعات المعاصرة التى وسَّع الإنسان بها دائرة استطاعته فى جميع مجالات وأنشطة الحياة حتى

---

(١) رواه أحمد عن سمرة والحاكم فى المستدرك وَصَحَّحَهُ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وكذا رواه ابو يعلى وأبى خزيمة والطبرانى وعند أحمد برقم : ١٩٧٢٢.

النشاط الفكرى اخترع له حاسبات تحسب فى الثانية ما يحسبه آلاف الرجال فى زمن طويل، وربط عليه الصلاة والسلام هذا العصر الصناعى التقنى بزمن خروج الدجال بعد أن يسبقه تسعة وعشرون دجالا من جنسه النجس.

تلك جميعا هى الإمارات التى تسبق الآيات، ولقد سماها رسول الله ﷺ أمارات فى حديث الذئب الذى جاء فى آخره(... فجاء إلى النبى ﷺ ثم قال النبى ﷺ «إنها أمارة من أمارات بين يدىْ الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[1] وسنعلم بعد أن نعلاه وسوطه إشارة إلى التليفون السلكى الذى هو قطعتان وسلك أحدى القطعتين أشبه بالسوط وهى التى يتحدث فيها المتحدث. أوأن السو ط هو التليفون السلكى ، والنعلين هما التليفون المحمول. والشاهد من بقية حديث الذئب أن الرسول ﷺ أطلق على هذه المخترعات الصناعية أمارة لأن لفظ أمارة فيه معنى العجب.

فالأمارات والأعلام فى زمن واحد، الا أن الإمارة تمتاز بأنهآ من العجائب وبالخصائص التى سبق أن ذكرناها قبل، لكنها جميعا أى الامارات والأعلام إرهاصات لعصرالآيات العشر التى هى، أى الآيات، إرهاصات لوقوع الساعة وكل ذلك عصر واحد هو بدء اليوم الآخر بدليل قوله فى آخر الحديث (ثم على أثر ذللك القبض) إشارة إلى الزلزال العظيم أى القيامة الصغرى الذى هو الموت بما فيه.

وفى الأبواب والفصول التالية سنعرض للأمارات بأنواعها تلك التى تعيشها البشرية: أحوالا وأحداثا كما جاءت أخبارها فى الكتاب والسنة سابقة لحدوثها بقرون عديدة لتجزم لنا ببدء اليوم الآخر والقرب الشديد لوقوع العذاب وقيام القيامة ورجفة الأرض أو زلزال الأرض العظيم والخسوف العظيمة المصاحبة له.

---

(١) مسند الإمام أحمد/ ح ٧٩٧٧.

الفصل السابع

أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(١٠) هل تضمن القرآن الكريم ذكرا لأمارات الساعة وآياتها بما فى ذلك التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة ؟

علمنا مما سبق أن القرآن الكريم مُتَضمن لأنباء السابقين وأخبار اللاحقين(فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم).

ومن المعلوم أن رسول اللهﷺ قد سكت عن كثير من آيات القرآن الكريم ولم يفسرها، وفى نفس الوقت نهى الصحابة عن سؤاله عن الذى سكت عنه. والحكمة من ذلك واضحة: وهى أنه يعلم تأويل هذه الآيات ولكنه يعلم أيضاً أن إخباره بتأويلها للصحابة والأجيال التى بعدهم يكون فتنه لهم، لأن عقولهم لاتستوعب أو تتصور حقيقة ما تتحدث عنه هذه الآيات.

والدليل على هذا الذى نقرره ما رواه نعيم بسنده [عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم ﴾ (١٥٠ / المائدة). قال : لم يجىء تأويل هذه بعد، ثم قال عبد الله: إنَّ الله أنزل القرآن حيث أنزله. فمنه آيٌ قد مضى تأويلُهنَّ قبل أن ينزل، ومنه أيٌ قد وقع تأويلُهنَّ على عهد النبى ﷺ، ومنه آى قد وقع تأويلُهنَّ بعد النبى ﷺ بقليل، ومنه آى يقع تأويلُهنّ بعد اليوم، ومنه آى يقع تأولهنّ يوم الحساب وذلك ما ذكر من الحساب والجنة والنار][1] والتأويل يعنى التحقيق فما كان من الآى اللائى تخص أحداث زماننا وتحقّق فيه فنحن أهل زمان هذه الأحداث أقدر على فهمها من السابقين.

---

(١) نعيم بن حماد/ الفتن حديث رقم ٣٨.

يدل على هذا قوله ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا...﴾[الأنعام/ ٦٥] أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد(١)، وهو ماينطبق فيما ينطبق على القذائف الصاروخية وقذائف القنابل التى تلقيها الطائرات وأيضا الالغام التى تتفجر تحت الأقدام. ومثل هذا لايستوعب حقيقته السابقون، ومن ثم لم يخبرهم رسول اللهﷺ بحقيقة تأويلها لهذه الحكمة، وإنما أنباهم بأن تأويلها سيأتى بعد، ولايمنع هذا أن تصدق الآية على النيازك والزلازل والخسوف أيضًا ويكون هذا التطبيق للآية أو هذا الحدث الذى ينطبق عليه هذا التأويل لم يأت بعد .

والشاهد من هذا فى موضوعنا أن كثيرًا من دلالات الآيات تنطبق على أحداث سيأتى تأويلها بعد، وأكثر ذلك فى الآيات الخاصة بمشاهد الساعة وأشراطها وأماراتها وعلاماتها وآياتها، وقد سكت رسول اللهﷺ عن تفسير كثير من هذه الآيات وبخاصة التى تتحدث عن المخترعات الحديثة، التى يتفاقم شأنها فى نفوس معاصريها، ولم يكن من السهل على السابقين تصور حدوثها، بل وتصديق حدوثها، لأنه إذا كان بعض الذين أسلموا قبل الاسراء، قد إرتدُّوا لَمَّا سمعوا أن الله تعالى قد اسرى برسوله ﷺ ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عاد فى نفس الليلة لأنهم كانوا يقطعون هذه المسافة ذهابا وإيابا فى شهرين، فماذا يكون حال امثال هؤلاء وغيرهم من عامة المسلمين، لو علموا أن الانسان سيتمكن بنفسه من قطع هذه المسافة ذهابا وإيابا فى أقل من ليلة؟! ليس بالبراق الذى أتى به جبريل عليه السلام، ولكن بشئ يصنعه الانسان، ويملكه ويتحكم فيه وينتقل به متى شاء؟

أفليس فى هذا فتنة عظيمة لهم؟ قصد الشرع الحكيم أن يبعدهم عنها؟! فسكت عن كثير مما تتضمنه آيات الأشراط والأمارات.

يدل على هذا مارواه المحدِّثون فى تفسير قسم الله تعالى بالذاريات فى قوله تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده عن سعد بن أبى وقاص، والترمذى وحسّنه، ونعيم فى الفتن وابن أبى حاتم وابن مردوية وأورده السيوطى فى الدر المنثور/ ٣/ ١٩ .

﴿وَالـذَّارِيَاتِ ذَرْواً (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْراً (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾(١-٦-الذاريات).

قال السيوطى فى الدر المنثور (أخرج البزار والدارقطنى فى الإفراد وإبن مردويه وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمى إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال: أخبرنى عن الذاريات ذروا؟

قال: هى الرياح، ولولا أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

قال: فأخبرنى عن الحاملات وقرا؟

قال: هى السحاب ، ولولا أنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

قال: فأخبرنى عن الجاريات يسرا؟

قال: هى السفن، ولولا أنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

قال: فأخبرنى عن المقسمات أمراً؟

قال: هى الملائكة، ولولا أنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

ثم أمر به فضرب مائة وجعل فى بيت، فلما برأ دعاه وضرب مائة أخرى، ثم حمل على قتب، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى، فحلف له بالإيمان المغلّظة مايجد فى نفسه مما كان يجد شيئا ،فكتب فى ذلك الى عمر، فكتب عمر ماإخاله إلاَّ قد صدق فَخَلِّ بينه وبين مجالسة الناس)(١).

والسؤال الذى يفرض نفسه على من يقرأ هذه الرواية هو:

لماذا جلده عمر رضى الله عنه، ومنعه من مخالطة الناس حتى أقسم أنه مايجد فى نفسه مما كان يجد؟ توضح لنا الرواية التالية عن نفس الحدث الإجابة عليه:

قال السيوطى فى الدر المنثور(وأخرج الفريابى عن الحسن قال سأل صبيغ التميمى عمربن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن الذاريات ذروا، وعن المرسلات عرفا، وعن

(١) السيوطى/ الدر المنثور/ ٦/ ١٢٣.

النازعات غرقا فقال عمر رضى الله عنه: اكشف رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال: والله لو وجدتك محلوقا لضربت عنقك، ثم كتب إلى أبى موسى الأشعرى أن لايجالسه مسلم ولايكلمه)(١).

إذن لم يعاقبه عمر رضى الله عنه لأنه سأل عن الذرايات لأنه أجابه عنها بما سمعه من رسول الله ﷺ، وإنما عاقبه ومنع مخالطته والحديث معه، لأنه سأل أيضا عن «المرسلات والنازعات» فما بال«المرسلات والنازعات»؟ هذه لم يرد فيها تفسير عن رسول الله ﷺ أى هى مما سكت عنها، بخلاف«الذاريات».

كذلك قول عمر رضى الله عنه وهو يجيبه عن كل آيه فى الذاريات «ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته» مقصود منه رضى الله عنه بياناً لمنهج تأويل هذه الآيات التى هى قسم من الله عزوجل على مقسوم هو من مشاهد القيامة وأحداث آخر الزمان وأمارات الساعة، وكأنه يوضح رضى الله عنه أن ماسكت عنه النبى لانسأل عنه، لأنه مَنْ خَبَر مَنْ بعدهم، ومن ثم لم يأت تأويلها بعد، فإذا أتى كان الحدث أو الأحداث هو التفسير الصحيح والتأويل المطابق للآيات، ومن ثم لايعلم تأويلها الصحيح من الناس إلا أهل زمانها.

يؤكد هذا ماعلّق به إبن كثير على الرواية السابقة بقوله:(.. وأقرب مافيه أنه موقوفٌ على عمر رضى الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضى الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من امره تعنتًا وعنادًا والله أعلم).

أما المقسم عليه فهو وقوع المعاد كما قال ابن كثير رحمه الله(إنما توعدون لصادق وأن الدين لواقع) قلت والله تعالى أعلم أن المقسم عليه هو العذاب او الزلزال الذى يسبق الساعة والبعث لأن هذا كله مما أوعد الله تعالى به الإنسان، فَلِمَ نقصره على المعاد كما قال ابن كثير.؟! فالأولى أن يشمل كل ماأوعد الله تعالى به فى القرآن الكريم واخطره الزلزال والخسوف وكل ماجاء عن مشاهدهما فى القرآن الكريم

(١) نفس المصدر والصفحة.

والسنة ثم المعاد للحساب فتأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ أى العذاب أو القيامة الصغرى وقوله: ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ القيامة الكبرى.

والشاهد من هذا كله لموضوعنا هو أن قسم الله عزوجل «بالمرسلات» «والنازعات» «والطور» وأمور كثيره أخرى هو مما يأتى تأويله فى آخر الزمان وعندما يأتى تأويله ويحدث فإن البشرية تكون بين يدى الساعة وأن هذه جميعا من أماراتها بالمعنى الإصطلاحى الذى ذكرناه لامارات الساعة من قبل وهذا ماستحقق منه فى الفصول التالية بإذن الله تعالى وتوفيقه.



الباب الثانى

رؤية القيامة رأى العين

الفصل الأول: عَصْرُ مُسِرَّات يوم القيامة المتفاقمات.

الفصل الثانى: المُسِرَّاتُ المتفاقمات الإثنى عشر فى سورة التكوير

الفصل الثالث: الأقمار الصناعية قمة المُسِرَّاتْ المتفاقمات فى القرآن الكريم

الفصل الرابع: القسم بامارات حضارية فى سورة الطور على وقوع العذاب



الفصل الأول

عصر مسرات يوم القيامة المتفاقمات

١١ - عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها.

١٢ - مسرات يوم القيامة فى ثلاث سور قرآنية.

(١١) عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها:

بناء على ما سبق، نثبت حقيقة هامة من حقائق الوحى الخاتم: وهى أن النبى ﷺ لم يترك شيئًا سيحدث منذ عهده إلى يوم القيامة إلاّ وقد أخبر به. وكذلك أخبر القرآن الكريم بكل ما سيحدث من بعد نزوله إلى يوم القيامة بدليل قول النبى ﷺ عن كتاب الله تعالى: ﴿... فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم...﴾ وما بعد الصحابة الذين خاطبهم النبى ﷺ بهذا الحديث هو كل ما سيأتى إلى يوم القيامة وأحداث يوم القيامة إلى أن يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار دركاتهم. وهذا يوافق المعلوم بالضرورة عن السنة بأنها تفصيل وتفسير لما فى القرآن الكريم.

والسؤال الذى يفرضه سياق الموضوع علينا الآن هو:

إذا كان، الأمر كذلك، وهو كذلك حقا، فهل من المعقول ألاّ يتضمن الوحى الخاتم: كتابا وسنة، أخباراً عن التقدم العلمي والتقنى والصناعى الذى تعيشهُ البشرية فى العصر الراهن تفصلاً وليس إجمالاً، وتصريحاً وليس تلميحًا.؟! هل يمكن أن نتصور إكتفاء الوحى بذكر هذا كله إجمالاً وتلميحاً وإغفال ذكره تفصيلاً وتصريحاً؟!

الإجابة : لا يمكن أن نتصور هذا الاغفال ولا يجوز تَصَوّره، ولا شك أن هذا التقدم العلمى التقنى الصناعى مذكور تَفْصيلا فى الكتاب والنسة ولا يقدح فى هذه الإجابة الصحيحة غفلة كثير من أساتذة التفسير والحديث المعاصرين، وكذلك العلماء الذين تَعَرَّضواُ لتفسير القرآن الكريم أو شرحوا السنة الشريفة عن هذه الحقيقة رغم مرور أكثر من قرن من الزمان على بدء التقدم الصناعى والتقنى وظهور وانتشار المخترعات الحديثة، وما هذه الغفلة إلا لأنهم غالبا ما تمسكوا بتفسيرات القدماء وهنا يبرز إلى الذهن إعتراض يقول: إذا كانت أخبار المخترعات الحديثة والمعاصرة وعجائب زماننا التقنية مذكورة صراحة وتفصيلاً فى القرآن الكريم

---

(١) سبق تخريجه.

(١) سنن النسائى الكبرى حديث ١١٠٤٨

والسنة، فَلِمَ لم ينتبه إليها المفسرون الأولون، ولم لم يَتَحدَّثوا عنها، ولم يعلموا ما نعلمه نحن، ولم يذكروها تفصيلاً وصراحة، حسب ما نزعم بأنها موجودة في نصوص الوحي؟!

والإجابة على هذا الاعتراض الوجيه هي أن النصوص المتحدثة والمخبرة بأحوال عصرنا التقني الصناعي مُصَاغةٌ في غاية الحكمة وفي بلاغة معجزة، فهي مع دلالتها الصريحة والمُفَصِّلَة على أي إختراع من اختراعات العصر، فإنها تأتي مصاغة بحيث يمكن تفسيرها أو تأويلها على أمر أو شيء آخر مما يفهمه السابقُون الأولون، وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الكون كله والمسلمون يَتَعَبَّدُون في صلاتهم وتلاوتهم به، فلابد أن تكون آياته مفهومة لكل المسلمين على مر العصور منذ نزوله إلى يوم القيامة، فالآيات، التي يأتي تأويلها في آخر الزمان لابد أن تكون مصاغة بكيفية بلاغية معجزة بحيث تحتمل المعنيّيْن: الأول الذي يصلح معنى ومفهوما ودلالة مقنعة للأولين، ثم الثاني وهو الذي يتطابق على أحداث الساعة أو على حال أهل آخر الزمان، ويكون في نفس الوقت التفسيران صحيحيْن ومُوافقيْن للآية، حسب مقتضيات اللغة وألفاظها، وهذا هو ما نجده في كثير من الآيات أو السور التي تتحدث عن أحوال وأحداث يوم القيامة. ومن ثم ونظرًا لأن هذه الآيات تحمل مدلولات مقنعة حسب منطوق اللغة لأهل كل زمان، وجدنا المفسرين في كل عصر يكتبون في تفسير آيْ الذكر الحكيم ما هو متوافق مع عصرهم وثقافتهم وعلومهم، حتى إذا تحقق المدلول المطابق تماما للآية في عصر يوم القيامة الذي تتحدث عنه كان هو ـ وبمقتضى اللغة ـ التأويل الدقيق لها ولا يتعارض أو يختلف في نفس الوقت مع التأويلات السابقة لأنها جميعاً متوافقة مع الدلالة اللغوية للآية، وهذا يعني أن آيات أحداث الساعة وإماراتها أو أشراطها حَمَّالَةُ أوجه أي أن صياغتها وأسلوبها يصلح لأن يفسر على أكثر من وجه وكلها مطابقة للغة. ذلك أنه لا يجوز لمفسر ولمسلم أن يفسر أو يؤول آية من كتاب الله تعالى برأيه، والمأثور عن الصديق الأول في الأمة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قوله: «أي أرضٍ تقلني وأي سماء

تظلني لو قلت في كتاب الله برأيي؟» وهذا مما لا يختلف عليه أهل السنة والجماعة في التفسير، والذي يحكم هذا الجُنوح بالرأي في التأويل ويمنعه عن المفسر هو التزامه بالدلالة اللغوية المحضة للآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [٢/ يوسف] فيجب أن يكون التأويل مطابقًا مطابقة تامة دقيقة مع المدلول اللغوي للآيات، وهذا هو العاصم من القول في القرآن الكريم بالرأي، لأن القول بالرأي غالبًا ما يكون نابعًا من الهوى، ومن ثم يكون هذا تحريف لمعاني الكتاب نَعُوذُ بالله تعالى من ذلك، ونسأله العصمة منه. ومنهجي في تفسير آيات اليوم الآخر وأحوال وأحداث يوم القيامة هو التزام المدلول اللغوي بدقة، فإذا تطابق هذا المدلول للآية على حال من أحوال العصر الذي نعيشه أو على صناعة من الصناعات أو اختراع من الإختراعات، فإن هذا التأويل يكون صحيحاً بإذن الله تعالى، بل يكون أقوى في الصحة من غيره إذا خالفه، لماذا؟ لأن الآية تتحدث عن أحوال يوم القيامة، وهذا الحال موجود في زماننا المعاصر ولم يوجد بهذا التطابق من قبل ومن ثم فإن التفسير يكون صحيحا باعتبار أن آيات أشراط الساعة تتحدث عما سيكون دائماً، فإذا تحقق هذا الذي تذكر الآية أنه سيكون دل هذا على صحة التفسير، ودل على أن البشرية تعيش يوم القيامة أو إرهاصاته ومقدماته التي هي علاماته وأماراته، علاوة على إثبات صدق النبوة وأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ. وليس لمعترض بعد ذلك أن يعترض على أي تأويل من هذه التأويلات ما دام المدلول اللغوي الدقيق يتطابق بدقة على الحال العصري أو الاختراع العصري بحجة أن السابقين الأولين لم يفسروا الآية بهذا التفسير الجديد لأن الآيات التي تحمل خبر الذين بعد الصحابة والذين هم أهل آخر الزمان والتي أخبر عنها النبي ﷺ أنه لم يأت تأويلها بعد، والتي عناها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله (ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آيٌ يقع تأويلهن يوم الحساب)[1] هذه الآيات لابد أن يكون تفسيرها عندما يأتي تأويلها جديدا ومُغَايِراً تماما لتأويلات السابقين لها، وهذا يبطل هذا الاعتراض.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن رقم ٣٨.

ولم يبق إلاَّ أن يعترض معترض على ما سأذكره من تأويلات جديدة، ليس لأنها من قبيل الرأى أو لمخالفتها لقواعد التفسير أو لمخالفتها للسابقين الأولين من المفسرين، وإنما فقط يكون اعتراضه لمجرد أن قائلها هو العبد الفقير إلى الله عز وجل وليس غيره، ممن يكبرون فى عين هذا المعترض، والرد على أمثال هذا المعترض أن الفضل لله يؤتيه من يشاء، وله الفضل والمنة سبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا إياه عز وجل.

ومن ثم نقول أنه لا يقدح فيما ستقرأه أخى المسلم من تأويلات جديدة للآيات التى تتحدث عن أحوال يوم القيامة وأماراته، أقول لا يقدح فيها أن السابقين الأولين لم يقولوها لأنهم ليسوا أهل زمانها كذلك لا يقدح فيها غفلة كثير من أساتذة التفسير والحديث المعاصرين عنها، وقلة النتائج المرصودة فى هذا المجال.

والحقيقة أنهم ما غفلوا عن مطابقة ما فى القرآن الكريم والسنة من أخبار الساعة مع أحوال عصرنا ومخترعاته وصناعاته واكتشافاته إلا لأنهم غالبًا ما تمسكوا فى تفسيرهم وشروحهم بما جاء عن المفسرين والشارحين القدماء، فجمدوا عليها وفهموا العلم على أنه مجرد النقل من القديم. فنقلوا تأويلات السابقين الأولين من العلماء الذين لم يشاهدوا ولم يعايشوا ما نشاهده وما نعايشه نحن من تأويلات لكثير من نصوص الوحى المتحققة فى مخترعات وأحداث وأحوال عصرنا الراهن، الأمر الذى يفيد جزما بأنه لن يعلم هذه التأويلات إلاَّ معاصرون لهذه الأحداث والأحوال.

بل إن العجيب أنه لا يلتفت أحد إلى ما كتبه رائد علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله، كما ذكرت من قبل، ولم ينتفع بمنهجه أحد، وإن كان ما كتبه قليل محدود رحمه الله إلا أنه خط المنهج وفتح الباب.

فالإجابة اليقينية هى: نعم، أخبر الصادق المصدوق فى السنة بكل ما تعيشه البشرية الآن من عجائب تقنيَّة وصناعيّة والكترونيّة، كما جاء عن أكثرها آيات فى كتاب الله الحكيم، وكل هذا سنقرأ مطابقاته فى ثنايا وفصول هذا الجزء، بعضه مأخوذ عن كتاب

الشيخ محمد بن صديق الغماري رحمه الله «مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية»، وهو الذي أخذ منه الآخذون ونسبوه إلى أنفسهم من غير الإشارة إلى كتابه، وأما أكثره فهو مما فتح الله تعالى به عليّ في هذا المجال، ومما نبّه إليه الشيخ الغماري رحمه الله في صدر كتابه هو الإجابة على السؤال المذكور آنفا والمتمثلة في أحاديث للمصطفى ﷺ صرح فيها بما ستراه الأمة بين يديْ الساعة من الأمور العظيمة التي يتفاقم شأنها في أنفسنا حتى أنه سيكون من المسلمين من يتساءل: هل أخبر نبينا ﷺ بهذه الأمور العجيبة والمخترعات الخطيرة في حياة الناس؟!

فتكون الإجابة نعم حدّث ﷺ بكل هذا، بل وأخبر عن أثرها في نفوس الناس، بل وأخبر عن تساؤل المسلمين آنف الذكر... فهو خبر مفصل صريح، فقال فيما رواه الإمام أحمد (عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال، ممسوح العين اليسرى، كأنها عيْن أبي تحيٍّ - لشيخ من الأنصار - وإنه متى خرج، فإنه يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدقه واتبعه، فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه؛ فليس يعاقب بشيء من عمله سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلها؛ إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس، فيزلزلون زلزالا شديدا، فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده، حتى إن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادي: يا مؤمن! هذا كافر يستتر بي؛ فتعال اقتله». قال: «ولن يكون ذلك حتى تروْا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم وتسألون بدنكم: هل كان نبيكم ﷺ ذكر لكم منها ذكرا، وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على إثر ذلك القبض»[1].

وشاهدنا في هذا الحديث قوله ﷺ: «ولن يكون ذلك حتى تروْا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم» أي أن أحداث خروج الدجال ونزول المسيح بن مريم عليها وعلى نبينا الصلاة والسلام الواردة في الحديث لن تكون إلا بعد أن تحدث أمور يتفاقم شأنها في أنفس المسلمين.

---

(١) رواه الإمام أحمد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه ورواه ابن حبان في صحيحه. ورقمه في المسند ١٩٧٢٢.

فما هى هذه الأمور؟ أو على الأقل من أى نوع هى هذه الأمور؟

للإجابة على هذا السؤال يجب علينا أن تعرف أولاً معنى تفاقمها فى أنفسنا.

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (الفاء والقاف والميم أصل صحيح يدل على إعوجاج وقلة استقامة من ذلك الأمر الأفقم وهو الأعوج والفقم أن تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا، وهذا هو أصل الباب) ثم قال: (وزعم أبو بكر أن الفقم الامتلاء يقال: أصاب من الماء حتى فَقِمَ هو أصل الباب، فإن كان هذا صحيحا فهو أيضًا قياسه) وجاء فى مختار الصحاح (تفاقم الأمر: عظم) وهو تابع لهذا الأصل الأخير.

فالكلمة إذن تشتمل حسب أصلها على عنصرين هامين وهما الأعوجاج والتعاظم، وحيث أن الأعوجاج فى حياة البشر لا يكون إلا فى الجوانب السلوكية، فإن هذه الأمور المتفاقمة فى الأحوال الاجتماعية والدينية والخلقية والسياسية والاقتصادية لا معنى لها إلا الفساد، وفى هذا إشارة إلى إفسادة اليهود الكبرى السابقة للخروج العلنى للدجال بزعامته.

أما إذا كانت الأمور المتفاقمة بمعنى المتعاظمة فى نفوس المسلمين بخاصة والناس بعامة فهى أمور تكبر وتتعاظم فى النفوس يوما بعد يوم خلال هذا العصر الذى يسبق خروج الدجال العلنى ونزول المسيح عليه السلام. ولتعاظم هذه الأمور المتزايد يتردد بين المسلمين سؤال يقول: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا؟ والإجابة: نعم.

فالسؤال إذن عن المخترعات الحديثة والمعاصرة، وهى أمور تتفاقم فى ذاتها يوما بعد يوم بتطوير الاختراعات، ثم إنها تتعاظم فى نفوس الناس إعجابا وتعجبا و؟؟ وسرورا ومتعة ورفاهية وترفًا وفتنة بها يوما بعد يوما بعد تعاظمها يوما بعد يوم.

والذى يدعو المسلمين إلى أن يتساءلوا هذا السؤال هو أنه ليس من المعقول أن يخبر النبى ﷺ بأمور جزئية وأحداث فردية ذات أثر بسيط فى حياة الأمة، والأمثلة على هذا كثيرة فى السنة، ثم هو ﷺ لا يخبر بهذه الأمور ذات الأثر الخطير فى حياة البشرية بعامة والأمة الإسلامية بخاصة.

ولكن الأمور المتفاقمة فى النفوس قد تكون من قبيل السلوكيات الخلقية فقط، ولا تشمل الاختراعات والصناعات التقنية، فما الدليل على اشتمالها على هذه الأخيرة؟

الدليل هو الفقرة الأخيرة من الحديث الشريف إذا ضرب رسول الله ﷺ لنا مثلا من أمثلة هذه الأمور المتفاقمة أى المتعاظمة ليوضح لنا من أى نوع من هذه الأنواع هذه الأمور.

وهذا المثل الذى ضربه لنا ﷺ هو علامة أو إمارة من إمارات التقدم المذهل الهائل فى تقنيات الهدم والتشييد والبناء ومعدات النقل والرفع فقال: (وحتى تزول جبال عن مراسيها) أى أنكم أيها البشر أو أيها المسلمون ستتمكنون من كل شيء تحتاجون إلى فعله حتى من إزالة الجبال عن مراسيها بنسفها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (/ ١٠ / المراسلات) ثم حملها والسير بها أشلاء محترقة أحجاراً مختلفة الأحجام إلى حيث تلقونها بعيداً فى الخلاء. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾(/ ٣ / التكوير) .

صحيح أن رسول الله ﷺ لم ينسب إزالة الجبال عن مراسيها أى قواعدها للإنسان كما ذكرتُ، ولكن الواقع المعاصر يجزم بأن هذا قدتم بفعل الناس اليوم، وهو ﷺ لم ينسب إزالتها للإنسان لحكمة عظيمة ليست خافية وهى منع فتنة الصحابة إذ سيصعب عليهم تَصور تمكن الإنسان من هذا وأمثاله وهو نفس منهج القرآن الكريم فى ذكر هذه الأحداث وأمثالها حيث يذكرها مبنية للمجهول قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (/ ١٠/ المراسلات) وقال تعالى أيضاً ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾(/ ٣ / التكوير).

ثم قال رسول الله ﷺ بعد ذلك فى نهاية الحديث (وعلى أثر ذلك القبض) أى أحداث القيامة الصغرى بنفخة الفزع ونزول العذاب، وقد تم الآن إزالة الكثير من جبال مكة عن مراسيها ومد الطرق وإقامة النباتات الشاهقة محلها وكذلك بعج بطونها وشق الانفاق أو الانقاب بداخلها بإعداد هائلة تعد بالعشرات فإذا كانت إزالة الجبال عن قواعدها مثلا من أمثلة هذه الأمور المتفاقمة فى النفوس، فإن هذه الأمور ليست سوى المخترعات والصناعات والمعدات والوسائل والأجهزة والاختراعات المحققة لمسرات العشرية ورفاهيتها وزينتها وزخرفها التى هى المرحلة

الأولى من مرحلتيْ القيامة الصغرى التى يعقبها بالضرورة المرحلة الثانية فيها وهى ما ورد الخبر عنها فى نهاية الحديث بتعبير (القبض) أى الموت وهو العذاب النازل بنفخة القرع وما يتبعها من الزلزال العظيم والخسوف وموت أكثر الناس وغير ذلك مما سبق ذكره مفصلا فى الجزء الأول.

إن أحوال وأخلاق ونظم وأحداث زمن العجائب الذى تعيشه البشرية الآن كلها تتفاقم أى تعوج وتنحرف وتفسد وتزداد يوما بعد يوم، وكذلك تقنيات وصناعيات وألكترونيات هذا الزمن تتفاقم ، أى تتعاظم يوما بعد يوم. لذلك يَصِحُّ منا الاستنباط بأن الحديث يتناول كل ما يتفاقم فى أنفسنا حتى الشر الذى يزداد والظّلم وإراقة دماء المسلمين فى مذابح لا ينتهون من إحداها حتى يبدأوا فى الأخرى. كما أنهم يزدادون فى اختراعاتهم كماً وكيفاً خيراً وشراً ودماراً شاملاً ومحدوداً هذا كله جعل الناس يتساءلون هل كان نبيُّكم ذكر لكم منها ذكراً؟ هل يوجد فى أحاديث النبى ﷺ ما يتناول هذه الأحوال وهذه الأشياء التقنية؟! نعم ذكر لنا نبيُّنا منها ذكراً ﷺ.

والرواية الأخرى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ستَرَوْن قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما، تقولون: هل كنا حُدِّثْنَا بهذا؟! فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى، واعلموا أنها أوائل الساعة)(١).

وهذا الحديث ضعيف ولكن الحديث الأول يُقَوِّيه وهو يتميَّز عن الأول بأن الذى يَعْظُم فى نفوسنا فى الحديث الأول سنستنكره هنا واسمها أمور فى الأول وأشياء فى الثانى والنص فى الثانى على أن هذه الأشياء دليل أن الدنيا فى أوائل الساعة أى إماراتها الدالة على قرب حدوث آياتها التى هى بعينها دلالة واضحة على قرب وقوعها.

ومن ثم فالحديثان يتناولان فى المقام الأول المجال الصناعى التقنى فى عصر العجائب الذى تعيشه البشرية الآن ومنذ عشرات السنين مع بدء التقدم الصناعى والتقنى فى جميع مجالات الحياة.

وهما دلالة واضحة صريحة دامغة بالغة على أن القيامة الصُّغْرَى على الأبواب.

---

(١) رواه الطبرانى والبزار وفى سنده ضعف ولكن حديث الإمام أحمد رحمه الله صحيح وهو يقوى هذا الحديث لاتفاقهما فى المعنى.

(١٢) مسرات يوم القيامة فى ثلاث سور قرآنية:

علمنا من الباب السابق أن الله عزَّ وجل قد مكّنَ الإنسَان من تسخير كل شيء لحياته بالصناعة المبنية على العلم والإتقان فى العمل، لكى يحقق بهذا التسخير المنافع والمصالح التى تستمر بها حياته ليس بالنسبة للضروريات فقط، بل أيضًا بالنسبة لما يحقق الزينة والزخرف والمتاع والترف والراحة. وكذلك مكنه الله تعالى لأسباب القوة تحقيقًا للإبتلاء.

ولكن غالباً ما يطغى الإنسان إذا ما إبتلاه الله بالقوة والغنى والرفاهية والترف، وهذا هو ما حدث فى عصرنا الراهن. حتى أخذت الأرض زخرفها وإزيّنت، وتحققت لأهل الباطل القوة الباطشة التى وصلوا إليها بالعلم والصناعة المتقنة متمثلة فى أسلحة الدمار الشامل فطغى هؤلاء الأقوياء الأغنياء المترفون وبغوا على الضعفاء الفقراء الذين يطلقون عليهم المتخلفين.

وارتكب الإنسان كل أعمال الشر، وظهر الفساد الخلقى والدينى والاقتصادى والسياسى بقيادة بنى إسرائيل وبزعامة المسيح الدجال.

وظهر الفساد فى البر والبحر، أعنى فسَاد البيئة، بما كسبت أيدى الناس، وكل هذا فى زمن زخرفة الأرض وزينتها.

وهذا هو يوم القيامة الصغرى بعينه، أو هو بدء يوم القيامة، أوله زخرفة وزينة وغرور بالقوة الظالمة وبطش، وآخره عذاب كما جاء وصفه فى سورة يونس ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[/ ٢٤/ يونس] فأول هذا اليوم زخرفة وزينة وقوة وغرور بالقوة وبطش بها، ثم ينتهى بمجيء الأمر الإلهى المتحقق بنفخة الفزع لتصبح الأرض بعد ذلك حصيدا حسب ما جاء وصفه مُفَصَّلاً فى حديث الصور الطويل عن نفخة الفزع.

هذا اليوم يتكون من حالتين:

الأول: هو ما جاء وصفه فى الآية بزخرفة الأرض وزينتها والقوة الباطشة الغرورة.

الثاني: هو مجيء أمر الله عز وجل بالعذاب الذى يُحيل كل هذا الزخرف والزينة والقوة الباطشة إلى حصيد فى يوم واحد أو فى ساعات حتى يكون كل ما تحقق من بناء وتعمير وزخرف وزينة وقوة فى اليوم الذى يلى يوم العذاب كأن لم يكن، ويدل على أن الآية تتحدث عن القيامة الصغرى التى تُتَم بنفخة الفزع بخلاف نفخة الصعق التى لا يأتى على البشر بعدها غد ولا مستقبل، ولن يوجد آدمى أو جنى أو كائن حى نشرق عليه الشمس فلا يكون للدنيا غد وكذلك بالنسبة لنفخة البعث يقومون للحساب لا يتحدثون عن الدنيا وعن الزمان كله إلا باعتباره كان عشر أيام أو يوما أو قليلاً فأول يوم القيامة سرور وبهجة ومتاع وترف ورفاهية للناس أو لأكثرهم وبخاصة للأشرار المفسدين منهم.

وآخره دمار فى الأرض كلها، وعذاب فى الأرض، وبخاصة لأشرارها وأكابر مجرميها .

ولا شك أن من يقرأ أو يسمع عن مسرات ومباهج ومتاع وتَرفَ ورفاهية يوم القيامة يُصيبه الدهشة، لأن كل ما يعلمه المسلمون عنه، هو أنه يوم العذاب والدمار والهدم والموت، لكن هذه هى الحقيقة الغائبة التى يجب على كل مسلم أن يعلمها، وهى أن ليوم القيامة مسرات ومباهج وزخرفا وزينة، ويصاحب هذا كله القوة الباطشة الغاشمة والكيد العظيم فى عهد الجبابرة الظلمة. وليس هذا بمقتضى ما دلت عليه آية سورة يونس فحسب، بل وبمقتضى الحديث الشريف الذى رواه أحمد والترمذى وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه (عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت وإذا السماء إنفطرت وإذا السماء إنشقت﴾ فإذا تأملنا قوله ﷺ: (من سَرَّه) تأكد لنا أن أحداث يوم القيامة أمور تنتمى إلى المسرات والمبهجات والممتعات والزينة والزخرف، وإلاَّ لَمَا قال عليه الصلاة والسلام: أن رؤيتها أمر يسر الناظر إليها

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور حـ٦ صـ٣٥٤.

رأى العين وهذا المعنى يتوافق مع الزينة والزخرف والقوة فى آية سورة يونس، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن الحديث يدل دلالة صريحة على أن ما تتّضمَّنه آيات سورة التكوير والإنفطار والإنشقاق من أحداث ليوم القيامة هى فى المقام الأول أو غالبًا أمورٌ مُيسرَّة مبهجة من أحوال وأحداث وأشكال وألوان الزينة والزخرف، وهذا يستتبع أن تكون بعض السور التى تتناول أحداث القيامة متناولة لأحوال القوة الغاشمة الباطشة المتمثلة فى الأسلحة الحديثة : برية وبحرية وجوية، ثم أسلحة الدمار الشامل التى تحملها صواريخ قريبة ومتوسطة وبعيدة المدى حاملة للقنابل النَّووية أو الغازات الكيماوية أو القنابل البيولوچية أو ما يعرف إعْلاميا بأسلحة الدمار الشامل، حتى أن أهل هذه الأسلحة يظنون أنهم قادرون على الأرض، أى قادرون على غَيْرهم فى الأرض أو يظنون أنهم قادرون عليها أى على حمايتها من أى عذاب أو دمار يأتى من السماء بالنيازك أو الأجسام الهائلة الضخمة، أو من أى عوامل دمار أو فساد أخرى، وهذا ما سنراه فى أبواب هذا الجزء من القيامة الصُّغْرَى، وفى فُصُول هذه الأبواب.

وسَنَبْدأُ بسورة التكوير من هذه السور الثلاث لما تتضمنه من أحوال عامة شاملة لمُسرَّات يوم القيامة الذى تعيشه البشرية فى العصر الراهن من خلال السور الثلاث المذكَورة(١).

ثم نتبع هذا بباب آخر عن تفصيل هذه الأمارات التقنية والصناعية فى الكتاب والسنة، وهى تتضمن من الآيات ما يعرض المسرات وما يعرض مظاهر القوة الطاغية الباطشة فى شتى المجالات العسكرية والمدنية علميا وصناعياً، ودائماً ما يأتى الخبر عن هذا كله ثم يعقبه على الفور خبر نزول العذاب فى القيامة الصغرى وأحيانًا تكون أخبار هذه المخترعات والأحوال المحققة لسرور الناس وراحتهم ومتاعهم فى صيغة القسم، يُقْسم به الله عز وجل ويكون المقسم عليه هو نزول العذاب المرتقب يوم القيامة، ومثال ذلك سور النازعات والمرسلات والعاديات والطور وغيرها، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) أما سورتىْ الإنفطار والانشقاق فسيكون - بإذن الله تعالى - تفسيرهما فيما بعد فى مبحث خاص بأحداث القيامة التى تخص الأرض والسماء والجبال والبحار والكواكب.

الفصل الثانى
المُسرات المتفاقمات الأثنى عشر
فى سورة التكوير

(١٣) مسرات يوم القيامة وأحداثه المتفاقمة في سورة التكوير.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ⑮ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ⑯ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ⑱ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑳ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ㉑ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ㉒ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ㉓ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉔ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ㉕ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (/ التكوير/ ١- ٢٦).

لكي نفهم تفسير هذه الآيات الكريمات يجب أن نسترجع بعض ما سبق أن ذكرناه عن آيات أشراط الساعة، ومفهوم القيامة واليوم الآخر، وما سبق أن عرضناه عن سكوت سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله عن كثير منْ هذه الآيات مع التنبيه والإشارة إلى أن تأويلها سيأتي بعد، أي بين يديْ الساعة أو مع بدء يوم القيامة. وهذه الآيات الكريمات تتحدث عن يوم القيامة كما سنرى، ومن ثم فهي لاتفهم إلا من خلال هذا المنهج، ونُذَكِّر أيضا بحديث النبيّ ﷺ وآله عن الأمور التي تحدث بين يدي الساعة ويتفاقم شأنها في أنفس الناس في زمن الدجال وبصفة خاصة معنى يتفاقم أي يتعاظم.

لأن الأمور المتعاظمة يوما بعد يوم هي الاكتشافات العلمية والصناعات التقنية في شتى مجالات الحياة ونص الحديث الشريف (ولن يكون ذلك كذلك حتى تروْا أموراً عظامًا يتفاقم شأنها في أنفسكم)[١] ومثال هذه الأمور (حتى تزول الجبال عن مراتبها)[٢] والشاهد الذي سيساعدنا على فهم آيات سورة التكوير في هذا النص هو تعاظم الأمور بالتطور يوما بعد يوم لأن كل أمر من أمور سورة التكوير هو من الأمور

النامية المتطورة المتعاظمة بالبحث العلمى والاكتشافات والأجيال المتتابعة من المصنوع الواحد حتى يصل إلى التصميم الأبسط والأدق والأصغر والأكفأ أداءًا لوظيفته. حدث هذا بالنسبة للقطار والسيارة والطائرة والسفينة والغواصة والمذياع والتليفزيون وآلة التصوير بأنواعها والهاتف بأنواعه وأجياله وكذلك المعدات الثقيلة للنقل والبناء والرصف والحفر والحرث والرى وأخيرا الحاسبات الآلية التى بدأت بحاسب محدود فى حجم حجرة واسعة ثم إنتهى إلى حاسب فى حجم صغير جدا. يحسب بمقدار حساب مئات الألوف من حاسب الجيل الأول، ويخزن من المعلومات مقدار تخزين ملايين حاسبات الجيل الأول ولم تستغرق هذه الأجيال المتلاحقة من الحاسبات الآلية (الكمبيوتر) لكى تتطور وتتعاظم فى واقعها ويتفاقم شأنها فى أنفسنا سوى أربعة عقود فقط من الزمان، بل أقل.

وكل اختراع تقنى فى مجال من المجالات بدأ بفكرة بسيطة وبشكل ساذج وبوظيفة أقرب، ما تكون إلى لعبة الأطفال، ثم أخذت بعد ذلك تتطور بأثر متعاظم فى حياة البشر فأخذت أبعادًا اقتصادية وحضارية مما ساعد على سرعة التطور والتعاظم.

وهذا هو الذى تتناوله آيات سورة التكوير حتى أن كل آية منها لا تتناول سلعة صناعية تقنية واحدة، أو اكتشافا واحدا بل تتناول مجالا من مجالات الاكتشاف والتقنية والعلم والصناعة. وكما يكون كر الخيط من البكرة أو مِنْ شرنقة دودة القز سهلا إذا أمسكنا بطرفه الأول، وإنما تكون الصعوبة فى العثور على هذا الطرف والإمساك به، كذلك الحال بالنسبة لكل أمر من أمور سورة التكوير بالنسبة لإدراك أوله. فإذا أدركته البشرية واكتشفه العلماء استتبع بعضه بعضا وتسارع اكتشاف ما بعده وتسارعت الصناعات المبنية عليه وكثرت هذه المصنُوعات وهذا كله قد عاصره وشاهده جيلنا المعاصر خلال النصف الثانى من القرن العشرين. لكن أكثر هذه المصنوعات، بدأت منذ القرن الماضى.

ولكى نوضح أكثر نقول إن العمود الفقرى للحضارة أو المدنية المعاصرة هو الكهرومغناطيسية البترولية. إذ لولا اكتشاف الكهرباء والمغناطيسية ثم البترول لما صارت الحياة المعاصرة بالكيفية التى هى عليها الآن. وعلى هذا فأول اكتشاف للكهرباء المتمثل فى الشحنات الضعيفة فى بعض الأجسام نتيجة الاحتكاك هو أول خيط اكتشاف الكهرباء، ومن ثم تتابعت معرفة أسرارها وقوانينهاواستخداماتها ومخترعاتها فى كل مجال.

وأول اكتشاف لكل المخترعات البصرية والإشعاعية فى المجالات الطبية والتصويرية والاتصلاتية هو معرفة طبيعة الضوء وتجميع أشعة الضوء الشمسى من خلال أول عدسة صنعها الإنسان، هذا الأمر الذى تتابعت تفاقماته وتسببت مخترعاته فى كثير من مجالات الحياة، ومن ثم وصلوا فى نهاية القرن العشرين إلى أحدث الاكتشافات والمخترعات والصناعات المبنية على علم فيزياء الضوء وتجميعه ونعنى به كل ما يخص الطاقه الشمسية. وهكذا فى كل حدث من أحداث سورة التكوير، إذ يكون كل حدث جاء بعد «إذا» هو التطور النّهائى لسلسلة الأجيال أو الأحداث المتتالية المتفاقمة أى المتعاظمة مع مرور الزمن.

أما الأحداث ذاتها فهى من مشاهد يوم القيامة، وإن كانت من فعل الإنسان، كما سنرى، كما أنها من الأمور الممتعة التى تريح الإنسان وتبهجه وتزين الدنيا وتزخرف حَوْلَهُ الأرض..

أما كون أحداث سورة التكوير من أحداث القيامة وليست من أشراطها التى تدل على قرب مجيئها، وإنما تدل على بدء يوم القيامة فهو قول النبى ﷺ فيما (أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأىَ عين فليقرأ إذا الشمس كُوِّرت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) فهذه السورة إحدى ثلاث سور كل منها يتحدث عن مشاهد من صلب يوم القيامة، حتى أن من يقرأ عن أحداثها أو

يتصورها فكـأنه يرى القيامة، رأى عيْن، فمـا هى تأويلات هذه الأحداث التى وردت فيها بعد إذا؟!

ويلزم أن نورد هنا الحديث الذى يثبت أن هذه الأحداث التى هى من أحداث يوم القيامة، كما نص على هذا الحديث الصحيح، تقع فى الدنيا أى أن يوم القيامة يبدأ فى الدنيا كمـا سبق أن ذكرنا هذا فى أثر عن أبى بن كعب رضى الله عـنه أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأهوال وابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيـامة بينـما الناس فى أسـواقهم إذ ذهب ضوء الـشمس.... إلى آخـر الحديث)[1] وأخرج عـبد بن حـميد وابن المنذر عن أبـى العالية رضى الله عنه قـال ست آيات من هذه السورة فى الدنيا وست فى الآخرة قول الله تعالى : ﴿آذا الشمس كورت.. إلى .. وإذا البحـار سُجِّرت﴾ هذه فى الدنيا والناس ينظرون إليـه ﴿وإذا النفوس زوجت .. إلى .. وإذا الجنة أزلفت﴾ هذه فى الآخرة)[1].

ومعنى أنها تحدث فى الدنيا والناس ينظرون أنه من الممكن أن تكون قد حدثت أو على الأقل يكون بعـضـها قـد حدث، ولكـى نتحـقق من ذلك يلزم أن نعلم التـأويل الصحيح والتفـسير اللغوى الدقيق لهذه الآيات، ثم نبحث فى حـياتنا المعاصرة أو فى تاريخ الأمس القـريب وننظر ونـتدبر ونتـسـاءل هل حـدث شيء من هذه الأمـور أو الأحـداث؟! فـإذا تطابق الحـدث مع الآية حـسب تفـسيـرها اللغـوى المحض فلنا، مطمئنين، أن نقرر بمقتضى التطابق أن هذا هو التـأويل المتوقع قد حدث، فإذا تطابقت تفسيرات هذه الأشـراط الستة أو أكثر مع أحداث معاصـرة وجارية لها بدايات قديمة وتطورت وتفاقـمت وتعاظمت حتى ظهرت فى هذه التى ورد ذكـرها فى هذه السور الثلاث فلنعلم مطمـئنين بل موقنين بأن يوم القيامـة قد بدأ وإننا نعيشه ولـنرتقب بقية أحداثه. فليس بَدْءُ يوم القيـامة الصغرى بالصعق كمـا يظن البعض خطأ، بل هو يبدأ فى الدنيا والناس ينظرون، وهذا تأكيد لما ذكرناه فى الجزء الأول والثاني.

---

(١)، (٢) الدر المنثور للسيوطى / حـ٦ ص ٣٥٤. وهذا قول أبى العالية وربما نخالفه ونثبت أن الجميع فى الدنيا، وأنها جميعا من أحداث القيامة الصغرى.

(١٤) فما هو تأويل قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(/ ١/ التكوير)- بمحض المدلول اللغوى؟

قال ابن منظور فى لسان العرب: تكوير العمامة هو لفها وجمعها. وتكوير الليل على النهار تغشيتُهُ كل واحد منهما صاحبه، أى يدخل هذا على هذا وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها وكوِّرت الشمس : جُمعَ ضوؤها ولُفَّ كما تلف العمامة(١). ولعل الذى يذهب بالذهن بعيدا عن معنى هذه الآية الصحيح هو انصرافه حين سماع اسم الشمس إلى القرص مع أن من معانيها العربية الصحيحة شعاعها وضوءها وحرارتها، من هذا قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ (/ الكهف/ ١٧) فالذى يتزاور ذات اليمين عن الكهف هو الشعاع الساقط على الكهف وليس قرص الشمس، فالشمس بهذا المعنى هى ما يقابل الظل. ومعنى تكوير شعاع الشمس تجميعه لأن التكوير هو التجميع والتكَوُّر هو التجمع.

وأول ما استطاع الإنسان تجميع شعاع الشمس وحرارتها تَمَّ باختراع العدسة المقعرة التى تجمع الضوء فى بؤرة ويتركز الضوء فالبؤرة هى النقطة التى يكون ضوء الشمس أشد ما يكون تجمعا وتركيزا ومن ثم تتولد منه حرارة حارقة.

ذلك هو أول الخيط فى كل المخترعات التى توالت بعد ذلك وتقوم فكرتها على التحكم فى تجميع وتفريق أشعة الشمس ثم أشعة الضوء عموما فنتج عن ذلك كل الأجهزة البصرية : التلسكوب المقرب والميكروسكوب المكبر والسينما والتلفزيون وكاميرات التصوير لأنها جميعًا تؤدى وظيفتها خلال العدسة ثم بعد ذلك كثير من أجهزة الأشعة الطبية التى تستخدم العدسات أو ما يقوم بوظيفتها وبعد ذلك ظهرت أجيال من استخدام الأشعة تجميعا بالعدسات وتركيزا من خلال الليزر الذى دخل فى شتى مجالات الحياة.

لكن آخر جيل من هذه المخترعات هو فى مجال، أهم مافيه تجميع أشعة الشمس وهو مجال الطاقة الشمسية الذى يعتبره البعض الأمل فى مستقبل آمن فى مجال الطاقة للبشرية، بعد نضوب البترول، وبدأت أبحاث واستخدامات الطاقة الشمسية منذ عده عقود لكنها أخذت الصورة الجدية فى منتصف السبعينات من هذا القرن الميلادى بعد ارتفاع سعر البترول. وقد وصلت الاكتشافات فى هذا المجال إلى توليد الكهرباء من خلال تجميع الشمس فى خلايا ضوئية ولهذا عدة تطبيقات ناجحة فى هذا المجال ومنها أيضًا صناعة سيارات تسير بالطاقة الشمسية..

فتكوير الشمس بمعنى تجميعها فى استخدامات شتى بدأ منذ اختراع العدسة وتعاظم وتفاقم حتى تشعبت فكرتها فى أجهزة شديدة التعقيد ولازال التفاقم مستمرا حتى اليوم فى أبحاث الطاقة الشمسية التى يصدق عليها تكوير الشمس أى تجميعها من خلال مرايا أو عدسات أو خلايا ضَوْئية، فانظر وتأمل فى هذا التعبير (إذا الشمس كُوِّرت) الذى يصدق على وظيفة العدسة وهو الشكل الأول من هذا التكوير إلى الخلايا الضوئية المُوَلِّدة للكهرباء من أشعة الشمس وهو الشكل الأحدث المعاصر لهذا التكوير وما بينهما من أجهزة دقيقة وإلكترونية معقدة فكرتها الأساسية التى تقوم عليها هى تجميع الأشعة، وبعد النظر والتأمل نسلم ونتأكد من أن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة قد حدث وبلغ فى تفاقمه وتعاظمه إلى منتهاه أو قريب من أحداثه الأخيرة. وكل نتائج الشمس هو مما يُسرُّ الإنسان ويمتعه وصدق رسول الله ﷺ.

(١٥) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ (/ التكوير / ٢)

التفسير اللغوى للمصدر (كَدَرَ أنه نقيض الصفاء وفى الصحاح خلاف الصفو،... وكَدِرَ الماء بالكسر يكدر كدرًا،... وكدَّره غيره تكديرا جعله كَدِرًا، وكدَرة الحوض بفتح الدال طينُه)[١]، لأنه هو الذى يكدر الماء إذا ترجرج فيه والمعنى أن تكدر الماء يمنع رؤية مابقاع الحوض إذا انكدر، فالانكدار وجود ما يكدر الوسط

---

(١) لسان العرب لابن منظور / حـ٥ ص ٣٨٣٤.

بين الرائى والمرئى ومن ثم قال فى اللسان (وتكادرت العين فى الشىء إذا أدامت النظر فيه)[1] لأنها لو رأته بوضوح من النظرة الأولى ما أطالت النظر فتكادر العين عجزها عن رؤية المراد رؤيته، إما لشىء فيها وإما لشىء فى المرئى وإما لوجود ما يعكر الوسط الشفاف بين الرائى والمرئى.

وعلى هذا فانكدار النجوم باعتباره حدثا متناميا متعاظما يزداد يوما بعد يوم إما أن يكون بسبب فى أعين الناس أو بسبب فى النجوم أو بسبب كدر فى الوسط بين الأرض والنجوم.

فإذا كان السبب فى الحالة الأولى فإن انكدار النجوم يكون دائما فى الليل بطوله وفى جميع الليالى وتكون منكدرة أيضا من أى مكان فى الأرض. وبالنسبة لكل الناظرين إليها، وليس الأمر كذلك لأنه إذا كان الكدر فى الأعين فلايكون فى أعين الناس جميعا وإلا لما صار الحدث خاصا بالنجوم فحسب وإنما يكون الانكدار مسحوبا على كل المرئيات ولكان الحدث خاصا بأعين الناس، ولو كان السبب فى النجوم لدام الأنكدار وعم، ولما رآها بوضوح أحد، وهذا أيضا لم يكن ومن ثم لم يبق إلا أن يكون انكدار النجوم بسبب وجود الكدر فى الوسط بين أعين الناس وبينها وفى هذه الحالة لا يحدث الانكدار إلا فى وجود هذا الوسط، فلايكون لكل الناظرين، ولايكون فى كل وقت ولا يكون من كل مكان.

وهذا هو الذى حدث منذ أواخر القرن الماضى عندما تم افتتاح إضاءة أول مدينة فى العالم بالكهرباء فى حضور مخترع المصباح الكهربائى أديسون وهى مدينة نيويورك.

لقد بدأ انكدار النجوم أمام أعين أهالى نيويورك بسبب المصابيح الكهربائية التى أضاءت وسط المدينة فى هذا الوقت، حتى إن أحدهم إذا نظر فوق رأسه لم ير

---

(١) لسان العرب لإبن منظور / حـ٥ ص ٣٨٣٤.

النجوم، لأن انبعاث أضواء المصابيح الكهربائية فى الفضاء يشكل الانكدار فى الوسط الذى بين أعين الناظرين وبين النجوم فى السماء. وهكذا بدأ هذا الحدث التقنى الصناعى يتفاقم ويتعاظم مع الأيام حتى ملأ مدن الدنيا كلها بأضواء صفراء لامعة كدَّرت النجوم فلا ترى من داخل أى مدينة لكنها تُرى من الريف أو الحقول المظلمة أو من الصحارى أو البحار كما كانت ترى دائما.

فقوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ إشارة إلى الكهرباء بعامة فى حياتنا، وإلى الإنارة بالكهرباء بخاصة، لأن التعدد فى استخدامات الكهرباء فى شتى مناحى الحياة كان ينمو ويتطور ويتفاقم فى كل الاستخدامات وليس فى البعض دون البعض فقوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أى إذا أضأتم مدنكم حتى لم تعودوا تَرَوْنَ منها النجوم رغم النظر كثيرا فى السماء إليها.

وحيث إن التقدم والتطور والنمو الاستخدامى للكهرباء كان فى المحركات والأجهزة السمعية والبصرية وأجهزة الاتصالات تماما كما كان فى الإضاءة والإنارة فإن تحقق هذا الحدث يفيد إشارة الآية ضمنا إلى سائر الاستخدامات بجانب ذكرها صراحة للإنارة كأهم استخداماتها. فالآية إذن تتحدث عن الكهرباء عن طريق ذكر لازم من لوازمها وهو انكدار النجوم فهو إذن علامة على أمر ممتع يحقق الراحة والرفاهية للإنسان وليس أمر سيئًا كما يظن البعض خطأ.

ومعلوم أن اكتشاف الكهرباء ونمو علومها حتى أصبح لها قسم خاص بكل كلية من كليات الهندسة وتشعب هذه العلوم حتى أصبح لكل قسم شعب ذات علوم معقدة، هو نتيجة تفاقم أى تعاظم هذا الأمر منذ اكتشاف طرف خيطه حتى الآن، ولازال المجال مفتوحا فى الاكتشافات والاختراعات فهو من الأحداث المتفاقمة المتعاظمة مع الزمن وهو من أعظم وأهم ما ملأ حياة الناس بهجة وسروا ومتعة وزينة وزخرفًا فى الأرض.

(١٦) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (/ التكوير/ ٣).

لعل الخطوة الأولى أو الإمساك بأول الخيط بالنسبة لصناعة المعدات الثقيلة الخاصة

للبناء والتشييد والرصف والدك والهدم أيضا هى اختراع الآلة البخارية ثم تطبيقات هذا الاختراع فى السفن والقطارات وبعض الصناعات، الأمر الذى استلزم مادة الاحتراق فاستخدموا الفحم الحجرى الذى استلزم استخراجه من باطن الأرض حفر المناجم وتطور صناعة التنجيم فظهرت معدات معدنية لتشغيل المناجم لاستخراج الفحم ولغيره من المعادن، ومن ثم تطورت صناعة الحديد والصلب وظهرت معدات ثقيلة بدأت تزداد ضخامة ودقة وتحولت إلى استخدام مشتقات البترول وتعددت معدات التشغيل فى البناء والهدم والتشييد والنقل إلى الصورة التى هى عليها الآن. وتطورت متواكبة مع صناعة السيارات والشاحنات الضخمة ومن ثم تمكن الإنسان من خلال هذه الأطوار إلى نقل الجبال منذ زمن، أليس استخراج الفحم الحجرى مثلا من باطن الأرض وشحنه إلى بلاد عبر البحار والمحيطات فى سفن ضخمة ثم نقله من الموانى إلى داخل القارات عبر السكك الحديدية هو بمثابة نقل وتسيير أجزاء من الجبال من مكان إلى مكان؟!

لقد تطورت هذه التقنية حتى صار فى مكنة الإنسان أن يفجر جبلا ويفتته بالديناميت، ثم ينقله عبر الشاحنات خارج المدينة ليشق محله طريقا أو يبنى محله بناية، وبطريقة أرخص وأسرع وأيسر بسبب التقدم فى الصناعات المتعددة آنفة الذكر فقوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بدأت خطوته الأولى منذ القرن الثامن عشر مع اختراع الآلة البخارية، لكنه وصل فى نهاية القرن العشرين إلى الحد الذى تمتلك فيه الولايات المتحدة حفّارا وناقلا للصخور والأتربة فى حجم ملعب كرة قدم. إذن هى بداية وأطوار وآخر المراحل التى وصل إليها الإنسان فى النقل الثقيل، والهدم فى مجالات النقل الثقيل: أليس مكوك الفضاء الأمريكى جبلا ينقلونه من قاعدة إلى أخرى، إذا أرادوا؟ بلى. وفى مجال الهدم: ألا يهدمون عمارة ضخمة فى حجم الجبل فى ثوان معدودة، ثم ينقلون ركامها فى أيام.؟ بلى.

وفى مكة أُزيلت جبال لشق الطرق ولإقامة المنشآت فى مراتبها.؟ ألم يقل رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح ما معناه أن المسيح الدجال لن [illegible] حتى تزول الجبال

عن مراتبها؟. بلى ولقد زالت عن مراتبها كما أخبر الصادق المصدوق بأبى هو وأمى ﷺ . وهل يكون لهذا كله معنى سوى (وإذا الجبال سيرت)؟!.

هذا إذن أمر من الأمور التى تفاقمت وتعاظمت وتطورت عبر أجيال من البحث والتطبيق والتحسين حتى وصل إلى أن يزيل المتخصصون جبلا ضخماً عن مرتبته فى مدة وجيزة ماكان الإنسان من قبل يظن أن هذا ممكنا فيها أو فى عُشْرِ أمثالها.

(١٧) ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت﴾ (/ التكوير / ٤).

وهذه أيضا من مشاهد يوم القيامة بدأت بخطوة أولى منذ القرن الثامن والتاسع عشر وأخذت أطواراً حتى وصلت إلى الشكل الذى نعايشه الآن فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، إنها صناعة وسائل الانتقال والسفر القطار والحافلة والسيارة وأخيرا الطائرة وكلها حلت محل العشار وهى النوق والإبل التى كانت فى الماضى، تعد للسفر حسب ما سنوضح فى باب لاحق، وإنما نحاول هنا إبراز معلم هام هو الخاصية المشتركة بين هذه الأحداث جميعا والتى هى دليل على بدء يوم القيامة، بل هى من أحداث القيامة كما أخبرنا بذلك المصطفى الخاتم ﷺ، فإذا كان اختراع السيارة من عشرات السنين ومنذ أواخر القرن الماضى، فإن العشار ظلت مستخدمة للسفر عبر الصحراء العربية حتى الأربعينات من القرن العشرين، فلم تعطل، لأن اختراع الآلة أو الجهاز شىء وتعميم استخدامه شىء آخر، والآية التى تخبر أن من مظاهر وأحداث يوم القيامة تعطيل العشار وترك القلاص أى النوق الشابة القوية الصالحة للسفر فلا يسعى عليها كما أخبر النبى ﷺ فى حديث سبق ذكره، لاتخبر باختراع السيارة فحسب، بل تخبر بتعميم استخدامها فى جزيرة العرب بصفة خاصة وهذا الذى بدأ مع منتصف القرن العشرين فى العالم، ولكنه أصبح ظاهرة عامة فى جزيرة العرب بعد ارتفاع البترول ابتداء من الربع الأخير من هذا القرن، الأمر الذى امتلك كل رجل من أهل الجزيرة سيارة أو أكثر فأهملت العشار والقلاص كوسيلة للانتقال والسفر وتوقفت القوافل نهائيا وبخاصة بعد أن

رصفت الطرق البرية وامتدت عبر الجزيرة مد الأديم، ثم كثرت المطارات الداخلية وأصبحت الطائرة وسيلة رئيسية للانتقال عند أهل الجزيرة كل هذا حدث مع بدء الستينات ثم توسع مع الثمانينات من هذا القرن. ولازال يتطور ويتحسن ويتوسع فيه المخططون حتى الآن.

(١٨) ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (/ التكوير / ٥).

هذا هو الحدث رقم خمسة فى أحداث يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حاليا وتراه رأىْ العيْن. وقد فسر بعض السابقين حشر الوحوش بعد البعث، وهو خطأ وعلة الخطأ أن العجماوات جميعها ستُحشَر يوم البعث: الوحشى منها والمستأنس بما فى هذا كله الأنعام التى خلقها الله مُذَلَّلَة مسخرة للإنسان، فكيف يأتى النص على الوحشى منها فقط خاصة وأن القصاص سيكون بين الوحشى وغير الوحشى منها كما يكون بين المفترس وغير المفترس.

الأمر الثانى أن هذا الحدث من الأمور الستة التى تحدث فى الدنيا حسب الأثر الوارد عن أبى بن كعب رضى الله عنه باعتبار أنه الحدث الخامس فى الترتيب. وهو من مشاهد يوم القيامة التى تسر الناظرين إليها كما يدل على هذا وهو الحديث الصحيح.

وهو أيضا علامة حضارية تقنيةولهذا العصر، ذلك أن الحشر هو السَّوْقُ مع الجمع والضم وقد تميزت المدنية الغربية المعاصرة بحدائق الحيوان فى المدن الكبيرة، وهذه التسمية غير دقيقة لأنها حدائق للوحوش وليست حدائق الحيوان بعامة، إذ لا تضم هذه الحدائق على سبيل المثال البقر والجاموس والخروف المستأنس إلا إذا كان من إقليم بعيد أو من قارة أخرى ووحشيا. فهى فى المقام الأول حدائق للوحوش هذه الوحوش التى يَجلبونها من جميع بقاع الأرض وأطرافها. ثم حشرها فى حدائق الحيوان وفى السيرك أيضًا.

أفلا يدل وجودها جميعا فى مكان واحد داخل أقفاص خوفا من خطرها على المشاهدين لها على الحشر؟!، فالحشر الوارد فى الآية هو حشرها فى الأقفاص الحديدية حشرا دائما أبديا. كما يدل العذاب الذى تعانيه من الحبس على قسوة أهل هذا الزمان، علاوة على دلالة هذا كله على التقدم العلمى والصناعى إذ يدل هذا الحشر لها على التقدم الهائل فى جميع مجالات الحياة: فى علوم الحياة والأحياء والحيوان والنبات والطب البيطرى والصيدلة والبيئة وقبل ذلك فى وسائل الانتقال والصيد الحديثة ووسائل التبريد والتدفئة حتى يهيئوا بيئة صناعية ثلجية للدب القطبى وأخرى حارة لما جلبوه من أواسط أفريقيا فهو حدث حضارى شامل ما كان ليتم ويتطور ويستمر إلاّ مع التقدم العلمى فى جميع مجالات الحياة. فهو ليس مقصودا لذاته ولكنه مذكور كمشهد من مشاهد الحياة الإنسانية يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حالياً لما له من دلالة على التقدم العلمى والتطبيقى للنظريات العلمية بالتقنيات الحديثة والمعاصرة. وقد يفهمه البعض من خلال دلالة على سيطرة الإنسان على كل ما فى الأرض حتى الوحوش الضارية، وهذا حق ومن ثم يدخل فى مدلول هذه الآية الكريمة ظاهرة السيرك وهى اختراع أوروبى أيضا يقوم الإنسان فيه باستعراض قدرته على ترويض أقوى الوحوش: الأسود والنمور، وتدريبها وإخضاعها وإصدار الأوامر إليها وتلبيتها لهذه الأوامر. وهذا من مظاهر تحقيق خلافة الإنسان فى الأرض مثلها مثل سائر الأحداث الأربعة السابقة إذ هى جميعا من المظاهر الاستخلافية للإنسان. وحشر الوحوش فى الحدائق أو فى السيرك هو مما بدأ بسيطا ثم أخذ أطواراً حتى صار فى نهاية القرن العشرين فى طوره النامى التام أو شبه التام فصار بهذا حدثا من أحداث القيامة يراه الناس رأى العين ولايدرون أنهم يعيشون به وبما سبقه من الأحداث الخمسة يوم القيامة أو لايدرون أن يوم القيامة قد بدأ وأن فجره قد بزغ. كما أنه من مسرات ذلك اليوم الذى يتمتع بها الناس.

(١٩) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾(/ التكوير/ ٦).

سيأتى تفصيلها من بعد وتأويلها ببحار البترول التى توقد فى المحركات والمواقد، ومثلها قَسَمُ ربِّ العالمين بالبحر المسجور، فهو حدث فيه ذكر للبترول.

والنفط هو اللفظ الذى عرفه الإنسان قديما من خلال ما كان ينضح منه على سطح الأرض، ولكنه ظل مجهول الاستخراج والاستخدام حتى حدث التقدم العلمى والصناعى، فبالمضخات البخارية وما بعدها استخرجه الإنسان بكميات كبيرة ثم دفعه فى أنابيب إلى المعامل أو إلى السفن التى تنقله عبر المحيطات. كل هذا بدأ بسيطا، ثم أخذ أطوارًا يتفاقم فيها حتى صارت منتجات البترول القاسم المشترك للكثير من الصناعات، إن صح هذا التعبير، وهو أيضا، باعتباره الطاقة، روح الصناعة والزراعة والنقل حتى لم يعد الناس قادرين على تصور الحياة بدونه، و(أعجبهم مُعْتَمَلَهُ) كما جاء فى الحديث الشريف[1] أى أحبوا نتائجه وآثاره التى يسرت الحياة وجعلتها ناعمة رغدة ينجون من حرها وبردها ويسيحون فى الأرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ويزرعون ويصنعون ويبنون ويشيدون فى عام مقدار ما كان يفعله أجدادهم فى مائة عام. فهل حدثت فى الأرض مسرات ومبهجات وزينة وزخرف مثل ما حدث بالبترول؟.

فالنفط أو البحر المسجور إذًا ليس مجرد علامة حضارية وإنما هو روح الحضارة المعاصرة وحجر الزاوية فيها ويقلق أهلها تصور نضوبه وإنتهائه من بحاره فى باطن الأرض.

لكنه مثل سائر الأحداث فى تفاقمه وتعاظمه من خلال أطوار فى استخراجه ونقله وتكريره واستخدام مشتقاته بدأ بسيطا ثم أخذ أجيالاً متنامية حتى صار فى أيامنا هذه يستخرج من أعالى البحار كبحر الشمال كما يستخرج من أواسط أفريقيا، ويرسل أنهاراً عبر أنابيب تمتد لآلاف الأميال، أو ينقل فى حاملات عملاقة للنفط تزيد حمولتها عن خمسمائة ألف طن من البترول، ومع هذا والبشرية فى هذا المجال

---

(١) سيأتى الحديث بكامله فى الباب التالي.

كما فى غيره لسان حالها يقول هل من مزيد؟! لكنها لا تدرى أنها تعيش أحداث يوم القيامة وعما قريب جدا - إن لم تتب إلى ربها - سيقع العذاب.

والعلاقة بين البترول وبين وقوع العذاب العام بالأرض الذى هو قمة مشاهد القيامة وأخطر أحداثها هى علاقة وثيقة. واشتعال بحار النفط فى باطن الأرض ممثلة فى أكثر من ثمانمائة بئر فى الكويت عام ١٩٩١ علامة وأمارة على قرب حدوث الرجفة والزلزال والخسوف. فاشتعال هذه الآبار من مشاهد القيامة الدالة على قرب وقوع العذاب الذى هو أخطر أحداثها.

وربما يتضح لنا هذا من البحث فى الفرق اللغوى بين قوله تعالى بصيغة القسم ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦/ الطور] وبين قوله تعالى بصيغة الشرط ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [/ التكوير/ ٦].. إذ أن «إذا» الشرطية إذا دخلت على فعل ماض جعلته مستقبلاً، فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أى أن البحار ستسجر فى المستقبل وبعدها أى بعد أن تسجر سيحدث كذا وكذا مما هو آت فى جواب الشرط.

ومن ثم فالاية تشير إلى حدث سيقع أكثر منه حال دائم ونظام ثابت مستمر. أما القسم بشيء فهو قسم بشيء قائم ويصح أن يكون قسماً بحال مستمر يعمل على استمرار نظام دائم وآليات حياتية تستغرق عصرا أو عصورا زو حتى كل حياة البشرية إذا المقسم به من الطبائع كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [١٦/ الانشقاق] وهو حال فى السماء يظهر عند الشروق وعند الغروب منذ أن خلق الله تعالى الشمس والأرض ونظام الشروق والغروب. ومن ثم نقول أن قسم الله عز وجل بالبحر المسجور هو قسم بحال ونظام وظاهرة مستمرة أكثر منه قسم بحادث طارىء يستغرق وقتا ثم ينتهي، بخلاف إذا الشرطية التى تدل على حدث سيحدث يعقبه حدث آخر لضرورة هو المتمثل فى جواب الشرط لذلك نقول أن البحار هى بحار وآبار البترول حيث يكون فى باطن الأرض على هيئة بحار أو بحيرات ومع كونه سائلا كسيولة الماء

إلا أنه قابل للاشتعال بل هو شديد الاشتعال. ولكنه لا يشتعل فى باطن الأرض لأن لهذا الاشتعال نظام لابد من إتباعه حتى يستفيد الإنسان من إشعاله إشعالاً منضبطاً منظماً مفيداً. فهو بحر فى باطن الأرض، لكن لكى يتم إشعاله لابد من استخراجه ونقله وتكريره ثم توزيعه على محطات الوقو د بأنواعه عبر ناقلات معدة لهذا، ليكون جاهزا للاستخدام فى السيارات والشاحنات والسفن والقطارات والطائرات والمصانع ومولدات الكهرباء ومعدات التشييد والبناء والزراعة وغير ذلك، كل هذا اقتضى نظامًا حياتياً جديدًا واليات إدارية وقوانين وقواعد مرورية وتخزين وتقنيات وصناعات لتحقيق هذا أى ليكون بحرا مسجورا أى مشتعلا بعد أن كان بحرا محبوسا فى باطن الأرض. فالقسم هنا بالبحر المسجور أو بالآبار وكل ما تمكن الإنسان به من إخراج هذا المارد من قنديله الذى ظل مسجونا فيه مئات الألوف من السنين وإرساله إلى أماكن ومواضع تسجيره بعد تَهْيئته لذلك. هذا هو تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦/ الطور] أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير/ ٦) فهو فعل الشرط جاء بعد «إذا» فهو إذن يدل على حدث طارىء يستغرق زمنا قصيراً ثم لا يلبث أن ينتهي، لذلك أرى والله تعالى أعلم أن البحار هنا هى آبار البترول أيضًا لأنها التى تشتعل بخلاف البحار المائية والنهرية، والحدث الطارىء هو تسجيرها، إمَّا بنفس المعنى السابق ذكره فى تأويل «البحر المسجور»، ومن ثم يكن فعل الشرط هنا دلالة على عصر البترول كله ليكون جواب الشرط هو أحداث القيامة وإما أن يكون تأويلها هو الحدث الطارىء الذى استغرق زَمنا قليلاً وانتهى وهو إشعال آبار بترول الكويت فى أعقاب حرب ١٩٩١ وهو الحدث الذى وجدنا انطباق حديث البخارى عن أول أشراط الساعة عليه كما فصّلنا هذا فى الجزء

(١) صحيح البخارى ك الفتن باب ٢٤ كما أخرجه أحمد والنسائي.

(٢) راجع الجزء الأول من هذه الموسوعة صـ٢٦٠.

الأول من هذه الموسوعة (قال أنس قال النبى ﷺ: أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[1] وقد فصلنا على الخبر فتبين لنا انطباقه التام على حرب الكويت وإشعال الآبار[2].

وأياً كانت الدلالة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فإن الآيتين آية سورة التكوير وآية سورة الطور ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يدلان على عصر البترول الذى تمتعت وتتمتع به البشرية بأنواع عديدة من الرفاعية والمتاع واليسر فى الحياة وعلى جميع الأصعدة وفى شتى مناحى الحياة إلا أن آية التكوير أكثر انطباقًا على حادث إشعال الآبار عام ١٩٩١ فهو إشارة إلى كون هذه العلاقة من مسرات يوم القيامة المتفاقمات.

(٢٠) ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (/ التكوير/ ٧).

سيرد ذكر هذا الحدث تفصيلا فى الباب التالى وتفسيره هو ما أعلنوا عنه عام ١٩٩٧ باسم الاستنساخ الذى ليس إلاَّ توليد نفس حية من نفس حية واحدة تحمل نفس خصائصها الوراثية الفردية فتأتى صورة طبق الأصل منها أى نفس مستنسخة من أخرى.

لكن القضية الرئيسية التى يجب علينا أن نناقشها حيال هذا الموضوع هى الأحداث الستة التى تبدأ من السابعة حتى الثانية عشرة، أى الأخيرة، والتى هى قوله ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (التكوير/ ١٣).

وأصل القضية هو الخبر المروى عن أبى العالية رضى الله عنه قال ست آيات من هذه السورة فى الدنيا وست فى الآخرة ...) وهو خبر غير مرفوع وهو لايتفق مع حديث عبد الله بن عمر الذى رفعه للنبى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقَّت) والذى يُفهم من هذا الحديث الشريف عن هذه الآيات الثلاث التى هى أوائل لسور ثلاث أن النبى ﷺ يندب لمن يريد أن يرى القيامة رأى عيْن أن يقرأ

هذه السـور الثـلاث بكاملها وليس هذه الآيات الأولى الـتى هى أوائل فى كل منهـا فحسب. ومن ثم تكون آيات سورة التكوير بكاملهـا عن يوم القيامـة، وليست الست الأوائل منها.وهذا يضعف قول أبى العالية الذى لم يكن إلاَّ إجتهاداً منه.

الدليل الثـانى الذى يجلى هذه القـضـية هو مـا سبـق أن ذكرناه من أن بدء اليـوم الآخر فى الدنيا وليس فى الآخرة، لأنه بمقـتـضى اللغة من أيام النهاية فى الدنيا بدليل الكسرة على الخاء «الآخِر» ولو كـان المقصود به يوما من أيام الحيـاة الآخرة التى تقابل الحياة الدنيا لكان اسمه بمقتضى اللـغة اليوم «الآخَر» بفتح الخاء فاليوم الآخر هو اليوم الأخير ولا يعقل أن يكون هو اليوم الأخير من الآخرة التى سيبدأ يومها الأول بدخـول أهل الجنة الجـنة وأهل النار النار عـلاوة على أن هاتـين الدارين همـا داران لـلخلود لاحساب للأيام فيهما.

فالقـيامـة فى الدنيا أو اليـوم الآخر يبـدأ فى الدنيا وأحـداثه هى هذه الاثنى عـشر الواردة فى سـورة التكوير وأخـواتها فى سـورة الانفطار وفى سـورة الانشقـاق كمـا سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى.

لهذا ولما سيأتى بعده سنمضى قُدُمًا بعون الله تعالى وحوله وقوته وفضله فى تفسير الست الباقيات من سورة التكوير باعـتبارها أحداثا تعيشها البشرية حـاليا أى باعتبارها فجراً أو صبحا ليوم القيامة.

والذين فسروا ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير/ ٧). على أساس أنهـا حدث من أحداث الآخرة بمعنى اليوم الذى يبدأ بالبـعث اختلفوا فروى عن الضحاك رضى الله عنه قوله (زوجت الأرواح والأجساد)(١) وهذا اجتهاد منه يمـكن رفضه لأن الإنسان يكون ذاتا واحدة بعد سريان الروح فى الجسد فى حياة الخلود كما فى الحياة الدنيا فلا يقال عن فـلان أنه زوج لأنه روح وجسـد، وعن قتادة رحـمه الله قـال: (وإذا النفوس

(١، ٢) انظر تفسير ابن كثير / ٤/ وكذا الدر المنثور للسيوطى / ٦/ ٣٥٦.

زوجت قال أُلحقَ كل إنسان بشيعته اليهودى باليهود والنصرانى بالنصارى)[٢] وهذا أيضا اجتهاد شخصى منه، ويمكن رده، لأن إلحاق النصرانى بالنصارى لايكون تزويجا، لأنه سيصبح واحدا من ملايين بل من بلايين أو مليارات فكيف يسمى هذا تزويجا وهو ليس من لغة العرب، وإذا قال المدافع عن هذا التأويل المقصود تزويج النصرانى بالنصرانية واليهودى باليهودية، يكون الرد: ومتى يفارق النصرانى نصرانيته واليهودى يهوديته؟! إن الوارد فى هذا المقام أن المرء يبعث على ما مات عليه، فهو يموت نصرانيا أو يهوديا وتظل نفسه نفسا نصرانية أو يهودية فى البرزخ ثم يبعث نصرانيا أو يهوديا فعقيدة العبد لاتفارقه حتى نقول أنها تعود إليه وتزوج نفسه بها. وهل يصبح العبد النصرانى زوجاً، لتبلسه بعقيدته؟ كيف هذا؟! وهل يقال إن النصرانى زوج فى الدنيا لتلبسه بها؟! أو المسلم زوج لتلبسه بإسلامه؟!، كل هذا يرد قول قتادة وإجتهاده رضى الله عنه.

وعن الربيع بن خيثم فى قوله: (وإذا النفوس زُوِّجت) قال: كل رجل مع صاحب عمله) وربما يقصد الرجل الذى يقول للعبد فى قبره أنا عملك الذى عملتنى، وهذا ليس يوم البعث بل هو عند دفن العبد، وحتى إذا خرج معه فى البعث من القبر وسار معه لايقال إن نفس العبد فلان صارت نفسين بل هو نفس واحدة فلان بن فلان ومعه عمله، وعمله ليس نفسا: وأورد السيوطى ما أخرجه الحاكم وصححه وغيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه «وإذا النفوس زُوِّجت» قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع السوء فى النار فذلك تزويج الأنفس)[١] وهذا أثر قوى لكنه من الواضح أنه اجتهاد من أمير المؤمنين رضى الله عنه ولا مانع من قبوله بشرط أن يكون هذا فى الحياة الآخرة فى دار الخلود، أما والآيات فى الدنيا كما أثبتنا هذا بالأدلة فإن التزويج للنفوس يكون هو المطابق تماما لظاهرة الاستنساخ التى فسرنا الآية بها فى باب لاحق لأنها خرق لسنة الفردانية فى

(١) تفسير ابن كثير

الخلق. بل إن اختلاف المفسرين لهذه الآية: صحابة وتابعين فى تأويلها، لأنها من أحداث عصرنا ومن ثم يكون تفسيرنا نحن أهل يوم القيامة الذين يرونه رأى العين أقدر على فهمها من سابقيهم.

إن استنساخ (النعجة دوللى) كان خطوة نهائية فى سلسلة أبحاث بدأت منذ قرون فى علم الحياة الذى صار بعد ذلك علوما فى الحياة وليس علما واحدا ولعل الخيط الأول هو اكتشاف الوحدة البسيطة الأولية للنسيج الحى وهى الخلية ومع اكتشاف الميكرسكوبات المتقدمة الإليكترونية ومع اكتشاف علم الوراثة والتعمق فى التفاصيل الدقيقة لمكونات الخلية من أحماض وما تحتويه من كروموزمات وعوامل وراثية ثم مع التقدم فى علم الأجنة ثم الهندسة الوراثية كل هذا انتهى إلى أن تلد الأمةُ ربتها أو ربها أى مشاتل الأجنة وتأجير الأرحام ثم الاستنساخ الذى ملأت أخباره الإعلام العالمى مع مطلع عام ١٩٩٧، وكل هذا بسبب التقدم الصناعى الهائل فى جميع الأجهزة فى شتى المجالات ومنها الطبية والمعملية وغيرها، إنه أمر من الأمور المتفاقمة أى المتنامية المتعاظمة خلال النمو العلمى والتطور التقنى الصناعي. وإذا الشرطية تفيد أن هذا الأمر سيقع فى المستقبل لدخولها فى الآية على فعل ماضى مبنى للمجهول، مما يشير إلى حدوثه على يد الإنسان فى يوم القيامة، وهو مخالف لسنة من سنن خلق الأحياء العليا من ذكر وأنثى فيكون المولود أو الناتج منهما حاملاً لخليط من خصائصهما الوراثية ومن ثم فتأتى خصائصه الحيوية مخالفة ومغايرة بالضرورة لكل منهما وبالتالى تكون كل نفس مخلوقة حسب هذه السنة نفس فردانية فلا يوجد نفس تماثلها تمامًا وفى كل الخصائص بحيث تصبح صورة طبق الأصل منها ظاهريًا وباطنيًا، أما النعجة (دولي) فقد جاءت من أنثى فقط ومن ثم جاءت صورت طبق الأصل من أمها فصارت مستنسخة منها فصارت النفس الواحدة زوجًا. وهذا يدخل فى تغيير خلق الله تعالى الذى أخبر إبليس بأنه سيأمر بنى آدم بفعله باعتباره من قمم الفساد والإفساد فى الأرض.

- سيأتى تفصيل هذا الموضوع لاحقا بإذن الله تعالى فى الباب القادم مفصلا وإنما إكتفينا هنا بذكره مجملاً منعا للتكرار.

(٢١) ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [/٨ ـ ٩/ التكوير]

جاء فى مختار الصحاح: «وأد بنته دفنها حية فهى موءودة». وسؤال الموءودة إما أن يكون فى الدنيا قبل وأدهـا، وهذا محال لأنها لم تصبح موءودة بعد، ولا سؤال على جريمة قبل وقوعها، وإما أن تكون بعد وأدها مباشرة وإنتقالها إلى البرزخ أى فى أولى مراحله التى هي القبر ومعلوم أن فى القبر حسابا إجمالياً للموتى. وحيث أن المُفسِّرين قالوا: إن هذا السؤال للموءودة مَقْصُودٌ به تبكيت الوائد فإن هذا الإحتمال الثانى لسؤال الموءودة بقَصْد محاسبة الوائد جائز فى القبر بعد الموت أما الاحتمال الثالث والأخير فهو أن يكون هذا السؤال للموءودة يوم الدين يوم الحساب العام وهذا هو الذى تُوَجهت إليه أذهان المفسرين فى تفسير هذه الآية.

ومن المعلوم أن العرب كانت تَئِدُ البنات، وورد أن قبيلة كنده كانت تئد البنات، أى كانت أكثر القبائل وأداً لهن.

وقد ورد ذكر هذه الظاهرة عند العرب فى موضعيْن فى القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[النحل] فَدَسُّ الأنثى فى التراب هو وأدُها، والسؤال الموجه فى آية سورة التكوير إذا وجهناه إلى موءودة العرب لجاءت الإجابة إن العرب كانُوا يروْن الأنثى عارا أو مجلبة للعار. قال تعالى أيضًا: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف] والمعنى أنهم ينسبون لله تعالى البنات بقولهم أن الملائكة بنات الله ثم يشعرون بالعار والخزى

إذا وُلِدَ لأحدهـم أنثى حتى أن وجـهه يسـود ويصيبـه الغم ويصل به إلى الحـد الذى يُفكر فيه أن يأخذ المولودة ويدفنَها حية فى التراب، فهم ينسبون لله تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم وهذا من مظاهر الشرك الواضـحة، وما لا يرضونه يَرَوْنَهُ عاراً وهو أن تكون لهم بنات يخشى الأب أو الأخ من أن يفـرطن فى عفتهن، ومن ثم فـإن العرب وأدُوا البنات خشية العار. وتلك هى الإجابة على السـؤال: بأى ذنب قُتِلَتْ، فيقال لها: خوفا من أن تقـعى فى الزنا فـتجلبى العـار لأهلك، وهذا معـناه أن العربى الجـاهلى كـان حريصا على العـفة لبناته وحريمه ولا يرضى لهن غيـرها، وإرتبط الشرف عند العرب بالعفـة نفسيـا وإجتمـاعيا إلى الحـد الذى لا يتحمل فـيه العربى أن يتـصور أن له إبنة مجروحة العفة إذا كبـرت فكان يقدم على وأدها فى طفولتها. ومن ثم يمكن القول أن العـفة ارتبطت بالشـرف والكرامـة عند العرب قـبل الإسـلام إرتباطاً وثيـقاً شـديدا. وظاهرة وأد البنات عند العرب ـ وإن كـان لها وجه عدوانى وقسـوة ضارية شديدة ـ إلا أن الدافع إليـها يدل على أن لها وجـها آخـر ينتمى إلى فـضيلة من الفـضائل وهى العفة، ولذلك يمكننا أن نقـرر مطمئنين أن ارتفاع قيمة العفـة وإرتباطها بالشرف عند العرب قديما حافظ على أنسابهم إذْ حَصَرَ الزنا وفـعل الفواحش فى دوائر ضيقة جدا صانت الـزواج والأسرة حتى كـان فى العرب النَّسـابة الذين يحفظون الأنـساب إلى العديد من الأجداد فكانت قـريش تعرف أنساب أبنائها وتحفظهمـا حفظا متوارثا فى الذاكرة جيلاً بعد جيل، من جيل النبى ﷺ إلى أن يصل إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، ومن ثم سـجل التاريخ أجـداد النبى ﷺ لأبيه وأمه حـتى إسمـاعيل وإبراهيم عليـهما السـلام، هذا بالرغم من أن العـرب كانوا أمة أمـية لا تقـرأ ولا تكتـب وليس عندهم دواوين ولا سجلات.

بيـد أن جـريمة الوَأد تمثل الإفـراط فى فضـيلة العـفـة حـتى أدت إلى هذه الرذيلة الوحشية.

ولقد واجه المفسرون سؤالاً هاما نجم عن صياغة هذه الآية الكريمة وهى أن المحاسبة والسؤال موجه فى الآية إلى المجنى عليه وليس للجاني، وهو عكس المفروض أن يكون، مع أن الذى يجب أن يحاسب ويسؤل هو القاتل وليس المقتول، ومن ثم لجأوا إلى تأويل هذه الصياغة من ذلك ما أورده السيوطى فى الدر المنثور قال: (وأخرج سعيد من منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى الضحى مسلم ابن صبيح أنه قال«وإذا الموؤدة سَأَلَتْ»، قال طالبت قاتلها بدمائها)[(١)].

وأخرج البزار والحاكم فى الكنى والبيهقى فى سننه عن عمر بن الخطاب فى قوله: «وإذا الموؤدة سئلت» قال: جاء قيس بن عاصم التميمى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى وأدتُ ثمان بنات لى فى الجاهلية فقال النبى ﷺ: «اعتق عن كل واحدة رقبة قال إنى صاحب إبل قال: فاهد عن كل واحدة بدنة)[(٢)].

فأمره ﷺ للتميمى بأن يكفر عن كل بنت وأدها باعتاق رقبة فيه معنى إحياء الرقيق بالحرية، كما أن أمره له بإهداء بدنة يطعم بها الفقراء والمساكين فيه مشاركة فى إحياء نفوسهم بإطعامها وهذا كله مقابل إماتته لبناته وإزهاق أنفسهن الحية. والذى أراه ـ والله تعالى أعلم ـ أن هذه الروايات لا تدخل فى تفسير الآية وإنما تعطى أحكاما عن الوأد: تحريمه وتجريمه وكفارته.

كما أن هذه الرواية تتناول الوأد القديم عند العرب، والآية تتحدث عن حدث هو من إمارات الساعة ومن أحداث يوم القيامة المتفاقمة المتعاظمة جيلا بعد جيل وسنة بعد أخرى.

ومن ثم نقول إن الآية تتناول ظاهرة سلوكية عالمية هى فعلا من أحداث يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حاليا. وهى لا تشير إلى قتل النفوس الحية بالوأد فقط، ولكنها تشير إلى مخططات صهيونية دجّالية وصلت إلى قمتها فى الفساد والإفساد الدجالى

(١) الدر المنثور / ٦/ ٣٥٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

الصهيونى فى أواخر القرن العشرين وبصفة خاصة من بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، أما الجانب السلوكى فيها فهو إباحة الزنا والانحرافات الجنسية وتسفل أهل الحضارة الغربية فى هذه الناحية بصفة خاصة إلى أن صاروا كالأنعام بل أضل، من حيث إنهم يزاولون الزنا علانية فى الأماكن العامة، ووصل بهم الحال فى التسفل والبهيمية إلى حد انتشار زنا المحارم فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين وتحدثت عنه أجهزة الإعلام الغربية حتى سألوا رئيسة ووزراء بريطانيا مارجريت تاتشر عن رأيها فيه فكان ردها: أنها لا تحبذه، ولعل هذه الإجابة المغضبة لإرباب الإفساد والفساد هى التى أفقدتها مركزها السياسي.

هذه العلاقات الجنسية غير المشروعة والموقتة لا تحتمل أن يتحمل أصحابها ثمرتها الجَنِينِيَّة لما تستوجبه تربية الأطفال من مشاق والتزامات مالية وجهد ووقت، ومن ثم كان لابد من وسيلة ـ لكى ينتشر الزنا بالشكل الذى يريده المفسدون فى الأرض ـ لمنع الحمل، ومن ثم تقدمت الأبحاث فى هذا المجال، وبخاصة أن من استراتيجيات الصهيونية الخبيثة القضاء على الكثرة العددية للأمم التى تعمل على حكمها مثل النصارى والمسلمين، وليس من المهم بعد ذلك الأضرار الصحية التى تسببها هذه الوسائل للأم أو للزانية أو للزوجة.

ولكن للشهوة قهرها الذى يحتم أن يحدث الحمل لملايين الحالات، رغم الحرص الشديد على منعه ، ومن ثم كان لابد من إباحة الإجهاض لمثل هذه الحالات التى تحدث رغما عن الزناة.

وهذا هو أهم موضوعات مؤتمرات السكان والمرأة التى يوجهها المفسدون إذ يُصِرُّون على بحث موضوع إباحة الإجهاض.

فالعزل الذى يقوم به الرجل أثناء معاشرته للمرأة حتى يتجنب وصول المنى إلى الرحم خوفا من الحمل هو وأد خفى كما وصفه رسول الله ﷺ فيما أخرجه أحمد فى

مسنده ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والطبراني وابن مردويه عن خدامة بنت وهب قالت سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: ذاك الوأد الخفي وهو إذا الموؤدة سُئلت»[1].

وهذا الحديث الصحيح تفسير للآية ومن ثم لا يجوز العدول عنه إلى غيره. فالآية إذن تتحدث عن ظاهرة الوأد بعامة سواء الخفي منه وغير الخفي لأنه إذا كانت الموؤدة وأدًا خفيا تصدق عليها الآية فإنها أولى أن تصدق على الموؤدة وأدًا ظاهرًا ابتداء من الجنين الممنوع تكونه والجنين الموؤد إلى الوليد الموؤد.

فإذا تذكرنا أن ما جاء في سورة التكوير هو من الأمور المتفاقمات التي هي أمور معوجة منحرفة عن الفطرة ومتعاظمة في نفس الوقت جيلا بعد جيل وسنة بعد أخرى علمنا أن الآية تتحدث عن الفساد المتمثل في الزنا الذي يجر الوأد منعا للحمل أحيانًا وإجهاضًا أحيانًا وقتلا للأطفال أحيانًا أخرى. إن ظاهرة الوأد ليست قاصرة على العرب في جاهليتهم فهي ملازمة للمجتمعات الجاهلية القديم منها والحديث. فقد ظهرت في المجتمع اليوناني الروماني القديم وكانت طريقة القتل هي أن يوضع المولود في سلة كانت تباع خصيصاً لذلك، تُعرف بسلة الموت ثم يوضع الطفل أو الطفلة المولودة خارج أسوار المدينة حتى الموت جوعًا وبردًا وكانوا يئدون الذكور والإناث خشية الفقر وتوفيرًا للنفقة وباسم المحافظة على مستوى المعيشة ومنعا لتفتيت الميراث وضياع الثروة وكذلك ظهرت حديثاً دراسات في أمريكا أثبتت أن من الأمهات من يقتلن أطفالهن الرضع الذين لا يرغبن فيهم لعدم استطاعتهن التفرغ لتربيتهم وللتخلص من عناء التربية وتكاليفها ولأسباب أخرى وأظهرت الدراسة أن أكثر وسائل القتل تكون بكتم أنفاس الطفل أو الطفلة تحت الوسادة وهو وأد في الفراش بدلا من التراب أما الإجهاض فهو يتم في بعض الدول حسب القانون مثل كوريا التي تبيحه في المستشفيات وإما يتم بطريقة مخالفة للقانون في الدول التي لا

---

(١) عن السيوطي/ في الدر المنثور/ صـ٦ ص ٣٥٦.

تبيحه ومما نشرته وسائل الإعلام أن بعض شركات أدوات ووسائل التجميل تعاقدوا مع جهات كورية متخصصة على توريد ٧٥٠٠٠٠ سبعمائة وخمسين ألف جنين بشرى تستخدمها هذه الشركات فى صناعة كريم الوجه والجلد لأن بروتين هذه الأجنة يعطى للوجه نضارة الشباب.

أما الوأد الخفى فهو مخطط عام للإفساد الصهيونى يرى المفسدون لهم مصلحة عليا فى تنفيذه حتى يتمكنوا من الاستمرار فى العلو والسيطرة بالإفساد رغم قلتهم العددية الظاهرة بالنسبة للشعوب والقوميات والأديان المخالفة لهم.

فإذا أردنا أن نجيب على السؤال الموجه للموؤدة باعتبار الموؤدة هنا اسم جنس لكانت الإجابة مخالفة تماما للسبب الذى وأد العربى الجاهلى إبنته من أجله وهو مخافة جلب العار الذى تولد عنده من الغلو والإفراط فى التمسك بقيمة العفة. إنها أسباب أخرى سياسية واقتصادية وخلقية إذن تلك التى وراء العزل أو منع النسل والتى وراء الإجهاض والتى وراء كتم أنفاس الأطفال بالوسائد أو بوسائل أخرى، إنها فى المقام الأول بسبب التفريط فى قيمة العفة بإباحة الفاحشة، وشتان بين دافعين للوأد الأول الإفراط فى التمسك بالعفة الذى حافظ على الأنساب والثانى الذى هو التفريط فيها الذى ضيّع الأنساب وإن كان كلا من الاثنين رذيلة وجريمة فهذه الظاهرة إذن ليست جديدة على البشرية وليست وليدة عصر يوم القيامة، بل هى قديمة، فما هو الجديد الذى جعلها تحتل مكانا بين شرطيات سورة التكوير لتكون علامة أو أمارة شرطية على يوم القيامة؟ . إنها علامة لأنها من المتفاقمات المتعاظمات، أى الفساد الذى وصل إلى الذروة فى إرتكاب هذه الجريمة المتمثلة فى حادثة وأد إحدى النفوس لسبب هو فى حد ذاته جريمة عظمى مغضبة لرب العالمين سبحانه وتعالى غضبًا قد ينزل به نقمته الكبرى على أهل الشر والفساد والكفر والطغيان إذا لم يتوبوا، فما هو هذا السبب؟!

حدث أن أهل الحضارة الغربية قد قتلوا العفة فى نفوسهم قتلا بحجة الحرية، وبسطوا حمايتهم على سلمان رشدى وغيره الذين يسبون الله تعالى ورسله باسم حرية الاعتقاد والرأى والنشر وسمحوا لأميرتهم المحبوبة زوجة ولى عهدهم ديانا أن تعترف علنا وعلى الملأ وعلى مستوى بلايين المشاهدين بما كان منها من خيانة لزوجها وهى فى عصمته، ثم هى تزداد فى نظرهم رضا وحبا ولا يفكر ولى العهد أن ينتقم منها لشرفه وعرضه، بحجة أنها لم تفعل إلا ما اختارته وهذا من حقها بمقتضى دين الحرية الذى يدينون به؟

لقد نشر سلمان رشدى روايته «آيات شيطانية» التى تطاول فيها بالسب على كل المقدسات، فتطاول على الخالق سبحانه وعلى الأنبياء جميعًا وعلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ وعليهم جميعًا وسلم، ثم لما أفتى الخمينى فى إيران بوجوب قتله خَصَّصت له إنجلترا حراسة خاصة مشددة وقامت بينها وبين إيران أزمة سياسية لا زالتْ قائمة حتى الآن وتشترط انجلترا إلغاء الفتوى لتحسين العلاقات بينهما هذا بالرغم من أن سلمان رشدى هذا ليس إنجليزيا فى الأصل ثم لحقت بانجلترا بعد ذلك إمرأة من بنجلاديش فَعَلَتْ مثل جريمته فاستقبلوها وبسطوا عليها حمايتهم.

يالها من قيمة مقدسة عند الإنجليز والبريطانيين بخاصة وعند أهل الحضارة الغربية بعامة، تلك التى ما يُسمونها بالحرية والتى تُضحى الدول الغربية وشعوبها بالغالى والنفيس من أجل صيانتها وحمايتها حتى لو كانت تخص فردًا واحد أو رجلا وإمرأة مثل الشيطان سلمان رشدى والشيطانة البنجلاديشية ولكن هل هم صادقون فى هذا؟! هل يقدسون حقا حرية الرأى والاعتقاد؟! وهل حمايتهم للفحشاء والمنكر ولدعاة الكفر والضلالة والإلحاد وشياطين الشر والفساد هو إحترام منهم للحرية فى الاعتقاد والنشر وحق الإختيار لكل جماعة ولكل فرد؟ لو كان الأمر كذلك لأعطوا أهل الإيمان والحق والخير نفس الحقوق والحماية التى يعطونها لأهل الكفر والشر

والطغيان، فلماذا إذًا حاكموا روجيه جارودى على رأى قاله كذّب فيه مزاعم اليهود؟! ولماذا إذًا قتلوا أميرتهم المحبوبة ديانا لما عزمت على الزواج بمسلم والإنجاب منه؟!. أين يذهبون من مكر الله عز وجل الذى يبتلى العباد فيكشف سرائرهم ويفضح ما فى قلوبهم من كذب ونفاق وعبادة للطاغوت وكراهية للحق والخير وأحقاد نحو حزبه سبحانه، فلا يعطون لهم من حق الإختيار وحرية الرأى والعقيدة ما يعطونه للكافرين ومردة الشياطين، لقد كشف الله تعالى زيف دعواهم بأميرتهم المحبوبة الغالية ديانا لما مال قلبها إلى الإسلام وبدأت تسأل عنه وتقرأ ترجمة معانى كتاب الله تعالى من خلال صداقتها لأحد الأبطال الرياضيِّين من باكستان، وشاع فى وسائل الإعلام خبر عن زواجهما، ثم تخلى عنها فجأة[1]، ثم عاشت مع دودى الفايد ولاحقتها أجهزة الإعلام فى كل فكان ولم تمض أيام على إشاعة أخبار عن نيتهما فى الزواج وعن حمل الأميرة فى أحشائها بجنين عمره بضع أسابيع سيكون ابنا لمن اسمه محمد الفايد وأخا ولو من الأم فقط لولى عهد بريطانيا المقبل.

لقد أخطرت الأميرة ابنها وليم الذى سيصير وليا للعهد بعد أبيه أنها اختارت حياة الاستقرار والهدوء والبعد عن الأضواء والإعلام. وأنها ستتزوج دودى الفايد وأنها ستنجب له أخا أو أختا هى حامل فيه ومما نشر أنها تحتفظ بنسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم.

كل هذه المؤشرات تدل على أن الأميرة المحبوبة لقومها أى للروم أو لبنى الأصفر مالت أو توجهت للإسلام وفضلت فى علاقتين متتاليتيْن الارتباط بمسلم وحملت من مسلم جنينا مسلما سيكون أخا لولى العهد المقبل.

فصَدرت الأوامر بالقتل بل بالوأد وتعاونت المخابراتان الإنجليزية والفرنسية فى التنفيذ بالرغم من العداء التقليدى بين انجلترا البروتسطنتينية وفرنسا الكاثولوكية هذا العداء الذى أشعل بينهما الحروب خلال القرون الاستعمارية الأخيرة والذى لا زال

---

(١) من الواضح حسب سير الأحداث بعد ذلك أنه كان بسبب تهديد لحياته.

يلقى بظلاله على علاقتهما فى المنافسة على زعامة أوربا الموحدة ولكنهما فى هذا الأمر تعاونا ليمنعا عارا سيلحق بالصليبية بعامة أياً كان مذهبها وهو إسلام الأميرة المحبوبة وإنجابها أخا مسلما لولى العهد المقبل. أى عار هذا الذى سيلحق بالروم أو بنى الأصفر أو أوربا الصليبية عندما تختار الأميرة السابقة الإسلام، وعندما يصبح لولى العهد المقبل أخا مسلما من أمه؟!

لقد اختارت الأميرة الخيانة الزوجية لولى العهد وأعلنت ذلك صراحة على الملأ فغفروا لها ذلك. باسم الحرية.

لقد سب سلمان رشدى كل المقدسات فغفروا له ذلك باسم الحرية.

لكن أن تختار الأميرة المحبوبة الإسلام فلا، ولو ذهبت الحرية قيمة وسلوكا وغاية إلى الجحيم.

وللأميرة أن تعاشر من تريد وتزاول الفحشاء مع من تريد أو تتزوج من تريد وتلد ممن تريد لكن أن تلد مسلما أو مسلمة من مسلم فلا للحرية ولتوضع تحت الأقدام. إن من العار أن يكون أخو ولى العهد المقبل مسلما.

لذا يجب وأد هذه النفس الجنينية قبل أن ترى النور.

ترى لو أن الملائكة الذين قبضوا نفس القتيلة ديانا وإبنتها سألوا هذه الموؤدة بأى ذنب قتلت؟ فماذا تكون الإجابة: بذنب واحد هو الإسلام، صدقت يارسول الله (لقد حدث ما أخبرتَ به باعتباره أمارة من أمارات الساعة وقولك الحق وقُلْتَ (ويكون كتاب الله عاراً)[1]. لقد صار دين الله عارا.

أباحوا الفحشاء والمنكر والخيانة الزوجية وكل المنكرات والمحرمات والحرية مكفولة لعمل أى شيء إلا اختيار الإسلام؟ إلا الرغبة فى الحق والرجوع إلى الله عزوجل.

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا، ضمن حديث طويل، انظر اتحاف الجماعة للتويجرى جـ٢، ص ١٦٣.

إن مقتل الأميرة ديانا لم يكن مقصودا لذاته وإنما كان لقتل الجنين المسلم ومن ثم صارت جريمة وأد هذه النفس الجنينية أمارة باعتبارها الذروة فى الفساد المتفاقم الناجم عن الفحشاء وإباحة الإجهاض والدعوة إليه من خلال مؤتمرات السكان والمرأة.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ يصدق على كل عملية وأد خفى يستخدم فيها الناس وسائل العزل، ووسائل منع الحمل المعاصرة ما هى إلا وسائل للعزل. ويصدق على كل عملية إجهاض ويصدق أيضًا على قتل الأطفال بكتم أنفاسهم تحت الوسائد وغير ذلك من أساليب القتل والعبرة بعموم اللفظ، ولكن ذروة هذا النوع من الفساد المستشرى فى عصر القيامة الصغرى والمتفاقم فيه باعتباره إمارة من إمارات بين يديها هذه الذروة جاءت متمثلة كأوضح ما تكون فى حادثة مقتل الأميرة ديانا التى كشفت الغطاء عن فساد وعفونة النفس الصليبية الجاهلية الحاقدة على الإسلام وأهله، وعن انحطاط وتسفل وحيوانية النفس الصليبية الأوربية العابدة للطاغوت التى لا تطبق الإسلام وأهله هذه الشخصية التى تفاقم فيها الفساد يوما بعد يوم حتى لم تر الخيانة الزوجية والاعتراف بها على الملأ عارا ورأت الإسلام وحمل الجنين المسلم فى الأحشاء عارا استحقت عليه أميرتهم المحبوبة القتل ليس تخلصا منها ولكن تخلصا من جنينها بوئده فى رحمها لا لشيء جناه أو سيجنيه إلا الإسلام.

فقتلوها ثم دفنوها فى مقبرة الكلاب من شدة حقدهم عليها واحتقاراً للإسلام الذى رغبت فيه وقبلت أن تقترن برجل يدين به[1] ثم أقاموا لها ما أطلقوا عليه فى إعلامهم جنازة القرن العشرين ولسان حالهم يقول لها: ليتك ظللت صليبية عابدة للطاغوت مثلنا حاقدة على الإسلام وأهله وإستمتعت بحياتك كما نفعل، إذن لما اضطررنا لقتلك، لقد قتلناك ونحن نحبك، ولولا هذا الذى ستلدينه مسلما لما مسسناك بسوء. فالحرية مكفولة فى كل مجال ولكل اختيار إلا فى اختيار واحد هو الإسلام.

---

(١) هذا حسب ما نشرته أخيرا وكالات الأنباء والصحف.

أى مسخ فى الفطرة هذا الذى أصاب الشخصية الرومية الأوربية الصليبية؟!

تلك هى الدلالة النهائية لعلامة أو أمارة من أمارات يوم القيامة فى سورة التكوير الوأد لأسباب اقتصادية وأسباب سياسية وأسباب خلقية وأخيرا بسبب الإسلام، وذروة هذا الأمر المتفاقم وأد النفس الجنينية لمجرد أنها ستحمل إسم محمد. فقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ بحث فى أسباب الوأد الخفي، وغير الخفى وأبشعها الوأد للجنين الذى سيولد مسلما. وهذا وإن صدق على حادثة بعينها ملأت أسماع الدنيا وأبصارها إلا أنها ما صدقت عليها إلا لكونها ذروة فى ظاهرة افسادية متفاقمة يوما بعد يوم من خطط خبثاء صهيون لإهلاك الحرث والنسل والقضاء على دين الله عز وجل. فذكر حادثة ديانا ليس لذاتها وانما باعتباره علامة على ذروة ستام الكفر ومحاربة دين الله عزوجل والعداء المطلق لكل من ينتسب له سبحانه.

(٢٢) ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [/ ٩/ التكوير]

لم يرد فى تفسيرها حديث عن رسول الله ﷺ فهى إذن من الذى سكت عنه. وإنما ورد أثر منسوب لابن جريج قال: (وإذا الصحف نشرت قال: إذا مات الإنسان طُويت صحيفته ثم تنشر يوم القيامة فيحاسب بما فيها) [١].

وعن الضحاك قال: (أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تُملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته) [٢].

من خلال هذين الأثرين لابن جريج والضَّحَّاك يمكننا أن نستنبط فهمهما لمعنى نشر الصحف وهو فتح صحيفة العبد يوم القيامة وبسطها أى ما يقابل الطي، فهى تظل مطوية منذ موته إلى أن يتسلمها وينشرها أى يفتحها ويبسطها ليقرأ ما فيها.

(١) الدر المنثور/ حـ٦ صـ٣٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير حـ٤ صـ٤٧٨).

ولنتذكر أن هذا التأويل ليس إلا اجتهادهما الخاص الذى يحق لنا مخالفته. فهل هذا هو معنى النشر فى اللغة؟.

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه)[١] فللنشر إذن معنيان: الأول: فتح الشيء ومنه (نشرت الخشبة بالمنشار نشرًا... ومنه نشرتُ الكتاب خلاف طويته)[٢] أما المعنى الثاني: فهو تشعب الأمر وإنتشاره ولا يكون هذا إلا بتوزيعه ومنه (النشر: الريح الطيبة)[٣] لأنها تنتشر... ومنه (نشر الله الموتى فنشروا. وأنشر الموتى أيضًا)[٤] (والنشر : أن تنتشر الغنم بالليل فترعى)[٥] ومن هذا المعنى (يوم النشور)[٦] أى يوم إنتشار البشر فى أرض المحشر (ونشرت الريح) والنَّشَرَ بالتحريك المنتشر، وضم الله نشرك أى ما إنتشر من أمرك كقولهم: لَمَّ الله شَعَثَك) وهذه كلها تفيد أن النّشر يعنى تَشَعّب الأمر وإنتشاره علاوة على فتحه وفَضْحه ومن ثم نقول إن الأثرين اللذيْن فسّرا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ بأنها فتح صحف العباد يوم القيامة معتمدين المفهوم الأول للكلمة بمعنى فُتحت أى فتح كل عبد صحيفته ليقرأ ما فيها يمكن أيضًا أن تفسر بالمفهوم الثانى لها وهو نشر الصحف بمعنى توزيعها وإنتشارها. لكن يمنعنا من ترجيح هذا التفسير عدة أمور الأول: أن تأويل نشر الصحف بفتحها يوم الدين بعد توزيعها على أصحابها يخرجها عن أن تكون من الأمور المتفاقمات التى بين يدى الساعة.

الثاني: أن هذا التفسير يخرجها أيضا عن أن تكون من مَسَرَّات يوم القيامة، كما دل على هذا الحديث الشريف الصحيح، ولا يصح تفسيرٌ لآية يخالف حديثا صحيحا فى السورة، كائنا من كان قائله من المفسرين؟ فما هو التفسير المطابق للمعانى اللغوية للآية وفى نفس الوقت يكون من مسرات يوم القيامة ومن أحداث عصر القيامة المتفاقمة بالمعنى المزدوج للتَّفَاقم وهو التعاظم مع الإعوجاج أى الإفساد والفسَاد.؟!

(٢،١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة جـ٥ صـ٤٣٠.

(٦،٥،٤،٣) نفس المصدر والصفحة.

الثالث: أن هذا التفسير يختلف عن الآيات الصريحة الخاصة بكتب أعمال العباد يوم القيامة فى كل الآيات التى تحدثت عن تسلم العباد يوم القيامة لسجلات بمالهم من أعمال أطلقت على هذه السجلات كتبا ولم تطلق صحفا ولو لمرة واحدة، كما أن جميع الآيات التى وردت فيها كلمة «صحف» دلت على الكتب السماوية المنزلة على الرسل قال تعالى: عن أحداث الحشر والحساب ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)﴾[الحاقة] فهذه الآية تثبت أن لكل عبد يوم القيامة كتابه الخاص الذى سيجد فيه كل ما عمله، صغيرا كان أم كبيرا . قال تعالى :﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾[الكهف] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢)﴾ [المؤمنون] وقال تعالى أيضًا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠)﴾ [النبأ] وحتى أعمال كل أمة لها كتاب عام يخصها

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) ﴾ [الجاثية] وقال تعالى أيضًا: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) ﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) ﴾ [الانشقاق].

وهكذا سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الأمم، يتلقى الجميع أعمالهم يوم الدين فى كتب وليس فى صحف، وسواء بالنسبة للمؤمنين الذين يتلقون الكتاب باليمين أم بالنسبة للذين يتلقونه من وراء ظهورهم الذين سيصلون سعيرًا تكون أعمالهم يوم الدين فى كتب وليست فى صحف أيضًا.

فإذا علمنا أن كلمة الصحف لم ترد فى القرآن الكريم إلا فى ثمانية آيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) ﴾ [التكوير] وهى الآية التى نحن بصدد تفسيرها وتأويلها وأن السبع الباقيات كلها بمعنى الكتب المنزلة على الرسل باعتبار الكتب السماوية هى الإعلام الربانى للبشرية برسالة الله عز وجل لبنى آدم أو للإنس والجن من غير أن تكون لواحدة منهن دلالة على سجلات أعمال العباد يوم القيامة، نستنبط من هذا كله نتيجة ملزمة لنا وهى أن الصحف المنشورة فى آية سورة التكوير ليست مما ينشر يوم الدين، ووجه الإلزام فى هذه النتيجة هى أن ألفاظ وكلمات القرآن الكريم مصطلحات دقيقة فالصحف المنشورة هى الموزعة المعلن ما فيها للجميع وتلك هى الكتب السماوية وآخرها القرآن الكريم صحف مُنَشَّرة أى مُوَزَّعة ومعلنة للجميع ومبلغة ومُيَسَّرة للذكر، ومن ثم لا نجد آية من الآيات السبع إلاَّ وتدل على الرسالة

السماوية وهن قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٣٣) ﴾ [طه] أى التوراة والإنجيل والزبور وكتب أنبياء بنى إسرائيل.

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) ﴾ [النجم] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾ [عبس] والتذكرة فى الآية القرآن وهو فى صحف فى السماء بأيدى الملائكة الكرام البررة وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ [الأعلى].

كذلك يفضح الله نفوس المكذبين بالقرآن من أهل مكة وغيرهم من الكافرين فى كل زمان ومكان بأنهم يحقدون على رسول الله ﷺ الذى إصطفاه الله بنزول القرآن الكريم عليه وود كل منهم فى نفسه لو ينزل عليه صحفاً من مثله عليه ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) ﴾ [المدثر] أى أن كلا منهم يريد أن يكون نبياً وينُزل عليه كتاب من السماء مثل ما نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ فالصحف المنشرة هنا هى الكتاب السماوية المنزلة على الرسل والتى ينشرها الله وييسر وصولها لكل مكلف. وهل على الأرض وخلال القرون العشرين الماضية طبع من الكتب البشرية مثل عدد ما طبع من نسخ من التوراة والإنجيل والقرآن؟!. كلا والله الذى لا إله إلا هو.

والآية السابقة هى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) ﴾ [البينة] أى القرآن الكريم.

إذن الصحف المنشَّرة أو الصحف المنشورة إذا نشرت ليست كتب أعمال العباد يوم الدين وإنما هى صحف منشورة فى الدنيا ونشرها توزيعها وتعميمها، هذا مصطلح قرآني دقيق لا يجوز لنا أن نحيد عنه فنفسر الصحف فى آية سورة التكوير بدلا من الكتب.

فالصحف المنشورة التى هى من مسرات ومباهج المرحلة الأولى ليوم القيامة التى فيها الزخرف والزينة والقوة والتى هى أمر من الأمور المتفاقمة جيلا بعد جيل وفيها من الفساد ما فيها وشاع بها من الفساد ما شاع هى بالضرورة ما نطلق عليه فى أيامنا هذه الصحف ونشر الصحف فى صورة جرائد يومية ومجلات دورية على الورق المطبوع بعد اختراع المطبعة هو أول جيل لأول وسيلة إعلامية. لقد بدأت الصحف فى الظهور بعد اختراع المطبعة وبدأت بشكل محلى بسيط ثم تطورت خلال أجيال متتابعة لتعاظم شأن الصحافة حتى أطلقوا عليها صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة باعتبارها سلطة رقابية شعبية على السلطات الثلاث فى الحياة الديمقراطية الغربية، ألا وهى التشريعية والتنفيذية والقضائية.

فالصحف المنشورة هى الجيل الإعلامى الأول للوسيلة الإعلامية الأولى وهى المقروءة، ومن ثم فهى علامة أو أمارة حضارية من أمارات يوم القيامة المتفاقمات فى الظهور، وجاء ذكر الصحف المنشورة فى سورة المتفاقمات الأثنى عشر ليس لذاتها ولكن باعتبارها علامة على أمر خطير وهو الإعلام وتحتل خطورته فى أنه وسيلة من وسائل السيطرة على عقول وقلوب الناس والدعوة والتوجيه ومن ثم فهى مثل جميع الوسائل صالحة أن تستخدم فى الخير كما أنها صالحة أن تستخدم فى الشر.

فالخطورة فى الرسالة الإعلامية التى تحملها الوسائل والأجهزة الإعلامية لأنها أما أن تكون موجهة للناس من حزب الله، فتكون هداية لهم، وإما أن تكون موجهة من حزب الشيطان فتكون دعوة للكفر والإلحاد والشرك والضلال والفحشاء والمنكر. وقد

إستخـدم الحزبان هذه الوسائل لكن الثابت تاريخـيا أن حزب الشيطان بقـيادة الدجال على رأس اليهـود الذين حقَّقُوا إفسـادة اليوم الآخر المـعاصرة كـانوا أول من تنبه إلى خطورة هذه الوسـائل والأجهـزة وأول من إستـخدمهـا لأهدافه الإفـسَادية وأول من ملكهـا وأول من سـيطر عليـها ولا زالوا حـتى الآن يملكون الـنسبـة الكبـرى من هذه الأجهزة ولهم السيطرة شبـه التامة عليها. وكانت هذه الأجهزة هى دعامـتهم الرئيسية فى العلو الافسـادى الكائن فى الأرض الآن. قـال تعـالى عن علو اليـهو د المـعاصـر بالافسـاد عن طريق الإعلام فـى المقام الأول :﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيـــراً (٦)﴾[الإسـراء] والمعنى أن الله تعالـى سيـرد لبنى إسرائيل الكرة على أعدائهم ويمدهم بأموال ليست أموالهم ويمدهم ببنين أى بجيوش الدول التى تجند الشـباب فى سن مبكرة تجنيـدا إجباريًا فـتستـخدمهـا الصهيـونية فى الحرب لصـالحها يربـط مصلحة الدول بمصـالحها ويقطف الـيهود ثمـرة هذه الحرب لصالحـهم وكذلك استـولى اليهود على أمـوال البشر وذهبـهم بأساليب شيطانيـة فهم يعلون بأبناء وأموال الغير ولكن فى ذكر الإعلام أثبت الله تعالى فى الآية بأنهم يملكون من وسائله أكـثر مما يملك سائر الناس غيـرهم فقال: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيـراً﴾ أى من غيركم والنفير هو الإعلان وهو الإعلام.

ولا شك أن التـقـدم التـقنى الصناعى الفنى فـى استـخـدام وسـائل الإعـلام التى تطورت بعد ذلك فـصارت مسـموعة ثم مـرئية بجانب المقـروءة ساعد الـيهود على صناعـة الحيـاة اليومـية للبـشر بالشكل الـذى خططوا له وهو إغراق الناس فى المتـاع: باللهـو واللعب أى بالفن والرياضة إغـراقًا لهم فى الشهـوات وإبعادًا لهم عن الحـياة المحققة للهدف الذى خلقوا من أجله وهو عبادة ربهم عز وجل وعلى هذا فالصحف المنشورة ليست بالضرورة هى المقروءة بل هى المسموعة والمرئية أيضًا؟ لماذا؟، لأن كل ما يذاع فى المذياع وتسمعه أذن هو مـدون بالضرورة على صفحة من الورق الأبيض فهو صفـحة مقروءة قبل أن يُصبح رسـالة مسموعة إبتداء من الأغنيـة ونشرة الأخبار

إلى غير ذلك من أعـمال الدراما حتى البرامج المذاعة على الهـواء لابد لها من إعداد يكون على الورق أيضًا فمـا يذاع وتتلقاه الأذن هو نشر لرسـالة تبدأ على الورق وفى الصحف وكذلك كل ما تذيعه شاشة التليفـزيون الصغيرة أو شاشة السينما أو شريط الكاسيت أو شريط الفيـديو وكل ما يشاهده الناس عبر الأقمار الصناعيـة فيما يعرف بالمحطات الفضائيـة للدول والشركات والهيئـات كلها لابد أن تدون أولا فى صحف ثم تنقل للآذان أو الأعين فالمقصود إذن بالصحيفة هو الرسالة الإعلامية يدل على هذا ويؤكـده أن مادة «الصـحف» لم تأت فى القـرآن إلا للدلالة على رسالة الله عـز وجل للبشر التى غـايتها إعلانهم بالحكمة من خلق الله تعـالى لهم وبالهدف الذى يجب أن يسعـوا إليه فى حـياتهم وبالهـدى الذى يجب عليهـم أن يعيشـوا بنوره وفى نوره إذا أرادوا السعادة فى الدارين تلك هى رسالة الله عـز وجل نزلت فى صحف هى القرآن الكريم والسنة وهى مقروءة أولاً لمن يقـرأ ثم هى مسموعة من خـلال البرامج الدينية ومن خلال إذاعـات القرآن الكـريم لمن يسمع وهى أيضًا فى شكل برامج تلـيفزيونـية مرئية وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو.

لكن كل مـا هو مسـموع ومـرئى من رسالة السـماء مـصدره الأول هو الصـحف المطهرة أى القرآن والسنة.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [٩/ التكوير] أى الرسالة الإعـلامية المدونة أولا فى الصـحف ثم منشـورة بعـد ذلك فى جـرائد ومـجـلات ودوريات وإذاعـة وتليفزيون وأشـرطة مسموعة ومرئيـة وكل هذا وسائل للنشر والتعمـيم ووسائل فتح لهـذه الصحف ومن الواضح أن الغلبـة فى استـخدام هذه الـوسائل جـميـعًا لحزب الشيطان وهذا هو تفسـير المعنى الثانى لتفاقم أمر النشـر فهو إعوجاج وإفسـاد متعاظم بتطور هذه الوسائل وقوتها فى التعميـم حتى غطت كل بقعة فى الأرض حتى النيافى والقـفار ينزل الشـر والفـتنة المهلكة عليـها من الـسمـاء نزولا حتى لـم يبق بقعـة من

الأرض إلا ويغطيها قنوات فضائية مفسدة بجميع أنواع الفساد الفكرى والجنسى والعنف وبجميع وسائل الإفساد بالكلمة والصورة والفيلم والأغنية لهوا ولعبا.

وسنرى فى الباب اللاحق أخبارا فى القرآن والسنة بكل هذه الوسائل والأجهزة تفصيلاً.

لكن لا ننسى أن نُذَكِّر هنا بالنص الذى جاء فى الجزء الأول من القيامة الصغرى عن أجهزة الإعلام الثلاثة: المقروءة والمسموعة والمرئية وعن سيطرة النبى الكاذب أى المسيح الدجال عليها، يقول النص: ﴿ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع﴾[1] التنين هو الصهيونية والوحش هو القوة العسكرية الاقتصادية من مجموعة دول مجلس الأمن والذى رأسه الرئيسى هو أمريكا والنبى الكذاب هو المسيح الدجال الذى يقود ويسيطر من خلال التنين على الوحش ذى الرؤوس السبعة. أما الأرواح النجسة التى تشبه الضفادع فهى الوسائل الإعلامية الثلاثة فى العالم الغربى وهى التى لا يخرج منها إلا فكر شيطانى خبيث نجس ولا تصدر إلا ما يفسد بكل فساد: الجنس والعنف والهوى والمتاع، وكلها رسالة خبيثة شيطانية واحدة تخرج من أجهزة الإعلام الصهيونية والدول الغربية والمخططات الدجالية منشورة فى صحف مقروءة وإذاعات مسموعة وعلى شاشات مرئية فى البيوت أو فى السينما.

ولكن كل ما تحويه هذه الرسالة تافه حقير ضعيف ولا معنى له ولكنه عال الصوت قوى الانتشار وفى هذا تكمن خطورته تماما كصوت الضفدع لا معنى فيه ولكنه قوى مرتفع يغطى على كل الأصوات حوله وإن كان مصدره ضعيفاً ولكن الصحف المنشورة لم تتوقف عند حد عرضها مسموعة ثم مرئية عبر الأقمار الصناعية فتط إذ ظهر الجيل الأخير منها المتمثل فى شبكة «الانترنت» وهو أوسع دائرة نشر للرسالة الإعلامية حتى الآن وهى وسيلة تمتاز على سوابقها فى أن الأجهزة الثلاثة السابقة هى

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتى إصحاح / ١٦، عدد / ١٣.

وسائل إعلامية للإرسال فقط والقارىء أو السامع أو المشاهد مجرد متلقى لكن خلال هذا الجهاز الرابع الذى يجمع هذه الأجهزة الثلاثة مجتمعة فى وسيلة واحدة يضيف إليها أن المستخدم له، يمكنه أن يرسل كما يمكنه أن يستقبل، فإذا كانت الصحف قد حولت أهل الدولة الواحدة إلى أن يصبحوا أهل قرية واحدة، وجعلت البشرية تعيش كأنها دولة واحدة وشعب واحد، ثم جاءت الإذاعة فجعلت البشرية تعيش كمدينة واحدة، ثم جاء التليفزيون والمحطات الفضائية فجعلت البشرية فى قرية واحدة، فإنه بالانترنت يمكن للبشرية أن تعيش فى بيت واحد أو فى حجرة واحدة يتسامرون معا رغم تواجد أجسادهم فى قارات مختلفة من أجل ذلك وردت الأخبار عن نشر الصحف والرسائل الإعلامية عبر هذه الأجهزة الأربعة بعد خبر سؤال الموءودة وخبر تزويج النفوس وذلك من خلال علاقة زمنية بين هذه العلامات سنتحدث عنها فيما بعد.

إن تعاظم أجهزة الإعلام من مقروءة بأجيال متعددة إلى مسموعة بأجيال متعددة إلى مرئية بأجيال متعددة إلى جهاز مقروء ومسموع ومرئى فى نفس الوقت هو أمر متفاقم عبر عشرات السنين بلغ ذروة سنامه فى شبكة الإنترنت التى شاع إستخدامها خلال العام ١٩٩٧ وبدأت فى الانتشار بعد ذلك ولا زالت، لذلك جاء ترتيبها فى مسرات سورة التكوير المتفاقمات. يحمل رقم ٩ وهو ما سنعرف الحكمة منه بعد ذلك بإذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه.

(٢٣) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪﴾ [التكوير]

قال ابن كثير وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪﴾ قال مجاهد: إجتذبت، وقال السدي: كسفت، وقال الضحاك: (تنكشط فتذهب) وغني عن البيان أن هذه التأويلات لكشط السماء لا يقل عن الكشط غموضًا، إذ كيف نتصور السماء منجذبة أو كيف يكون حالها وقد كسفتْ وما معنى أن تذهب السماء؟.

كما أضيف إلى هذا مصدر تفسير مجاهد والسدى والضَّحَّاك إذ فسروا الكشط بما ورد عن أحداث السماء يوم القيامة منطلقين من المفهُوم الشائع فى الأذهان عن يوم

القيامة باعتباره يوم الهدم لعمارة الكون والفناء للحياة بعامة. فالقائل بأن الكشط بمعنى نزول الكسف من السماء فسرها بقوله تعالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) ﴾ [الإسراء] وقولهم أيضًا على سبيل السخرية ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ [الشعراء] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ (٣٤) ﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) ﴾ [الطور].

أما تفسيرها بالذهاب فهو يكاد يكون تفسيرا لغويا محضا لأن كشط القشدة من سطح اللبن أخذه والذهاب به بعيدًا عن اللبن. أما انجذاب السماء فلا علاقة له بالكشط إلا أن يكون مجاهد رحمه الله قد فسر الكشط بسقوط السماء كسفا فيكون نزولها فوق الرؤوس هو إنجذابها. وهذه التأويلات جميعها مأخوذة من أحداث الهدم والفناء ليوم القيامة ومن ثم خالفوا الحديث الصحيح الذى جعلها علامة على مسرات يوم القيامة المتفاقمات.

وكشط السماء فعلا هو علامة على التقدم الصناعى والتقنى وكثرة إستخدام المصانع وشيوع إستخدام السيارات وإحتراق مشتقات البترول مما أدى إلى زيادة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الأرض فأزدادت بسببه درجة حرارة الأرض بظهور ما أطلقوا عليه ظاهرة الصوبة التى تحبس الحرارة فتزداد معدلاتها سنة بعد أخرى. وكذلك بسبب استخدام غاز الفلوروكلوركاربون المستخدم فى التبريد وغير ذلك مما أدى إلى حدوث ما أطلقوا عليه ثقب الأوزون. وأحداث يوم القيامة التى تخص السماء متعددة وجاءت فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) ﴾ [المرسلات] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) ﴾ [الانفطار] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) ﴾ [الانشقاق] وقوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) ﴾ [المزمل] وقوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) ﴾ [النبأ] علاوة على الآية التى نحن بصددها وهي: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) ﴾ [التكوير] وتأويلنا لها بأنها إشارة إلى ضعف طبقة الأوزون فوق القطبين أدى نفاذ بعض الأشعة فوق البنفسجية إليهما

وازدياد حرارة القطبين ثم ذوبان نسبة من جليدهما مما أدى وسيؤدى إلى ارتفاع مستوى المحيطات ويتوقع الخبراء غرق الجزر والسواحل المنخفضة مثل ساحل دلتا النيل وسواحل هولندا وغيرهما فالكشط هنا واقع على الأكسوچين الثلاثى المسمى بالأوزون الذى من أهم وظائفه أو وظيفته الرئيسية كف موجات الأشعات فوق البنفسجية وإعادتها إلى الفضاء وعدم السماح لها بالنفاذ إلى الغلاف الجوى ثم إلى سطح الأرض.

وأنسب لفظ للدلالة على ضعف الأوزون فى هذيْن الموضعين مما أدى إلى فشله فى صد كل الأشعة فوق البنفسجية كما هو الحال فى سائر أرجاء سقف الغلاف الجوى هو كشط هذه الذرات من وسطها التى تسبح فيه تماما مثل كشط طبقة القشدة من فوق سطح اللبن فتؤخذ طبقة سميكة منها وتترك فى نفس الوقت بقايا من القشدة على سطحه وبالتالى يصبح النفاذ من سطح اللبن بعد الكشط أيسر وأسهل من النفاذ من خلال طبقة القشدة المتماسكة وسنعود إلى تفصيل موضوع أحداث السماء يوم القيامة: انفطاراً وانفراجًا وشقا وفتحا وكشطا أيضا بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه. ونكتفى بهذا بالنسبة للكشط هنا منعا للتكرار لكنا نذكر هنا بأن هذا التغير هو المطابق لكون الكشط علامة على أمور هى من المسرات وهى كل المنتجات الصناعية التى يتمتع بها إنسان هذا العصر ابتداء من المسكن والسيارة والطائرة والمعدات التى سهلت الزراعة والصناعة والنقل والتجارة وكلها فى النهاية هى التى سببت ضعف طبقة الأوزون أى فساد البيئة وفساد البيئة أى التفاقم وتعاظم الأمر مع إعوجاجه، وهو نتائج هذه المسرات الممتعات ومن ثم يكون تفسير كشط السماء باعتباره علامة على التقدم الصناعى واستخدامات البترول وفساد البيئة مطابقًا مطابقة تامة للواقع المعاش ليوم القيامة الذى تعيشه البشرية حاليا. فالكشط بدأ ولا زال يزداد ويتفاقم يوما بعد يوم إلا أن يعود الناس إلى الله تعالى ويمتنعوا عن الصناعات المفسدة لطبقة الأوزون والمسببة لظاهرة الصوبة الزجاجية فى الأرض حسب النداءات المتكررة لمؤتمرات الأرض ويوم البيئة العالمي.

(٢٤) ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (١٢/ التكوير)

قال ابن كثير رحمه الله: (قال السُّدِّي أُحْمِيَتْ، وقال قتادة: أُوقِدَتْ قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم)[١] (وعن عبيد بن عمير قال: خرج رسول الله ﷺ إلى أهل الحُجَرات فقال: يا أهل الحجرات سُعِّرَتْ النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)[٢]. وفي رواية الطبراني عن ابن أم مكتوم (سُعِّرت النار لأهل النار وجاءت الفتن كقطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)[٣] واهل الحجرات هم زوجاته رضي الله عنهم وأول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أن هذا سيكون في يوم الحساب قبل دخول أهل النار النار، وكذا الذي يتبادر عند سماع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قُرِّبت لان تقريبها انما يكون للمؤمنين قبل دخولها حسب المتبادر إلى الذهن. ولكن قول الرسول ﷺ عن سورة التكوير (ومن سَرَّه أن يرى القيامة رأي عيْن فليقرأ إذا الشمس كُوِّرت...) إلى آخر الحديث يفيد أن هذين الحدثَيْن تسعير النار، وتقريب الجنة هما من أحداث يوم القيامة في الدنيا وهما من مسراتها أيضًا بالرغم من أن تسعير النار خبر مرعب رهيب، وإن كان هذا النذير للمغضوب عليهم والضالين، إلا أن المؤمنين لا يأمنون مكر الله عزوجل ومن ثم ينالهم في الدنيا من الترهيب من هذا الخبر ما ينالهم.

أما ما يثبت أن تسعير النار يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة فهو الحديث الصحيح الذي أعلن فيه رسول الله ﷺ لأهل الحجرات عن تسعير النار لأهل النار، وهو يدل على أن تسعير النار لن يكون يوم الجزاء فحسب بل هو يحدث في الدنيا وقد حدث هذا في العهد المدني للنبي ﷺ وقد فسر قتادة مناسبة تسعيرها بقوله: (انما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم) فإذا كانت خطايا بني آدم قد إزدادت وطغت في

---

(١) تفسير ابن كثير مجلد ص٤/ ص٤٧٨.
(٢) كنز المال ١١/٣١٤٤٦، و٣١٠٢٤.
(٣) كنز العمال ١١/٣١٠١٦.

العهد النبوى فى مملكتي الفرس والروم وإفساد اليهود وحروب هؤلاء جميعا لرسول الله ﷺ، فغضب الله عليهم وَسُعِّرت النار، فكيف يكون غضب الله تعالى على بنى آدم فى عـهد افـسادة الـيهـود الأخيـرة وعلوهم الكبـير المعـاصـر فى كل الأرض بقيـادة الدجال؟! لاشك أن غضب الله اشتد على بنى آدم لشـيوع الزنا والمجاهرة به ولعموم الربا وطغـيان قـوى الشر التـى تُدبر بليل لابادة المسلمين فى مـذابح جمـاعيـة وغيـر جمـاعية فى أمـاكن عديدة فى الأرض تنتـهى فى موضع لتبـدأ فى موضع آخـر حتى صار دين الله تعـالى عاراً تقـتل من أجل اعتناقه الأمـيرة المحبوبة لمجرد أنهـا ستنجب مسلمـا أو مسلمة؛ ثـم خطتهم للقضـاء على الأصوليين بتـجفيف المنابع، أى لاقـتلاع الإسلام من جذوره. أفلا يغضب هذا كله رب العالمين؟! فَتُسعَّرُ النار؟!

يؤكد هـذا أن رسول الله ﷺ قرن فى الحـديث بين تسعـير النار ومـجئ الفتن (... سُعِّرت النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم...).

(٢٥) ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (/ ١٣/ التكوير)

ومعناها اللغـوى: وإذا الجنة قُرِّبَتْ، وربما يتبادر إلى ذهن القـارىء أن هذا سيكون بعد الحساب وهو غير صحيح، وأن كان من الـصحيح أن الجنة ستقرب بعد الحساب أيضًا حـسب ما ورد فى سـورة ق لكن خـبر التـقـريب فى سورة التكـوير غيـر خبـر التقريب الوارد فى سـورة ق، ففى سورة التكوير التقريب شـرطى ونسبى وفى سورة ق التقريب غير شرطى ومطلق. وفى سورة التكوير التقريب لكل الناس لأنه للأرض أما فى سورة ق فالتقريب للمتقين أولاً ثم لسائر المسلمين.

وفى سورة التكوير التقريب هو أحد أمارات يوم القـيامة الصغرى واشراطها وهو من مسرات يوم القيامة اما فى سورة ق فـهو من نتائج الحساب وفى آخره بل هو خبر عن وقوف المسلمين أمام أبواب الجنة فى آخر مشهـد من مشاهد القيامة الكبري وهذا ما يتأكد لنا من آيات سورة ق، قال تعالى: ﴿يوْمَ نَقُولُ لِجهنَم هلِ امْتلأْتِ وتقُولُ هلْ مِن

مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ / ٣٠ ـ ٣٥/ ق﴾ فبعد امتلاء النار أو أثناء امتلائها تُقَرَّب الجنة للمتقين غير بغير أى يصيروا على أبوابها، ويقال لهم هذا ما توعدون باسم الاشارة للقريب ومن ثم فهى تحت أبصارهم إن لم تكن تحت أقدامهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ / ١٣ ـ ١٤/ التكوير﴾ فيفيد أن بعض النفوس ستعلم ما أحضرت، وهو ما يكون من العبد إذا أيقن الهلاك وأنه سيموت، فإنه يستعرض كل حياته من أولها إلى آخرها فى لحظة واحدة فيعلم ما أحضر معه، وسيذهب به إلى العالم الآخر. وعلى هذا.فتقريب الجنة فى هذه الآية هو من الشروط أو الأمارات التى تأتى بعد إذا، وإذا تسبق فعل الشرط وجواب الشرط لابد أن يكون بعد فعل الشرط فى الزمن لأن فعل الشرط يسبق جواب الشرط إذ أن معنى الشرطية هو أن الجواب لا يحدث إلا بعد حدوث الفعل وعلى هذا فإن تقريب الجنة فى سورة التكوير لابد أن يحدث فى الدنيا قبل القيامة سواء الصغرى أو الوسطى أو الكبرى بل هو قبل الوسطى التى يموت فيها بعض الناس، وليس كل الناس، لان قوله تعالى نَفْسٌ بالنكرة يفيد البعض بخلاف النفس أو النفوس الذى يفيد الشمول والكليه لأن ألف ولام التعريف تفيد الاستغراق كما هو معلوم، وعلى هذا فتقريب الجنة فى سورة التكوير لأبد أن يكون فى الدنيا كتسعير النار وكسائر الامارات العشر السابقة عليهما والتقريب يكون بالمقرب اى التلسكوب، وهذا هو الذى يمكن أن يحدث إذا رصد الفلكيون المعاصرون الجنة وصوروها بالتلسكوبات الالكترونية الحديثة، فإن رؤيتها ورصدها يكون نتيجة لتقريبها بالمقرِّب (التلسكوب) ومن ثم ينطبق هذا الحدث إنطباقاً تاما على قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أى قُرِّبَتْ بالمقرب، وقد حدث هذا بالفعل منذ بضع سنوات وتم نشره ولكن توضيحه يحتاج إلى بسط وتفصيل لايسمح به هذا المقام لذا سنعرضه فى جزء لاحق من الموسوعة باذن الله تعالى.

ويكفى هنا أن نثبت أن المنطوق اللغوى يقرر أن اقتراب الجنة فى سورة التكوير يكون فى الدنيا قبل هلاك بعض النفوس أي قبل القيامة الصغرى. ومقتضى المنطوق اللغوى مقدم على دلالة المفهوم أو النتيجة المستنبطة كما هو معلوم عند الأصوليين وأن نُذَكِّر بأن الله تعالى خلق البشر من هذه الأرض وأنه يميتهم فيها ثم يخرجهم منها ويحشرهم عليها للحساب ثم لكى يدخل أهل الجنة الجنة لابد أن يعبروا الصراط أى الجسر الذى ينتقلوا عليه من هذه الأرض الدنيوية إلى أرض الجنة وهذه الحقيقة الإيمانية المعلومة من الدين لكل مسلم بالضرورة تستتبع نتيجة لازمة وهى أن الجنة ستصبح قريبة من الأرض يوم الحشر، وهذا يستتبع أن تقترب الجنة إلى أرضنا فاذا كانت المسافة بينهما تحسب بالسنين الضوئية، فإنه يلزم أن يبدأ الإقتراب بينهما من قبل ذلك حتى إذا قام الناس من قبورهم للحشر والحساب تكون الأرض قد قطعت المسافة التى بينهما وقربت إلى الحد الذى يسمح أن يقرب بينهما الصراط أي الجسر. وسنعود لبحث هذا تفصيلا فى جزء لاحق بإذن الله تعالى والخلاصة أن التقريب فى التكوير نسبى أى بالنسبة إلى ما كانت عليه من قبل، وهو للأرض كلها وليس للمؤمنين فقط وإنما للأرض ومن فيها باعتبارها كوكبا[1].

(٢٦) جواب الشروط الاثنى عشر فى سورة التكوير: -

قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ / ١٤ / التكوير﴾ قال ابن كثير (هذا هو الجواب أى إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم نفس ما عملت)، وأورد ابن كثير بسنده الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم [عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كوِّرت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أُجْرِىَ الحديث].

والذى أود أن أنبِّه إليه أن الاثنى عشر شرطا إذا تحققت حدث المشروط وهو علم نفس بمَا أحضرت، ومن ثم فالاثنى عشر المُسرَّات المتفاقمات تحدث قبل علم نَفْس بما أحضرت، وجواب الشرط ليس هو الذى يحدث فى يوم الحساب بعد البعث الذى وردت أخباره فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا

---

(١) سنعود بإذن الله تعالى إلى الكلام عن الجنة والنار فى الكتاب والسُّنَّة من خلال معطيات علم الفلك الحديث فى أحد الأجزاء التالية للموسوعة بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا / ٣٠ / آل عمران﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ / ١٣ / القيامة﴾ ففي يوم الحساب لا تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت فقط بل وتجد ما عملته محضرا مسجلا في كتابه الذي يتلقاه بيمينه أو بشماله، ويود صاحب العمل السيء أن يكون بينه وبين عمله أو كتابه أمدا بعيداً. وليس من إنسان إلا ويعلم ما عمل ويجده محضرا بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ كما يعلم كل إنسان ما عمله من خير أي من الطاعات وكذا ما عمل من شر أي المعاصي.

أما جواب الشرط في سورة التكوير (علمت نفس ما أحضرت) فهو مختلف تماما لأنه مما يحدث هنا في الدنيا وسيحدث عندما تقوم القيامة الصغرى ويقع الزلزال العظيم وتقع الخسوف الثلاثة ويقتل ويموت كثير من البشر فعند ملاقاة الموت وفي لحظة واحدة بعد تيقن المرء أنه هالك لامحالة يمر بخاطره شريط ذكريات تتسلسل فيه أحداث حياته، فقط يعلم ما أحضر من أعمال، فالآية تدل على عدة حقائق بمقتضى منطوقها اللغوي:

١ ـ أنها جواب شرط للأشراط الاثني عشر السابقة، فهو يحدث بمجرد تحققها جميعا وقد اثبتنا أنها جميعها تحدث بل وحدثت، ومن ثم يحق لنا أن نرتقب تحقيق المشروط، وهو علم نفوس بما أحضرت أي مواجهة الموت.

٢ ـ ورد في الآية ذكر الذي يعلم بصيغة النكرة (نفس) وهذه تفيد البعضية وتنفي العموم. وبخلاف قوله في الآيتين الاخريين (كل نفس) أي جميع النفوس من الإنس والجن وقوله (يُنبأ الإنسان) أي كل إنسان لان الألف واللام تفيد الاستغراق والإنسان اسم جنس فالعلم بالعمل يوم البعث لكل الناس والعلم يوم الهلاك بالقيامة الصغرى للهلكى فقط أي للبعض.

٣ ـ ورد ذكر العمل بقوله تعالى: ﴿ما أحضرت﴾ من غير ذكر علم الإنسان بما هو

خيـر فى عمـله وما هو شـر لأن هذا لا يكون إلا بعد تسلم الكـتاب يوم الحـساب والميزان أما قبل الهلاك ولحظة الموت فهو مجرد شريط ذكريات من غير تقييم.

٤ ـ وهذا هو الذى يحـدث للذى يواجه الموت غـرقًا أوفي حادث حـسب ما أثبـتت بعض الدراسـات النفسية على الذين واجـهوا الموت ثم نجـوا وهو مجـرد تذكر الأعـمـال أو شريـط من الذكريـات منذ الطفـولة المبكرة حـتى الموت اما فى يوم الحـساب فـالعلم لكل الناس وهو علم مـا هو خيـر أو شر أو بما قـدمت من خيـر وأخرت من شر.

وعلى هذا فإن قوله تعـالى علمت نفس ما أحضرت يتـحقق فى الدنيا، وهو دليل على موت بعض البشر فى أحداث القيامة الصغرى وليس كل البشر.

٥ ـ خلط ابن كـثير وغـيره من المفـسرين بين هذا الحـدث وبين أحداث الحـساب فى القيـامة الكبـرى وهو من الأخطاء الشائعـة عند المفسـرين إذ جعلوا النفـخات فى الصور اثنتين فقط وقد نبهنا إلى مثل هذه الأخطاء فى الجزء الثانى.

(٢٧) أسـماء المسـرات المتفـاقـمات الاثنى عـشـر فى سـورة التكوير اسماء لعلامات على مظاهر حضارية اكثر من كونها اسماء للأشياء نفسها:.

وذلك لأن علامة الشىء ليست هى حقيقة الشىء، بل هى غيره، وربما تكون عرضا من أعراضـه أو صفة خارجـية من صفـاته، ولكنها لا تعبـر عن حقيـقة الشىء أو عن صفة ذاتية له.

ومثـال هذا العلامة التى يضـعها ضـابط الشرطة أو ضابط الجـيش، تلك التى تدل على رتبته فـعلامة رتبة اللواء الموضوعـة على كتف الضابط الكبيـر ليست هى الرتبة، وليـست هى الضابط، لأن رتبـة اللواء تعنى بالنسـبة لمن يـحملهـا خبـرة سنين وعلوم عسكـرية وشخصـية ذات خـصائص مـحددة تجعله مـؤهلا أن يقوم بعـمله، ومن ثم

فكونه أهلا لهذه الرتبة معناه بالضرورة أنه غير العلامة الموضوعة على كتفيه، لأن المؤهلات النفسية والعقلية المعبرة عنها الرتبة أمور باطنية إنسانية والعلامة رمز مادى، كالعلم تتخذه الدولة رمزا لها ويمكن أن يتغير هذا الرمز مع ثبات الدولة، وعلى هذا إذا قلنا أن اسماء الاثنى عشر أمارة المسرات المتفاقمات اسماء علامات على مظاهر التقدم الحضارى فى عصر القيامة الصغرى، فهى ليست اسماء لهذه المظاهر الحضارية، وإنما هى رموز تدل عليها، ولا تكون إلا بها.

فتجميع اشعة الشمس رمز للعدسة والتقدم فى علم الضوء وكل المخترعات البصرية والطاقة الشمسية.

وانكدار النجوم ليس مظهراً من مظاهر الحضارة، وإنما هو علامة أو رمز للمظهر الحضارى الذى هو إضاءة المدن بالكهرباء وبالتالى يمكن أن يكون دليلا على جميع استخدامات الكهرباء.

وتَسْيير الجبال رمز ودليل على المخترعات المعاصرة من المعدات الثقيلة فى التشييد والهدم والبناء.

وتعطيل النُّوق والجمال المخصصة لقوافل السفر عن السفر عليها علامة على جميع وسائل الانتقال والسفر والنقل الخفيف والثقيل فى البر والجو.

وحشر الوحوش علامة على التقدم الحضارى فى كثير من مجالات الحياة مثل الصيد بأساليب مختلفة والنقل والطب البيطرى وأجهزة التكييف تبريداً وتدفئة لصناعة البيئة المختلفة المناسبة لكل وحش كما هى فى موطنه الأصلي.

وكذلك فيه علامة على التقدم فى ترويض الوحوش وتدريبها للعمل فى السيرك.

وتَسْجير البحار دلالة على استخراج البترول وتكريره واستخدام مُشْتَقَّاته فى أخطر المجالات ومنها توليد الكهرباء، ومن ثم لانه روح هذا التقدم فى جميع المجالات جاء ترتيبه السادس بين العلامات أى أنه فى المنتصف.

اما تزويج النفوس بالاستنساخ فهو علامة على آخر ما توصلت إليه العلوم الصحية والطبية والجراحية والهندسة الوراثية.

أما سؤال الموؤدة فهو علامة حضارية خلقية في آن واحد، لأنه ما كان أن يتم الاجهاض بوسائل حديثة لمنع الحمل أو الاجهاض لاستخدام الأجنة لصناعة كريم الوجه أو القتل لبيع أعضاء الأطفال إلا بالتّقّدم الحضارى ويعتبر ذكرنا لحادثة قتل ديانا بسبب حملها لجنين سيكون مسلما وبسبب رغبتها فى الإسلام أبشع جريمة وأد فى التاريخ تغضب الله عزوجل، لأن الاجابة الوحيدة التى تقدمها هذه النفس بعد وأدها عن سبب قتلها هى: لاننى كننت سأكون نفسًا مسلمة. فحالة الوأد هذه علامة على ما وصلت إليه أخلاق الناس من الاستهانة بإزهاق الأنفس لأسباب اقتصادية وخلقية وقمة هذا كله السبب الديني الذي دلّ على أنهم ينظرون إلى الإسلام على أنه عار يجب التخلص منه، فلا يظن القارئ أنني أفسر هذه الآية بحادثة ديانا بل بظاهرة الوأد الخفي الذي هو منع الحمل وقتل الاجنة. أى الاجهاض ثم قتل الاطفال وخنقهن لأسباب دنيوية وقمة هذه الظاهرة وأجلى علامة ورمز لها هى قتل الاميرة المحبوبة بقصد وأد فى رحمها مع البكاء عليها.

وأما نشر الصحف فهو علامة حضارية على كل ما وصل إليه التقدم الاعلامي مقروءاً ومسموعا ومشاهداً لأن كل ما يبث عن طريق وسائل الإعلام يبدأ برسالة مكتوبة فى صحيفة فالصحيفة المكتوبة بالقلم رمز للنشر الإعلامي الواسع بأنواعه المتعددة، فالصحف مذكورة باعتبارها رمزا وعلامة وليست بذاتها.

اما كشط السماء فهو علامة واضحة على ما حدث من ضعف فى طبقة الاوزون فوق القطبين المتجمّدْين، وهو علامة أيضا على فساد البيئة. نتيجة الاستخدامات الصناعية.

وتَسعير الجحيم علامة على غضب الله تعالى الذى يوشك أن ينزل به عذاب القيامة الصغرى إذا لم يتوبوا إليه عزوجل.

وقرب الجنة دليل على قرب نهاية الدنيا التى ليس بعدها إلا نار مُسَعَّرة للكافرين أو جنة ونعم أبدى للمؤمنين. فهما أيضا علامتان على قرب القيامة وانتهاء الدنيا.

والخلاصة أن الاثني عشر فى سورة التكوير مجرد رموز لمظاهر حضارية وعلامات عليها.

الفصل الثالث

الأقمار الصناعية ذروة سنام المُسِرات المتفاقمات في القرآن الكريم

٢٨ - اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الخُنَّس الجوار الكُنَّس.

٢٩ - الاقمار الصناعيةُ واستخداماتُها.

٣٠ - انطباق صفتي الخنوس والكنوس معا على الاقمار الصناعية.

٣١ - أقمـار صناعية للاتصـالات والبث التليفـزيوني خُنَّسٌ جواري كُنَّسٌ.

٣٢ - الصلة والمناسـبة بين القسـم بالخنس (الاقمـار الصناعـية) وبَيْن المقسم عليه وهو قوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم).

(٢٨) اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الخنس الجوار الكنس:

قال تعالى فى سورة التكوير بعد ذكر المسرات المتفاقمات مقسما ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ / ١٠ - ٢٩/ التكوير﴾ فماذا قال قدامى المفسرين فى ﴿بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾؟ ورد فيها قولان: الأول هى النجوم، والثانى: هى بقر الوحش أو الظباء.

الأول: أورد ابن كثير رحمه الله الأقوال التالية بسندها: (عن على ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: (هى النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل) قال ابن كثير بعد هذه الرواية (وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم أنها النجوم وروى ابن جرير بسنده عن بكر بن عبدالله فى قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال هى النجوم الدرارى التى تجرى تستقبل المشرق).

قال ابن كثير (وقال بعض الائمة: وإنما قيل للنجوم الخنس أى من حال طلوعها، ثم هى جوارى فى فلكها، وفى حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب: أوى الظبى إلى كناسه، إذا تَغَيَّب فيه).

الثانى: وهو بقر الوحش أو الظباء أورد فيه ابن كثير ما يلى (وقال الأعمش عن إبراهيم قال: قال عبدالله فلا اقسم بالخنس قال: بقر الوحش، وكذا قال الثورى عن أبى اسحق عن أبى ميسرة عن عبدالله: فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس ما هى يا

عمر؟ قلت: البقر قال: وأنا أرى ذلك، وكذا روى يونس عن أبي إسحق. وقال أبوداود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (الجوار الكنس) قال: البقر تكنس إلى الظل، وكذا قال سعيد بن جبير. وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء، وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر.

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة من إبراهيم ومجاهد: أنهما تذاكرا هذه الآية ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت؟ قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون: أنها النجوم.

قال فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت، قال فقال مجاهد: كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس حجرتها.

قال: (فقال إبراهيم انهم يكذبون عَلَيّ عَلَيٍّ هذا كما رووا عن على أنه ضمن الأسفل إلا على وإلا على الأسفل).

أما ابن جرير الطبري رحمه الله فقد توقف حيال القولين ولم يرجح أحدهما على الآخر بل قال (ويحتمل أن يكون الجميع مراداً).

وإذا كان لي من تعليق على إختلاف المفسرين من السلف حول تفسير قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ فهو قولي: إنهم رحمهم الله اختلفوا حول تفسيرين، الأول: باللغة أي بمحض المدلول اللغوي والآخر تفسير مأثور عن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهو تفسيرها بالنجوم الدراري، وهو مخالف للتفسير اللغوي الذي لا يحتمل إلا الظباء وبقر الوحش كما سنرى.

بيد أن ابن كثير حقق الأثر الوارد عن سيدنا علي بن أبي طالب القائل بالنجوم الدراري وصححه فقال بعد أن روى الأثر بسنده (وهذا إسناد جيد صحيح) وقد

أورد الاثر باكثر من سند جيد. فلا مجال إذن لقول إبراهيم السابق (إنهم يكذبون على عليٍّ) مادام السند جيد صحيح، ولعله لم يقل قوله هذا إلا لأنه لم يكن يعلم صحة السند، ولأنه من ناحية أخرى كان يعلم أن سيدنا على لا ينقصه العلم بلغة العرب، ومن ثم استبعد أن يفسر الآيتين تفسيرا بعيدا عن اللغة أو مخالفا لها.

ولكن مادام الأثر صحيحا فإن تفسير قسم الله تعالى بالخنس بأنه قسم بالنجوم لابد أن يكون لأن سيدنا على بن طالب رضى الله عنه قد تلقاه من سيدنا رسول الله ﷺ ولكنه لم يرفعه له لحكمة، وإن كان بهذا الاعتبار فى حكم المرفوع.

ونظراً لأن القول الأول بأثر صحيح عن على بن طالب والقول الثانى بمحض اللغة وكلاهما مما لا يجوز رفضه ونظراً للتباين بينهما تباينا صَعَّبَ على ابن جرير الطبرى التوفيق بينهما، وإنه رحمه الله توقف فلم يرجح احدهما على الآخر وفى نفس الوقت لجأ إلى الجمع بينهما وقال: (ويحتمل ان يكون الجميع مراداً)، ولم يجزم به لقوله (ويحتمل). والذى أرجحه، والله تعالى أعلم، أن هذا القسم لا يجوز تأويله بعيداً عن حديث رسول الله ﷺ عن مُسرَّات يوم القيامة المتفاقمات لأن قوله ﷺ (من سَرَّهُ أن يَرى القيامة رأى عين فليقرأ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ...﴾ إلى آخره يفيد قراءة السورة بكاملها ومن ثم فالقسم الوارد بها لابد أن يكون من الأحداث أو المظاهر أو المخترعات التى هى مُسرَّات يوم القيامة أى مبهجات هذا العصر الأخير من عصور البشرية، عصر زخرفة الأرض وزينتها وقوة بطش أهلها حتى يصلوا إلى الظن بأنهم قادرون على حمايتها مما يأتى من السماء من عذاب فى شكل نيازك ضخمة أو زلازل وخسوف وكذلك الظن بأنهم قادرون على رؤية أى جزء من سطح الأرض وتصويره وتحديد أى شيء على سطحها بدقة تبلغ القياس بالسنتيمتر، كما أنهم استطاعوا رصد ما فى باطن الأرض من معادن وبترول ومياه جوفية بالتصوير الجوى والفضائي وبالاستشعار عن بعد، وباستخدام الاقمار الصناعية فى التجسس والاتصال والأرسال التليفزيوني الإعلامي وفى إدارة المعارك الحربية جعلهم يظنون أنهم قادرون عليها.

وعلى هذا فلابد أن يكون قسم الله تعالى بالخُنَّس الجوار الكُنَّس قسما بشيء خاص بهذا اليوم، لم يكن له وجود قبله، أو هو لم يحدث من قبل.

وحسب القاعدة التفسيرية الثابتة التى تقول أن كل آية فى السورة لابد أن تكون مرتبطة بسياقها وبموضوعها العام، فليس القرآن الكريم آيات متفرقات لا صلة بينهما بل الصلة قائمة حتي بين كل سورة والتي تليها وكل آية والتى تليها وكل آية والسورة التى هى فيها، وإن خفيت علينا بعض الصلات أحيانا.

فما الصلة إذن بين قَسَمِه تعالى ﴿بِالْخُنَّسِ ⑮ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ وبين مُسرَّات يوم القيامة الاثنى عشر؟!

وكذلك ما الصلة بين هذا القسم والقسم الذي جاء بعده فى السياق وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾

ونبدأ ببيان المعنى اللغوى لهذين القسمين فما هى الخنس؟

قال ابن فارس فى معجمه (الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر. قالوا: الخنس الذهاب فى خفية. يقال خَنَسَ عنه وأخنس عنه حقه، والخنس: النجوم تخنس فى المغيب، وقال قوم سُمِّيت بذلك لأنها تختفى نهاراً وتطلع ليلا والخناس من صفة الشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، ومن هذا الباب الخنس فى الأنف إنحطاط القصبة. والبقر كلها خنس)[1].

وقال ابن منظور (خنس: الخنوس الانقباض والاستخفاء. خنس من بين أصحابه: انقبض وتأخر، وقيل: رجع. وأخنسه غيره خلفه ومضى عنه. وفى الحديث (الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس أى انقبض منه وتأخر.

قال الأزهرى وكذا قال الفراء فى قوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) قال: ابليس يوسوس في صدور الناس، فإذا ذكر الله خنس؛ وقيل: إن له رأسا كرأس الحية

---

(١) تفسير ابن كثير مجلد ص٤/ ص٤٧٨.

يجثم على القلب، فإذا ذكر العبدُ الله تنحى وخنس. وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس نُعوذ بالله منه.. ثم قال ابن منظور قول (الأزهرى: خنس) فى كلام العرب يكون لازما ويكون متعديا يقال: خَنَّسْتُ فلانا فخنس أى أخَّرته فتأخر وقبضته فانقبض.. وهكذا قال ابن شميل فى حديث رواه: (يخرج عنق من النار فتخنس بالجبارين فى النار)، يريد تدخل بهم فى النار وتغيبهم فيها. يقال خنس به أى ورَّاه ويقال: يخنس بهم أى يغيب بهم، وخنس الرجل إذا توارى وغاب، وأخنستُه أنا أى خلَّفته.

والكواكب الخُنَّس: الدرارى الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الظباء وهى: زُحَل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تختفى تحت ضوء الشمس وتكنس أى تستر كما تكنس الظباء فى المغار، وهى الكناس وخنوسها إستخفاؤها بالنهار بينا نراها فى آخر البرج كرت راجعة إلى أوله ويقال: سُمِّيت خُنَّسا لتأخرها... ويقال هى الكواكب السيارة دون الثابتة). ويقصد بالثابتة النجوم. ثم قال ابن منظور (الزجاج فى قوله. فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. قال: اكثر أهل التَّفسير فى الخنَّس أنها النجوم وخنوسها أنها تغيب وتكنس تغيب أيضا كما يدخل الظبى كناسه)(1).

(وفى الصحاح: الكُنَّس الكواكب لانها تكنس فى المغيب أى تستتر... والكنس جمع كانس وهى التى تغيب من كنس الظبى إذا تغيب واستتر فى كناسه، وهو الموضع الذي يأوى إليه.

والكَنْسُ كسح القمام عن وجه الأرض، وكَنَسَ الموضع يكنُسُه بالضم كنسا كسح القمامة عنه)(2).

(والكناسُ: الظبى يدخل فى كناسه، وهو موضع فى الشجر يكتن فيه ويَسْتَتِر وظباء كنَّسٌ وكُنُوس)(3).

---

(2) كنز المال ١١/٣١٤٤٦، و٣١٠٢٤.

(3) كنز العمال ١١/٣١٠١٦.

وعلى هذا نقول إن عناصر مادة خنس هى: الاختفاء والتغيب والتأخر والتخلف والتوارى والانقباض، واللجوء إلى الظل للإختفاء فى ظلمته.

لكن للكلمة صيغا للمبالغة متعددة إذ تتعدد صيغ اسم الفاعل منها كقولنا خانس وخناس وخُنوس وأكثرها مبالغة فى المعنى كُنَّس كقولنا نساء كُمَّلْ، فهن أكثر كمالا من كاملات.

فكونها خُنَّس، أى أن هذا الذى أقسم به الله عزوجل من شأنه أنه يخنس كثيراً جدا جدا، لأن ابراز هذه الخاصية فيه، وذكره بها يدل على أن هوية هذا الشيء ووظيفته أو غايته أو فائدته تكمن فى كثرة تغيبه بعد ظهوره، ومن ثم كثرة ظهوره بعد تغيبه، فالغيب والاختفاء والتوارى والتخلف أهم ما يميزه، إذ تتحقق الغاية منه والفائدة المرجوة من وجوده بتغيبه الكثير أى المتكرر وتكرار التغيب يستلزم تكرار الظهور لأن كلاهما لايكون إلا بعد الآخر.

ولكن هذا الشيء الذى يخنس كثيرا جدا هو الذى وصفه الله عزوجل بأنه يجرى ويكنس بقوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ والكنَّس صيغة مبالغة من كنس يكنس وهى على وزن خُنَّس أيضا وهى مأخوذة كما علمنا من قول العرب عن الظبى يأوى إلى كُنَاسه أو يكنس إلى بيته، فالكنس لابد أن يكون انتقالا على الأرض إلى ما يختفى فيه الظبى سواء كان بيته أى كهفه أو إلى ما يكنه من ظِل أشجار الغابة ويحميه من حرارة الشمس أو من الخطر. ومن ثم رفض بعض السلف: مجاهد وإبراهيم وغيرهما تفسير (الخُنَّس الجوارى الكنس) بالنجوم أو الكواكب، لأن القول بأنها خُنَّس لأنها تختفى لايَصْدق ولا يتطابق على الكواكب لأنها تظهر بالليل وتختفى بالنهار أى بالعكس أى يقدح فى هذا القول أن كل النجوم وكذلك القمر يظهرون بالليل ويختفون بالنهار، كما أن الشمس تظهر بالنهار وتختفى بالليل فكل أجرام السماء تخْنُس مرة كل يوم: النجوم والكواكب والقمر جميعها تَخْنُسُ مع طلوع النهار. والشمس

تخنس مع مجيء الليل. فإذا كان القسم بالخُنَّس يتطابق ويصدق على الكواكب الخمسة، فهو أيضا، بهذا المعنى للاختفاء اليومى، يَصْدُق على النجوم والقمر والشمس أيضا.. فلم نقصرها على هذه الكواكب الخمسة؟!

والاعتراض الثانى وهو الرئيسى والجوهرى الذى يمنع القول بأنها الكواكب السيارة، ومن ثم رفضها المفسرون من التابعين، هو أن هذه الخُنَّس تتصف، مع كونها خُنَّس أى كثيرة الغياب، بأنها أيضا جوارى كُنَّس فهى سريعة فى حركتها سرعة كافية لكي تجعلها تكنس إلى خبائها أو إلى الظل بسرعة بينما الكواكب لا تختفى بلجوئها إلى الظل وإنا تختفى بسبب ضوء النهار، وليس بسبب سرعة لجوئها إلى الظل، وهذا وجه مخالفة لايمكن إهماله، كما أنها ليست سريعة فى إختفائها، وليس اختفاؤها متكررا وكثيرا حسب دلالة صيغة المبالغة الواردة فى لفظ خُنَّس، والواردة فى لفظ كُنَّس، فحركة الكواكب البادية للعين مثل حركة النجوم والشمس والقمر، فهى لا تتميز عنهم بأنها جوارى. من أجل هذا رفضوا الأثر الوارد عن سيدنا علىٍّ رضى الله عنه مع صحته، لأن هذا الوصف لا يصدق على الكواكب أو النجوم، والتزموا المعنى اللغوى المحض للقسم الإلهى بالخنس، وهو الظباء وبقر الوحش لكن من ناحية اخرى نجد أنه يصدق عليه وصف الجوارى الكُنَّس ولا يصدق عليه وصف الخُنَّس، من هنا توقف ابن جرير الطبرى رحمه الله بعد أن تكافأت عنده أدلة القولَيْن.

والذى أفسر به هذا القسم الإلهى الكريم فى ضوء المُسِرَّات المتفاقمات، وفى ضوء عصر زَخْرَفَة الأرض وزينتها وهو العصر الذى يظن أهلها أنهم قادرون عليها، أقول أفسر هذا القسم بأحد أهم مظاهر التقدم العلمى والتقنى ووسيلة من وسائل قوة الإنسان فى الأرض، تلك التى مَكَّنَ الله تعالى بها للإنسان فيها بما أتاه من سلطان علم الأسماء الذي هو المؤهل الأساسى لاستخلاف الإنسان فيها.هذه الوسيلة التى أقسم الله تعالى بها هى الأقمار الصُّنْعِيَّة التى يُطْلَقُ عليها فى الإعلام الأقْمار الصناعية.

(٢٩) الأقمار الصناعية واستخداماتها: -

يقول عنها المختصون أن اطلاق أول قمر صناعي روسي كان عام ١٩٥٨ ثم أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول قمر صناعي لها في ديسمبر عام ١٩٥٨ وأرسلت أمريكا من خلاله رسالة عيد الميلاد لسلام العالم من الرئيس أيزنهاور إلى هذا القمر وتم تسجيلها في أجهزته، ثم بثها من القمر إلى العالم، فكانت هذه الرسالة أول صوت يسمعه الإنسان آتيا من الفضاء وعمل هذا القمر لمدة ١٣ يوما فقط.

ثم تتابعت أقمار الاتصالات مع ثورة الالكترونيات والاتصالات الدولية الهائلة، وتم انشاء أول منظمة عام ١٩٦٤ وهى إنتلسات، أطلقت أول قمر تجارى للاتصالات عام ١٩٦٥ (انتلسات ١) كانت سعته ٢٤٠ قناة صوتية وقناة تليفزيونية واحدة بين أمريكا وأوربا ثم تتابعت أجيال الاقمار الخاصة بالاتصالات حتى وصلت ستة أجيال موفرة أشكالا متنوعة من الاتصالات القمرية مقدمة خدماتها إلى أكثر من ١٦٥ دولة ضمن شبكة متكاملة تضم ١٥ قمراً صناعيا.

واستخدمت أمريكا والعديد من الدول الأقمار الصناعية للأغراض العسكرية وبنت أعداداً معلومة من هذه الأقمار وأطلقتها محتفظة بأسرارها لنفسها وهذه الأقمار تساهم في توجيه أساطيلها البحرية والغواصات في أعماق المحيطات أو البحار والسفن، وكذلك أسلحة الطيران المختلفة حتى ظهر مفهوم عَسْكَرَة الفضاء لامتلائه بأعداد هائلة من الأقمار التى جعلوا بعضها في مدارات بيضاوية تكون قريبة جدا في بعض الأحيان من الأرض وبعيدة أحيانا أخري نسبيا.

وأستخدمت الأقمار الصناعية لأغراض مدنية مثل التنبؤ بحالة الطقس اليومية وربما على مدار الساعة عن طريق معرفة اتجاهات الرياح والسحب والاعاصير والمنخفضات الجوية ونتائجها، والسبيل إلى العلم بهذا كله هو الرؤية المباشرة لكوكب الأرض وما يحدث في أجوائها من خلال التصوير الفضائي لها الذى يقوم به القمر ثم يبثه إلى المحطات الأرضية وأجهزة الاستقبال.

واستخدمت الأقـمار الصناعية فى تعميم الإرسـال التليفزيوني المحلي للدول عن طريق إرسال هذا البث إلى قناة خـاصة فى القمـر الصناعي، ثم ارسال هذا البث إلى منطقة واسعـة من الكرة الأرضية، فظهر مـا يُعرَفَ الآن بقنوات التليفزيون الفـضائية التى تسـتـقـبلهـا المنازل عن طريق مُسْتَقْبِلات خـاصـة تُعـرفُ الآن «بالدش» فـوق الأسطح. ومن أهم وأخطر استخـدامات الأقـمار الـصناعيـة التجسس على الدول المعادية بتصوير ما يقع فَوق أرضها من منشآت عسكرية وتحركات لجيوشها، وكذلك من استـخدامـاتها مـا يُعْرَف بالمسح الجيولوجـي للأرض، عن طريق التصـوير، أو ما يعـرف بالاستـشعـار عن بعـد، وهكذا تبين لنا أن الأقمـار الصناعـية مـتعـددة المنافع والأغراض ومن ثم اختلفت أنواعا:

أولاً: أقمار استقـبال البث التليفزيوني وإعادة بثه إلى مسـاحة كبيرة من الأرض بما يعـرف بظاهرة القنوات الفضـائيـة، وتقوم هذه الأقـمار أيضـا يحمل قنوات إتصـال تليفونية للخطوط الدولية. وهذه الأقمار تكون فى مدار متزامن مع الأرض ليظل القر ثابتـا فوق موضع واحـد من الأرض، لأنه يدور بسـرعة الأرض وفى اتجـاه دورانها، ومن ثم يظل دائرا بصفة مستمرة مدة عمره الافتراضى التى تبلغ ١٥ عاما فوق نفس البقعة التى وضع عليها، ولتحـقيق هذا لابد أن يكون ارتفاعه فى حدود ستة وثلاثين ألف كـيلومتر، لأن سرعـته البطيـئة نـسبيا، وهى نفس سـرعة الأرض لا تسـمح له بالاقتراب إلى الأرض وإلا جـذبته الأرض وسقط على سطحها، فلكى يسـتقبل هذا القمر من دولة مـعينة أو بقعة معينة من الأرض ويرسـل إلى بقـعة أوسع قد تصل إلى ثلث محـيط الكرة الأرضيـة فلابد أن يظل ثابتـا فوق هذه البقـعة التى يسـتقـبل منها ويكون فى مـواجـهة ثـلـث محـيط الكرة الأرضـيـة التى يبث إليـهـا ومن ثَمَّ تمكنت الولايات المتحدة من بث ارسـالهـا التليفـزيوني عـبر ثلاثة أقـمـار تغطى كل محـيط الأرض، وهذا لا يتحـقق إلا بأن يدور القمَر فـى مدار من الغرب إلى الـشرق، وهو نفس اتجاه دوران الأرض، ويكون فـوق خط الاستواء حتى يكون دورانه حـول مركز الأرض، ثم لابد لكى يتـحقق ثباته فـوق بقعـة واحدة أن يكون دورانه بنفس سـرعة الأرض، وحيث أن سـرعتـه هذه لا تعطيه قـوة طرد مركزية فـلا مناص من أن يرتفع

مبتعدا عن منطقة قوة جاذبيتها إلى ارتفاع يصل إلى ستة وثلاثين ألف كيلومتر مربع أو أكثر هربا من مجال الجاذبية القوى إلى المجال الأضعف الذى يمكنه مقاومته فلا يسقط. وعلى هذا فان هذا النوع من الأقمار لا يصدق عليه أنه من الخنس الجوار الكنس معا وإن كان يصدق عليه وصف الجوار الكنس فحسب.

ثانيا: أقمار التجسس والمسح الجيولوجي ومراقبة أحوال الطقس وتوجيه السفن والغواصات والطائرات فى كل محيطات الأرض وقاراتها واكثرها لأمريكا وروسيا وأوربا: وهذا النوع يختلف عن الأول، إذ لابد لكى يقوم بالمهام وبالتصوير المطلوب وتحديد أماكن المعدات العسكرية بدقة أن يكون على إرتفاع قريب من سطح الأرض نسبيا فلا يزيد ارتفاعه عن ألف كيلومتر، وربما يقل عن ذلك، ومن ثم لابد أن تكون قوة الطرد المركزية عنده قوية لتعادل قوة الجاذبية الشديدة، بسبب قربه من سطح الأرض، وحيث لا تتأتي قوة الطرد المعادلة لقوة الجاذبية إلا بزيادة السرعة، فإن هذا النوع من الاقمار لا يتم دورانه فى مدار حول الأرض من غير أن يسقط إلا إذا كانت سرعته فى حدود إثنى عشرة مرة ضعف سرعة دوران الأرض، ولابد من زيادة السرعة كلما انخفض المدار، وإقترب من سطح الأرض، وعلى هذا فإن القمر الصناعى من هذا النوع الذي يأخذ مداره حول الكرة الأرضية من الغرب إلى الشرق بهذه السرعة يدور حول الأرض مرة كل ساعتين تقريبا أو أقل حسب وزنه وارتفاعه، أى أنه يدخل فوق النصف المظلم فيقطعه فى ساعة تقريبا، ثم يدخل فى مداره فوق النصف المضيء فيقطعه في ساعة أخرى، وهكذا يدور حول مداره إثنى عشر مرة كل يوم من أيام الأرض، وعلى هذا فإنه يمر على المنطقة المراد تصويرها مرة كل ساعتين ومن ثم يتمكن الجيش المراد رصد تحركاته من الكمون فى أثناء مرور القمر فوق مواقعه ثم التحرك فى المدة التى يكون فيها القمر غائبا فى الناحية الأخري من الكرة الأرضية، لأن هذه الأقمار تغيب وتختفى عند دخولها فى خطوط الطول الخاصة بنصف الكرة الأرضية من الناحية الأخرى منها، فلا يمكنه تصوير البلد المراد التجسس عليه. أثناء اختفائه فى الناحية الأخرى من الكرة الأرضية، فهو اختفاء وراء نصف الأرض، ومن ثم يصدق عليه أنه يتوارى.

(٣٠) إنطباق الخنوس والكنوس على الاقمار الصناعية:-

فالاقمار الصناعية كثيرة الغياب والتوارى

والاختفاء وراء الأفق البعيد الذى يمنع تصوير الموقع المراد ويمنع البث والاستقبال. بل إنه يختفى فى اليوم الواحد إثنى عشرة مرة أو اقل قليلا أو أكثر حسب سرعته التى يحددها ارتفاعه عن سطح الأرض. فهو كثير الاختفاء والغياب ومن ثم فهو من الخنس، وهذا تطابق لغوى تام بين الوصف القرآنى وبين واقع هذا النوع من الاقمار وهو تطابق تام بينه وبين الأثر الوارد عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفس الوقت، حين قال إنها النجوم، ومع قول السلف القائلين أنها الكواكب الدرارى التى تظهر فى السماء وتختفى وهو ما يتطابق عليها أكثر من انطباقه على النجوم والكواكب من حيث أنها كثيرة الاختفاء والتورية ليس هذا فقط، بل إن من معانى الخنَّس أنها التى تخلِّف غيرها وراءها، وهذه الأقمار تُخَلِّف وراءها الليل إثنى عشر مرة فى اليوم الواحد وتخلف وراءها النهار اثنى عشرة مرة وأدق من هذا القول بأنها تمر على الخط الفاصل بين الظلام والنُّور فى الكرة الأرضية، هذا الذي يكون فجراً أو صبحا فى ناحية منها ومغربا وعشاءاً فى الناحية الأخرى، وكلا الحالين أوالوقتين إقبال الليل ودخوله عشاءاً أو إدباره فجراً فى لغة العرب «عسعس الليل»[1]، وحيث أن هذه الأقمار تَدُور من الغرب إلى الشرق فى اتجاه دوران الكرة الأرضية فإنها تدخل منطقة ظلام الكرة الأرضية فتشهد عسعسة الليل عشاء، ثم تجتاز منطقة الظلام وتصل إلى آخرها قبل الوصول إلى منطقة النهار بقليل فتشهد عسعسة الليل فجراً، ثم تدخل فى أول منطقة الضوء فتشهد تنفس الصبح، ويتم هذا افى اليوم الواحد إثنى عشرة مرة لذا بدأ بالقَسَمْ بالليل إذا عسعس ثم بالصبح إذا تَنَفَّس بعد القسم بالخنَّس الجوار الكنَّس، وإن كان أهل الأرض يشهدون عسعسة الليل عشاء وفجرا كل يوم مرتين وتنفس الصبح كل يوم مرة واحدة لكن الخنس تشهدها وتخلفها وراءها كل يوم هذه المرات العديدة. لذا جاء خنوسها أي اختفاؤها بأقوى صيغة للمبالغة.

---

(١) عسعس الليل فى اللغة يطلق على وقت العشاء اى اول الليل كما يطلق على وقت الفجر أى آخر الليل.

وليس الخنوس المتعدد هو خاصية هذه الأقمار المحددة لما هيتها فقط، بل يحدد ماهيتها مع هذه الخاصيه بيان وظيفتها وفائدتها أو الهدف من صنعها وهو أنها (جوارى كُنَّس) لأن القَسَمَ الإلهى بها يَتضَمَّن تَعْريفًا لها بالألف واللام (فلا أقسم بالخُنَّس الجوار الكُنَّس) فالخصائص الثلاثة المحددة لماهيتها والمشخصة لحقيقتها معرفة بالآلف واللام، جوارى أى شديدة السرعة وهى فى جريها تَخْتَفى من فوق المكان المراد مَسْحُهُ بالتصوير الجوى لتعود إلى نفس المكان، فتقوم باستكمال المسح. وإذا كان اللفظ المستخدم حديثا للتعبير عن التَّصْوير الفضائي سواء أكان للتجسس أم للأغراض العلمية أم الاقتصادية أم الحربية هو المسح الجوى فإن الكَنْسَ هو التعبير العربي الدقيق عن هذه العملية، لأن الكَنْسَ هو جمع ما على ظهر الأرض من قمامة، والتصوير هو جمع ما فوق ظهرها من منشآت أو معدات وكلاهما يشترك فى مدلول الجمع من فوق سطح الأرض، إلا أن الكنس يفيد الجمع مع أخذ، يتم جمعه بينما المسح لا يفيد ذلك، ومن ذلك كنس القمامة التى تؤخذ بعد جمعها بعيدا عن المكان. ومن ثم فالاقمار كُنَّس بصيغة المبالغة لما وصلت إليه من دقة التصوير وشموله حتى يمكن القول أنهن كنسن كل ما على ظهر الأرض كَنْسًا فصورنه أو مسحن سطح الأرض مَسْحًا جغرافيا فصورن كل شيء عليها تصويراً دقيقا، وذلك عن طريق قمر يدور - ليس من الغرب إلى الشرق فوق مدار خط الاستواء، ولكن من الشمال إلى الجنوب، فمثل هذا المدار يمكن من كَنْس صور لكل ما على الأرض من تضاريس ومن منشآت بقاطع طولى، أى يتم المسح فى إتجاه خطوط الطول، وحيث أن هذا القمر عندما يقطع دورة واحدة من الشمال إلى الجنوب، ويعود إلى الشمال مرة تالية، تكون الأرض قد دارت دورة أو أقل من الغرْب إلي الشرق، فإن الدورة التالية للقمر لن تَمُر على نفس الخطوط الطولية للأرض، بل يستمر على خطوط جديدة أو ما بعد الخطوط التى مرت عليها من قبل، فتكنس بهذا بلاداً جديدة، ومن ثم يمكن لهذا القمر كنس صور كل ما على الأرض خلال عدة دورات يقطعها فى اسبوعين أو ثلاثة حسب سرعته.

فالاقمار المدارية التى تمر فوق خط الاستواء أو الأخرى القطبية التى تمر عبر القطبين على ارتفاع منخفض نسبيا وتتم دورتها فى ساعتين تقريبا هى الخنس لسرعة اختفائها بعد ظهورها وكثرة الظهور والاختفاء، ثم هى الجوارى الكُنَّس التى يمكنها كنس ما على الأرض أو مسحه، كما يقولون، فى مدد وجيزة فإستحقت بذلك صيغة المبالغة فى الخنوس والكنس. وهى وحدها التى يصدق عليها هذه الخصائص الثلاث. وهى التى لها صلة مباشرة بالليل إذا عسعس وبالصبح إذا تنفس، وهى أيضا من مسرات يوم القيامة المبهجات، وهى أيضًا مما توصلت إليه البشرية عبر مراحل وأجيال تطورت صناعتها حتى صارت إلى ما صارت عليه الآن، ومن ثم فهى من الأمور المتفاقمة أى المتعاظمة بالتطور جيلا بعد جيل.

أما الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات والبث التليفزيوني الفضائي هذه التى تكون على ارتفاع شاهق ٣٦٠٠٠ ألف كيلومتر فلا يصدق عليها وصف الخُنَّس لأنها لا تختفى بعد ظهور عن أعين المحطات الأرضية لهذه المحطات ولا تظهر بعد اختفاء، لانها تكون فوق بقعة من الأرض وتدور بسرعتها وفى اتجاهها فتبدو ثابتة فوق هذه البقعة، ومن ثم تظل ظاهرة ومتصلة بصفة دائمة بالمحطة الأرضية التى تتلقى منها أو تبث إليها فهى اذن من الكنس فقط لانها تتلقى البث والاتصالات وتكنسها كنساً وبصفة مستمرة، بخلاف اقمار التجسس والمسح الجيولوجي التي تتصل بمحطاتها الأرضية لمدة ساعة وتخنس عنها ساعة أخرى وهكذا، أما الكنس فهى تكنس ما يرسولنه إليها ثم تكنس ولا تمسح الأرض لأي غرض من الأغراض، بل هى تكنس ما يرسلونه إليها ثم تبث من مداراتها الفتن وتنزل هذه الفتن على أسطح بيوت البشر كما ينزل القطر، واخطر هذه الفتن إدخالها الحريم على بيوت البشر بعامة وبيوت المسلمين وهى تظل تبث طيلة النهار والليل بلا انقطاع لأنها لا تخنس، ومن ثم ورد فى هذه الاقمار قوله تعالى ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [/ ٥٣/ سبأ] فالخبر الغائب الذى يحدث فى أقصى المغرب يصل إلى أهل المشرق صوتًا وصورة عبر آلاف

الكيلومترات فى اللحظة والتو أى بعد حدوثه بدقائق، وربما في أثناء حدوثه فيصبح مشاهدا وليس غيبا، لأن الغيب هو ما غاب عن حس الإنسان سمعًا وبصرا وشمًا وتذوقًا ولمسًا، ومن ثم يمكن تصنيفه إلي أربعة أصناف:

الأول: هو «الغيب المكاني» أى الذى يكون البعد المكانى هو علة كونه غيبا، كالأحداث التى تحدث بعيدا عن الحس البشرى فى المكان، تظل غيبا على البشر حتى تنتقل إليهم فى صورة الخبر الذى حدث فى الماضى. ومن الغيبيات المكانية عوالم بعيدة عنا مثل الجنة والنار.

الثانى: «الغيب الزمانى» وهى الأحداث والمخلوقات التى لم تَحْدُث بعد، ومن ثم يعجز البشر عن إدراكها قبل حدوثها، ولا سبيل إليها إلا بالوحى السماوى.

الثالث: «الغيب الزمانى المكانى» أى البعيدة عن الحس البشرى فى المكان والزمان.

الرابع: «الغيب الكونى» نسبة إلى كينونة المخلوق وطبيعته الخلقية التى تكون هى علة غيبه عن الحس البشرى، رغم حضوره فى الزمان والمكان قريبا من الحس البشرى مثل الملائكة والجن، فالجن متواجدون ومختلطون بالبشر، وهم لا يرون منهم أحدًا، وكذلك الملائكة لا تُفَارق البشر ولا تفارق الجن أيضا. والبشر لا يَرَوْنَ الملائكة، وكذلك الجن لا يرونْ الملائكة، فالملائكة غيب عن حس الجن كما أن الجن والملائكة غيب عن حسن البشر، وما هذا الغياب إلا بسبب طبيعة الملائكة والجن، وبسبب محدودية الحس البشرى وعجزه عن إدراك هذين العالمين، فلما توصل الإنسان إلى خصائص الصوت وخصائص الضوء والقوانين الحاكمة لهما تمكن بهذا العلم من صناعة الأجهزة الموسعة لدائرة السمع ودائرة البصر ومجالهما ثم مع تمكنه بالعلم من نفاذه من أقطار السماوات بالصواريخ والأقمار الصناعية تمكن من استخدام الأجهزة البصرية والسمعية من خارج الغلاف الجوى إرسالاً واستقبالاً وبثًا فصاروا يقذفون بالخبر أو الحدث صوتًا وصورة من مكان بعيد، ويدل قوله تعالى فى الآية ﴿ويَقْذِفُونَ

بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[/ ٥٣/ سبأ] على أن الأحداث التى هى من قبيل الغيب المكانى لاتصل إلى المكان البعيد ولا تُصبح شهادة إلا قَذْفًا، وفى هذا إشارة إلى أنها لا تُرْسَلُ إرسَالاً كالبريد لأن المقذوف لا يصل إلى المكان المقذوف إليه إلا باختراق الهواء أو النفاذ من الفراغ. فهذه الآية خاصة بأقمار الاتصالات والبث التليفزيوني التى هى على إرتفاع يصل إلى ستة وثلاثين ألف كيلومتر فوق سطح البحر والتى يصدق أنها جوار كنس فقط، فانظر إلى أى مكان بعيد هذا الذى تقذف محطات الإرسال الأرضية إليها بثها التليفزيوني أو الاذاعي أو المكالمات الهاتفية لتبثها هذه الاقمار إلى الأرض مرة ثانية أو تنزل بعد ذلك على المستقبلات الأرضية (الدش والهواتف بأنواعها وآخرها المحمول) نزول القطر. فالقذف بالغيب يتطابق مع ما تقوم به وكالات الأنباء من بث أخبارها صورة وصَوْتًا إلى الأقمار الصناعية لأن ضمير الفاعل الذى هو واو الجماعة فى قوله (ويقذفون) يعود على مؤسسات القنوات الفضائية الاخبارية العالمية وكذا القنوات الفضائية لسائر الدول حيث يقوم كل تليفزيون ببث الأحداث في دولته: وكذا كل مراسل إلى القمر الصناعى الخاص به ثم تقوم التليفزيونات المحلية بالتقاط هذا المبثوث لإذاعته. فالآية تدُلُّ على قاذفين للأحداث الغائبة غيبا مكانيا من كل مكان فى الأرض لتصُبح مشاهدة لمن يريد أن يعلمها، إذ عليه فقط أن يتوجه إلي جهاز الالتقاط التلفاز ليلتقط به هذا الحدث ويشاهده ويسمعه. وحيث أن اليهود فى زمن إفسادتهم الأخيرة المعاصرة هم الذين يمتلكون أكثر هذه المؤسسات الاعلامية فإنهم هم الذين يصيغون الأخبار والأحداث من وجهة نظرهم بما يخدم مخططاتهم الإفسادية علاوة على نشر الفساد لهواً ببث صور العاريات باسم الفن ولعبا بملأ الحياة بشتى أنواع المسابقات الرياضية. ومن ثم قال تعالى عن سيطرتهم على الإعلام العالمى فى هذه الافسادة ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ لأن النفير كان الوسيلة القديمة للإعلام سواء للجنود أو لغيرهم.

(٣١) أقمار صناعية للاتصالات والبث خنس جوارى كنس:

أما الجيل القادم من أجيال الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات فهو ما تقوم إحدى الشركات الأمريكية العالمية بصنعه الآن، وهو يقوم على الاستغناء عن الأقمار

الصناعية الثابتة فوق بقعة محددة بدورانها بسرعة دوران الأرض وفى اتجاهها على ارتفاع شاهق إلى عمل نظام اتصالات يستخدمون فيه الخُنَّس الجوارى الكُنَّس أى الأقمار التى تدور بسرعة على ارتفاع منخفض لايزيد عن ألف كيلومتر، ويقطع محيط الكرة الأرضية ليلها ونهارها فى ساعتين أو اكثر، ومن ثم فهو لا يخدم كل بقعة من الأرض إلا فترة زمنية محدودة، وللتغلب على هذه المشكلة ستقوم الشركة بنشر أكثر من سبعين من الأقمار الخُنَّس الجوارى الكُنَّس تغطي فى مجموعها محيط الأرض بالخدمات الاتصالاتية بحيث يكون فوق كل بقعة قمرا يقوم بالاتصال استقبالا وإرسالا، فإذا خرج هذا القمر من سماء هذه البقعة وقبل أن تنقطع خدمته لهذه البقعة بسبب اختفائه وغيابه عنها يكون القمر الذى يليه قد دخل هذه البقعة وتسلم منه الخدمة فيها وهكذا يكون فى كل وقت وعلى كل بقعة فى الأرض قمر يقوم بأداء خدمة الاتصالات وربما البث، وتكون هذه الأقمار جميعها بالتالى مستقبلة لكل اتصال وبث صادر من الأرض ومُرْسِلة أو قاذفة لها بعد ذلك إلى من يستقبلها فى الأرض، ومن ثم تكون جوارى لسرعتها التى تخلف وراءها الليل ثم النهار ثم الليل وهكذا أكثر من اثنتي عشرة مرة تقريبا على مدار اليوم الواحد وتكون خُنَّسًا لكثرة ظهورها وغيابها على البقعة الواحدة من الأرض لأن المحطة الأرضية الواحدة تستقبل كل عشرين دقيقة قمراً وتتعامل معه إرسالا واستقبالا ثم يغيب عنها ويتوارى عن أجهزتها لتستقبل قمراً آخر وهكذا، ومن ثم يتحقق بهذا النظام الذى يحقق اتصال البشر بعضهم ببعض من أى مكان فى الأرض إلى أى مكان آخر عبر الهاتف المنزلى أو هاتف السيارة والهاتف المحمول مباشرة من خلال محطات أرضية تتعامل مع أقمار صناعية سابحة فى سماء الأرض جارية وتَخْنُسُ عن إحدى المحطات الأرضية كل ربع أو ثلث أو نصف ساعة على الأكثر وتظهر لأخرى بعدها مباشرة فهى تخنس كثيراً وتظهر كثيرا لتكنس الاتصالات القادمة من الأرض فى ظهورها ثم تبثها للجهات الأخرى من الأرض فى خنوسها أو اختفائها وتتلقى وتجمع جميع اتصالات البشر ببعضهم فى كل لحظة فهى تكنسها كنسًا وتلك مع ما سبق ذكره، هى

الخنس الجوارى الكُنَّس التى أقسم بها رب العالمين سبحانه مخبراً بأنها ستكون بما مَكّن الله تعالى به الإنسان من علم يحقق به خلافته فى الأرض.

(٣٢) الصلة والمناسبة بين القسم بالخنس (الاقمار الصناعية) وبين المقسم عليه (إنه لقول رسول كريم):

وهذا ما تحقق في عصرنا الراهن، أي بعد أكبر من أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم، الأمر الذي يعتبر دليلاً ناصعا وبرهانا ساطعا وحجة بالغة على صحة القرآن الكريم لتضمنه سورة التكوير وغيرها من اللاتي ذكرن كل ما توصل إليه الإنسان من علوم ومخترعات تقَنيَّة غَيرّت وجه الحياة في جميع المجالات، وزخرفت الأرض وزيَّنَت الدنيا وإمتلك بها الكافرون القوة الباطشة والرؤية الشاملة للأرض وما عليها حتى ظنوا أنهم وحدهم أهلها وأنهم قادرون عليها، فالإخبار بكل هذا قبل حدوثه دليل على أن القرآن حق، وعلى أن كل ما جاء فيه كله حق، وعلى أنه يستحيل إستحالة مطلقة أن يكون من كلام البشر، فهو ليس من قول سيدنا محمد ﷺ ولكنه من قول رسول الله عز وجل جبريل عليه السلام إلى نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام. ومن ثم فإن المقسوم عليه (بالخنس الجوار الكنَّس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) هو أن القرآن الذى وصل اليكم أيها البشر عن طريق خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ إنما هو قد تلقاه من رسول الله إليه جبريل عليه السلام، فالمقسوم عليه هو (أنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين) فهذا القول ليس كلام جبريل، وإنما هو قائله ومبلغه للنبى المصطفى ﷺ بإعتباره رسولاً إليه من الله عز وجل وقول الرسول ليس كلاما للرسول وإنما هو قول المُرسل له والله عز وجل هو الذى أرسل جبريل إلى انبيائه ورسله وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ صاحب العرب وصاحب البشر لأنه بشر مثلهم ومن ثم فمن المحال أن يكون مجنونا كما قالوا عنه ولازال أعداء الإسلام من اليهود والنصارى يقولون هذا، لأن المجنون لايأتى بأحداث

مفصلة عن حضارة وعلوم وتقنيات ستأتى بعده بقرون عديدة ولم يكن ليخطر أحد مخترعاتها على بال أحد من معاصريه، بل ولا على بال أحد من قرن مضى.

وإن الأفق المبين الذى سترسلون إليه بسفنكم الفضائية ومحطاتكم الاتصالية وأقماركم الصناعية، هو الذى رأى فيه محمد ﷺ هذا الرسول الكريم جبريل على حقيقته لأنه ملك عظيم هائل لا يمكنكم تصوره، ورآه النبى ﷺ على هيئته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ومن ثم لم يكن ليراه إلا بالأفق المبين سادًا له، فلا تغرنكم قوتكم وإختراعاتكم وعلومكم لأنه ملك الدمار والعذاب الذى استأصل بأمر الله تعالى مجتمعات وبلدان مثل قوم لوط وغيرهم ببعض قوته. فهو ذى قوة وهو مكين عند ذى العرش سبحانه أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة (مطاع ثمَّ) أى مسموع القول ومطاع فى السماوات من الملائكة أى فى الملأ الأعلى فهو من سادة الملائكة وأشرافها.

(وما هو على الغيب بضنين) أى وما محمد ﷺ على الغيب ببخيل أى أنه لا يحتفظ بشيء مما يأتيه من علوم الغيب، فلا يحجزه عنكم وهذا الذى جاء فى هذه السورة هو من الغيب الزمانى المكاني الذى سيحدث بعد أكثر من أربعة عشر قرنا وقُرِئَت (بظنين) ومعناها وما هو بمتهم. كيف، وهو يخبر بما سيحدث قبل حدوثه بقرون عديدة؟!

فإذا أخبر بما حدث فى القرن الرابع عشر الهجرى وما بعده أى فى العشرين الميلادى، ورأيتم يا أهل هذا العصر أنه قد حدث فَصَدِّقُوا ما أخبركم به من نزول العذاب وما أنذركم به من أحداث ووقائع القيامة الرهيبة المرتقبة التى تَجعل الأرض حصيدا كأن لم تَغْنَ بالأمس، بعد أن أخبركم أنها سَتَزَيَّن وتأخذ زخرفها وتظنون أنكم قادرون عليها، وذلك بما توصلتم إليه من علوم ومخترعات وتقنيات وصناعات هى المُسرَّات المبهجات المتفاقمات لأن بَعْدَهَا - إذا لم تتوبوا وتَرجعوا إلى ربكم، وتُطَهِّرُوا أنفسكم من رجاسات إفسادة اليهود الأخيرة - سينزل بكم عذاب القيامة

الصغرى بنفخة الفزع، وزلزال الأرض العظيم والخسوف الثلاثة العظيمة الممتدة عن قطر إلى قطر، كما بيَّن الله هذا فى كتابه وبيَّنه رسوله ﷺ فى سنته، فإذا لم تستجيبوا للتوبة: (فأين تذهبون؟!) لا ملجأ لكم من العذاب النازل، لأنه سيكون فى السماء والأرض كلها.

وما هذا كله إلا ذكر للعالمين (إن هو إلا ذكر للعالمين) لأن فيه من البراهين الدالة على صحة ما هو آت من العذاب بما تضمنه من الإخبار بمقدمات وإرهاصات هذا العذاب من أحداث ومخترعات وتقنيات قبل حدوثها، ومن ثم فهو ذكر للكافرين وللمؤمنين على حد سواء من هذا الوجه، ولكن لا ينتفع به إلا من أراد الحقيقة مخلصاً وشاء أن يستقيم ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨/ التكوير] وإن كانت مشيئتكم الحرة غير خارجة عن مشيئة الله تعالى الكونية التى لا يتم أى شيء فى الكون صغر أم كبُر وحقُر أم عظُم إلا بها ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٩/ التكوير][١].

فأنظر إلى ترابط معانى السورة كلها وأنظر إلى مناسبة القسم بالخنس الجوار الكنس وصلته بالقسم بالليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، ثم العلاقة والصلة والوثيقة بالمقسم عليه وكون تعلق هذا كله برؤية القيامة رأى عين اى بالمسرات وبالنذير (فأين تذهبون؟) عندما تقع الزلزلة؟!.

---

(١) التكوير هى السورة الأولى من السور الثلاث الواردة فى حديث المسرات الخاصة بيوم القيامة وتبقى سورتان الإنشقاق والإنفطار وسيرد تفسيرهما فى جزء لاحق يخص أحداث السماء فى القيامة بإذن الله تعالى.

الفصل الرابع

القسم بأمارات حضارية في سورة الطور على وقوع العذاب

٣٣ - القسم بالطور يتضمن الاشارة إلى فساد البيئة الحادث في الأرض حاليا.

٣٤ - التفسير اللغوى المحض للكتاب المسطور في رَقٍّ منشور يصدق على الكمبيوتر.

٣٥ - التفسير اللغوى للبيت المعمور يصدق على الحرم المكى الشريف بعد توسعته.

٣٦ - قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتعميره.

٣٧ - البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة في أماكن استخراجها أو أماكن تكريرها وفي مواضع استخدامها.

٣٨ - العذاب الذى اقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو عذاب القيامة الصغرى المرتقب.

٣٣ - القسم بالطور يتضمن الإشارة إلى فساد البيئة الحادث فى الأرض حاليا.

قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ /١ـ ١٦/ الطور﴾.

يقسم رب العالمين سبحانه فى صدر سورة الطور بخمسة، والمقسم عليه أحداث القيامة الصغرى التى هى نزول العذاب على الظالمين المكذبين بصفة خاصة، والصلة الواضحة بين القسم والمقسم عليه هى أن الخمسة المقسم بها مما يسبق القيامة الصغرى فهي من الأمارات على قرب حدوثها.

ومن ثم فلابُد أن تكون الصلة بين كل قسم من الخمسة وبين الأربعة الأخرى هى تزامنها جميعا، أى أن الصلة، هى إجتماع حدوثهم فى زمن واحد، كما سنرى، وهو ما يتمثل فى السنوات السابقات على وقوع العذاب الذى لايستطيع أحد أن يدفعه.

وجدير بالذكر أن المفسرين جعلوا المقسم به والمقسم عليه من أحداث القيامة الكبري، وهو من الأخطاء الشائعة التى سبق أن نَبَّهتُ عليها من قبل فى الجزء الثانى وسننبه عليها كثيرا فيما هو آت باذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه وحوله وقوته وحده.

أما الطور، فإن معناه اللغوى المحض كما قال ابن فارس رحمه الله: الطاء والواو والراء: أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الامتداد فى شيء من مكان أو زمان... لذلك يقال: «عدا طوره» أى جاز الحد... والطُور: جبل، فيجوز أن

يكـون اسـمـا علما مـوضـوعـا، ويجوز أن يكـون سـمى بذلك لما فيـه إمتـداد طولا وعـرضـا)(١).

أما ابن كثـير رحمه الله تعالى فـقد فسر الطور فى الآية بأنه الجـبل الذى يكون فيه أشـجار مـثل الذى كلم الله عليـه موسى وأرسل مـنه عيسى، ومالم يـكن فيـه شجـر لايسمى طورا، وإنما يقال له جبل)(٢).

فالطور لغـة إذًا هو المرتفع الجبلى الممتد فى المكان المملوء بالأشجار، فهـو سفوح الجبال الخضـراء التى تملأ أمريكا الجنوبية وجزيرة جاوة (اندونيسـيا) وماليزيا والفلبين واستراليا وكشمـير والجبل الأخضر بليبيا وجبال تهـامة الممتدة من الطائف إلى اليمن وغير هذا كثير من أرجاء الأرض.

ولهذه الجبال الخـضراء أهمية خاصة لاستمـرار الحياة على الأرض إذ أنها المصنع الربانى الذى يجدد الله به الاكـسوجين فى الغلاف الجوى ويلطف مـن درجة الحرارة ويحافظ على صلاحية البيئة للحياة.

ومن ثم أقـسم به الله عـز وجل باعـتبـاره مما دبره عـز وجل لحـفظ الحيـاة بقـدرته سبحانه، بَيْدَ أنَّ ورُود القسم به على المقسم عليه وهو حتمية وقوع العذاب، يدل على أنَّ القسم بالطور أو الجبل الأخضـر بعامة، إنما هو قسم بما سيحـدثه الإنسان من فساد فى البيئـة، وتدمير لعناصر الحـيـاة، ونتيـجة لما سيصـيب الجبـال الخضـراء الممتـدة والغـابات، من تدمير بقطع الأشجـار واحتـراقهـا بسبب الجـفاف وارتفـاع درجات الحرارة نتيجة تحول الغلاف الجوى إلى ما يشبه الصوبة الزجاجية وإحتباس الحرارة به ومن أسباب هذا تدمير الخضرة على الجبال وفى الغابات.

فالقسم بالطور اذن هو قسم بالخضرة وأهمـيتها للحياة(٣) وبما طرأ على البيـئة من

---

(١) ابن فارس / المعجم/ مجد ٣ ص٤٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير / مجلد ٤/ ص٢٣٩.

(٣) العجيب هو ظهور أحزاب الخضر فى الغرب التى أهم أهدافها المحافظة على البيئة.

فساد نتيجة الصناعات وعوادم المصانع والسيارات والتفجيرات النَّووية وغير النووية، وقد ورد ذكر هذا بقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[٤١/ الروم] ونزول هذه الآية فى سورة الروم فيه إشارة إلى أن الروم بما سيكسبونه بأيديهم من اختراعات وصناعات واستخدامات بترولية هم الذين سيفسدون البيئة، وهذا حق يعترف عقلاؤهم به، ولا يقول قائل إن القسم بالطور هو القسم بجبل الطور فى سيناء، لأن العبرة بعموم اللفظ وهو ما اختاره ابن كثير.

أما ما ورد عن أن الطور جبل من جبال الجنة، فهو يؤكد هذا المعنى ولاينفيه لأن جبال الجنة لابد أن تكون شديدة الخضرة، فأهم ما فى معنى الطور هو المرتَفعات الخضراء الممتدة.

أما الدليل على أن القسم هو بما أصاب الجبال الخضراء فى أرجاء الأرض من دمار، فهو صلة هذا القسم الأول بالأربعة التى تليه، كما سنرى من ناحية، وصلتها جميعا بالمقسم عليه من ناحية أخرى، لأنها جميعا أمور خمسة متزامنة من ناحية، ومن ارهاصات نزول العذاب من ناحية أخرى.

٣٤- التفسير اللغوى المحض للكتاب المسطور فى رق منشور يصدق على الكمبيوتر أكثر من صدقة على أى شىء آخر:-

أما قول المفسِّرين فعن (مجاهد رضى الله عنه: (وكتاب مسطور) قال: صحف، فى (رَقٍّ منشور) قال: الصحيفة. وعن قتادة رضى الله عنه (وكتاب مسطور) قال: مكتوب، فى (رق منشور) قال: هو الكتاب، وعن ابْنِ عباس فى رق منشور قال فى الكتاب).

وقال ابن كثير (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التى تقرأ على الناس جهارا ولهذا قال (فى رق منشور).

والملاحظ أن مجاهد وقتادة لم يقصرا دلالة الكتاب المسطور على الكتب المنزلة،

كما أن ابن كثيـرا ذكر الخبر الدال على قصرها على الكتب المنزلة بصيـغة التضعيف: (قـيل) دون إسناد هذا الخبـر، ومن ثم فـالراجـح هو عـموم الـدلالة على كل مـا هو مكتوب من كتب بما فـيها كُتُب التنزيل» فما هو الكـتاب الذى يكون مسطورا فى رَقٍّ ومنشـوراً أى مـوزعا ومـعـمما فى نفس الوقت؟ كـمـا أنه يكون، بالرغم من كـونه مـسطورا أى مدونا فـى سطور، مَقْروءًا مجـاهرة، أى يمكن قـراءته بالعين وسـماعـه بالأذن فى آن واحد؟!

أليس هو الكتاب المودع فى ذاكرة الكمـبيوتر الذى يمكن إستحضَارُه عـلى شاشته لقراءته بالعين وسماعه بالأذن كذلك؟!

بلى: أنه هو وليس غيره.

فما هى حـقيقة الكمبيوتر؟ وما هى الخاصيـة التى يتَميز بها؟ تلك الخـاصية التى لولاها لما استطاع مخترعوه إختراعه، ولما استطاع صانعُوه صناعته، أى لولاها لما كان له وجود، إن هذه الخاصية هى بلاشك خاصته الجوهرية التـى تشكل حقيقته وتتحقق بها ماهيتُه ووظيفته التى صنعُوه من أجلها.

«الحاسـوب» هو التـرجمـة العربيـة أو الاسم العربي لما أطلقـوا عليه فى الـغرب «الكمبيوتر»، وهو جهاز يخـزن الأرقام، ويتم به اجراء عمليـات حسابية مـن إضافة الاعداد أو التنقيص منها، بما يُعرَف بالجمع والطرح والضرب والقسمة بسرعة فائقة، ومن ثم استحق اسم الحاسوب بصيغة المبالغة.

وكان الجيل الأول منه يـشغل حجم حجرة كـبيرة حيث كان مـصنوعا من دواليب (دوائر من الأرقام) تتحرك بتروس الآلة أو الساعات القديمة.

ولكن بعد اكتشاف الدائرة الكهربائية «المنمنمـة» المعروفة بالترانزستور، بدأ عصر الحـاسوب الألكتـرونى إذ تمكن العلمـاء والمهندسون من تخـزين الأعداد فى صـورة الصفـر والواحد. باعتـبارهما وحـدتيْن يتركـب منهـما الأعداد التى تصل إلى عـشرة

أرقـام، وذلك عن طريق التحكم فى الألكترون، فـأمكن تخزين الأعـداد المطلوبة مع برمجة خاصة لـلجمع والطرح والضرب والقسمة بحيث تتيح هذه البرمجة التحكم فى هذه العمليات وإستحضار النتائج، فى صورة أرقام مقروءة على شاشة صغيرة ثم تطورت أجيال الحاسوب بإدخـال البرمجـة التى أتاحت التـوسع فى أشكال وأنواع العمليات المطلوبة حسب البرنامج أى النظام المودع فيـه، فظهرت الساعات الرقـمية والآلات الحاسبة الهندسية المعـقدة التى تجرى العـمليات المعقدة فى ثوانى مـعدودة تلك العمليات التى كان ينجزها عدد كبير من الرياضيين الأذكياء فى زمن طويل.

ثم أمكن تَحويل كل حـرفَ من حروف الإنجليزية، ثم بعد ذلك العـربية واللغات المختلفة إلى أرقـام الكمبيوتر التى تتكون من الصفـر والواحد، ومن ثَمَّ أمكن تخزين العبـارات اللغوية، واستـحضارها على الشـاشة مكتوبة بنفس الخط حـسب البرنامج المودع فيه، ومع إتسَاع ذاكرتـه أصبح فى الإمكان إيداع كتابا فيهـا واستعادة أى عنوان وما تحته أو أى صفحة منه حسب المطلوب، وذلك حسب البرمجة المودعة مع الكتاب بسرعة ودقة بالغتيْن.

ومع تطور أجيال الكمـبيوتر خلال الثلاثين سنة الأخـيرة وبصفة خاصـة العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين صـار من الممكن تخزين كميات هائلة من الكتب فى ذاكرة كمبيوترية حجمها لم يكن يتسع لكم هائل من المعلومات يصل إلى مكتبة عالم، ثم ظهـر الجـهاز الذى يمـكن أن تسع ذاكرتـه مكتبـة جـامـعة. ثم ظـهرت الأقـراص المبـرمجـة التى يودع فى الواحد منـها عـشرات المجلدات فى التـفسير وأخـرى فى الحديث.

وبالرغم من هذا التـوسع العظيم فى ذاكرة الكمـبيوتر إلا أن حـجمه ظل كـما هو بنفس الحجم الذى ظهر به فى جيله الأول والسر فى توسيع الذاكرة.

ولم يكن تطوره في توسـيع الذاكرة فحـسب، بل إن وظائفه تعـددت حتى لم يَبْق مجال من مجالات الـنشاط الإنسانى إلاَّ وتغلغل فيه الكمبيوتر وأصـبح له فيه الإنجاز الدقيق والسريع.

فكيف تمكن العلماء من تطوير هذا الجهاز حتى صار يسع من المعلومات المختلفة المتنوعة أعداداً وكلمات وصوراً ورسومات هندسية وخرائط ولوحات ملونةً وكتباً في جميع المجالات؟! وباختصار كل ما يُطلق عليه معلومات في أي منحى من مناحي الحياة وفي أي نشاط إنساني أيّا كان نوع هذا النشاط، حتى صار الجهاز الواحد يمتلىء بما معه من أقراص بمحتوى المكتبة أو المكتبات العامة؟ هذا بخلاف الأجهزة الصناعية والزراعية والطبية والتعليمية والفنية والرياضية والأعلامية والترويحية وغير ذلك كثير.

فما هو السر الذي تمكن به العلماء والمهندسون من تطويره ليقوم بهذا كله في مدة وجيزة لاتزيد على أربعين عاما من عمر الزمن حتى صار أخطر جهاز أو اختراع حضاري عرفته الإنسانية حتى الآن.؟

السر هو فيما أطلق عليه رب العالمين سبحانه (رَقّ منشور) هذا الذي يودع فيه الكتاب المسطور. وهو هو ما أطلق عليه العلماء والمهندسون بالإنجليزية «شيبس» أي رقائق.

قال ابن منظور في اللسان (رَقَقَ: الرقيق نقيض الغليظ والثمين، ورقّ يرق رقة فهو رقيق ورقاق، وأرَقّ ورقّقه والانثى رقيقة ورقاقة.... والرُقُ: الشيء الرقيق، ورَقّ جلد العنب: لطف... والرِّقّ الصحيفة البيضاء، غيره: الرَّق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى ﴿في رَقّ منشور﴾ أي في صحف).

فإذا علمنا أن ذاكرة الكمبيوتر التي تخزن فيها المعلومات تتكون من أعداد كثيرة جدا من الرقائق تبين لنا أن إتساع هذه الذاكرة أي زيادة قُدْرتها على تخزين المعلومات مع بقاء حجم الجهاز على ماهو عليه يرجع إلى التقدم في صناعة هذه الرقائق وموصلاتها حتى صار سمك الرقيقة جزءاً ضئيلا جداً من المليمتر هذه الرقيقة وموصلاتها أي «الترانزستور» أخذت أطواراً خلال أجيال، كان كل جيل يُوغل في الرِّقة، وهو ما أطلقوا عليه عملية النَّمْنَمَة، أي التصغير والتَّرقيق في كل طور عن الذي يسبقه. حتى وصل الترقيق بالنسبة لهذه الرقائق الكمبيوترية (الشيبسات) أن الجهاز العادي المستخدم في المنازل تحتوي ذاكرته على بضعة عشر مليونا من الرقائق وموصلاتها من الترانزستورات.

فإذا تتبعنا أطوار أحجام الرقائق الكمبيوترية وجدنا أن الترانزستور الذى كان فى حجم سنتيمتر مكعب أو أقل عام ١٩٥٧ صار بالنمنمة أى الترقيق لايزيد حجمه عام ١٩٦٤عن حجم حبة الملح، ثم توصلوا بتصغير سمك الرقيقة (الشيب) أصغر فأصغر إلى سمك متناه فى الدقة كما يتضح لنا من مما يلى:-

فى سنة ١٩٦٠ كأن سمك الرقيقة ٤٠ ميكرون ثم صارت فى ١٩٦٦، ٩ ميكرون ثم فى ١٩٧٠ صارت بسمك ٨ ميكرون ثم فى سنة ١٩٧٣ صارت ٧ ميكرون ثم صارت بسمك ٥ ميكرون سنة ١٩٧٥ ثم ازدادت رقة فى سنة ١٩٧٨ فصارت بسمك ٤ ميكرون ثم صارت بسمك ٣ ميكرون فى سنة ١٩٧٩ وازدادت فصارت بسمك ٢ ميكرون سنة ١٩٨٢ ثم بسمك ٥ر٠ ميكرون سنة ١٩٨٦ ثم وصلت إلى ٣٥ وسنة ١٩٩٦ وهذا يدل على أن الترقيق تضاعف قرابة ١٢٠ ضعفا خلال خمسة وأربعين عاما تقريباً، وتوقع كاتب المقال الوصول عام ١٩٩٨ إلى وجود شيبات (رقائق) معروضة فى الاسواق مقاسها ٢٥ر٠ ميكرون او ميكرومتر تحتوى هذا المجموعة من الشيبات على عشرة ملايين ترانزستور، والمتوقع ان تصبح مقاسها فى سنة ١٩٩٩، ١٨ر٠ مكرومتر ثم فى سنة ٢٠٠١ تصبح مقاسها ١٣ر٠ مكيرو وتحمل عشرة ملايين من الترانزستورات. والميكرومتر ١ من مليون من المتر. وانظر إلى أى مدى فى الدقة وصل الرق المنشور[1].

فإذا علمنا أن كل رقيقة دائرة كهربائية متكاملة، تَبيَّن لنا بوضوح أن تضخم سعة الذاكرة طورا بعد طور، رغم ثبات حجم الجهاز يرجع إلى عملية «النمنمة» وهو المصطلح المعبر عند مؤرخى هذا الجهاز عن الايغال فى التصغير أو الترقيق.

والحق أن اللفظ العربى الصحيح هو الترقيق لأن التَّرقيق هو اللفظ المناسب لوصف العملية التصنيعية التى جعلت سمك الرقيقة بموصلاتها لاتزيد عن جزء من أربعه آلاف جزء من الملليمتر وصالحة لتخزين المعلومات فى صورة فوتونات معبرة عن الواحد والصفر اللذين يتكون منهما الأعداد التى تترجم إلى الحروف والألوان والخرائط والرسوم والبرامج، وكلها معلومات. ومن ثم أطلقوا على هذا النشاط بحق أنظمة المعلومات ومع التطور صارت المعلومة المستحضرة أو الصفحات المستحضرة من كتاب فى ذاكرة الكمبيوتر مسموعة بالإضافة إلى كونها مقروءة على شاشته الصغيرة.

---

(١) مجلة العلوم المجد ١٢ العدد ١٠ اكتوبر ١٩٩٦ صفحة ٣٤.

وقامت بعض المؤسسات العربية العاملة فى هذا النشاط بإخراج برامج كومبيوترية فى «ديسكات كومبيوترية» للقرآن الكريم والسنة بأصوات مختلف القراء تتيح الاستماع إلى السورة المطلوبة من المقرىء المفضل مع متابعة الآيات على شاشة الجهاز فأصبح القرآن الكريم مسطوراً فى رق منشور وصدق التأويل الذى أورده ابن كثير للآية وهو التأويل القائل الكتب المنزلة التى تقرأ على الناس جهارا وإن كان المعنى اعم من هذا بكثير.

فما هى الكيفية التى تكون فيها الكتب المنزلة مسطورة فى رقائق منشورة ويتمكن الناس بها من قراءة آياتها وسورها بالنظر مع سماعها جهارا بالأذن فى آن واحد إلا بالحاسوب أو الكمبيوتر.؟!

وهو فى نفس الوقت له من الخطورة فى حياة الإنسان فى السلم والحرب حتى ليعتبر بحق من أهم وأقوى ما مكن الله تعالى به الإنسان فى الأرض، ومن ثم اقسم الله عزوجل به على وقوع العذاب الذى ليس له من دافع، أى أنكم إيها الكافرون لن تَدْفَعُوا عن أنفسكم العذاب النازل من السماء بالهدّة أى النيازك حتى بكل ما أوتيتم من قوة بما فى ذلك الكمبيوتر الذى تستخدمونه فى السلم والحرب على السواء حتى ظننتم أنكم قادرون على حماية الأرض منها.

أما قوله تعالى: ﴿منشور﴾ أى أنه صار معمما حتى دخل بيوت أكثر القادرين على شرائه وهم يعدون بعشرات وربما بمئات الملايين علاوة على الإستخدامات العامة فى المصالح والدواوين والمصانع والجيوش وجميع أنشطة الحياة العامة.

أن سر ظهور الكمبيوتر اذن هو التقدم التقنى فى صناعة الرقائق الترانزستورية فجوهر حقيقة الكمبيوتر هو هذا الرق المعمم أى الممكن تصنيعه بكميات إقتصادية قابلة للنشر أى التوزيع والتعميم فى الأسواق بعد أن امكن تخزين الكتب التى كانت المخزن الوحيد للمعلومات فى هذه الرقائق التى هى جمع «رَقّ» ومن ثم صار الكتاب مسطورا فى رق منشور.

فإذا ذكرنا أن العلماء والمهندسين تمكنوا من إنتاج الأقراص المبرمجة المعروفة باسطوانات الليزر والتى يمكن للقرص الواحد منها أن يحمل أكثر من خمسين مجلدا كبيرا من المصادر المعلوماتية حتى أن اسطوانة واحدة منها تستوعب العديد من كتب التفسير واللغة وأخرى كتب الحديث والرجال.

وحيث أن هذه الاسطوانة لايتعدى سمكها ملليمتر واحد ومن ثم يصح أن تسمى رقيقة وحيث أن لهـا وجهان كالصحيفة الواحـدة، فإن هذا يصدق على التأويل الذى فسر الكتاب المسطور في رق منشور بالصحيفة.

أما كونه منشورا أى موزعا ومعممـا فيكفى تفسيرا لهذه الكلمة أن تعلم أنه قد تم بيع أكثـر من ٤٠٠ مليون جهـاز لتشغـيل هذه الأقراص يُلحق بالكمبـيوتر و٦ بلايين قرص أو اسطوانة فى بضع سنوات بعد ظهور هذا التطوير فى الكمبيوتر.

أفليس هذا هو معنى قوله تعـالى الكتـاب المسطور فى الرق أنه منشور أى مـوزع ومعمم؟!

فهل بعـد هذا التفصـيل الذى أظهر المطابقـة التامة بين هذا القـسم الالهى الكريم وبين جهاز الكمبيوتر ووظيفته ومهامه وفوائده حسب استعمالاته المعاصرة اعتراض لاحد على تفسير الكتاب المسطور فى رق منشور بأنه الحاسوب (الكمبيوتر)؟!

أن استخدامـات هذا الجهاز فى شتى نشاطات الحياة الإنسـانية حتى أنهم بدونه لم يكن لهم أن يَتَقَدَّموا فى غزو الفضاء، هى جميعا بلاشك من المُسِّرات المتفاقمات التى هى من أحداث المرحلة الأولى ليوم القيامة الصغرى.

ولاشك أن مجيء القـسم به بعد القسم بالـطور يدل على إرتباطهمـا بزمن واحد وهى الحقب الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الميلادى، إذ بدأت مشاكل البيئة تظهر من السبعينات مع بدء ظهور الكـمبيوتر، وتفاقما معا حتى إزداد فـساد البيئة مع زيادة تغلغل الكمبيوتر فى شتى مناحى الحياة.

٣٥ - التفسـير اللغوى (للبيت المعمور) يصدق علي الحرم المكى الشريف بعد توسعته وإستيعابه لأكثر من مليونى مصلى:

روى الحاكم فى المستدرك والبيهقي فى شعب الإيمان وغيرهما (عن النبى ﷺ قال: البيت المعـمور فى السمـاء السابعة يدخله كل يوم سـبعون الف ملك لايعـودون إليه حتى تقوم الساعة)[1].

---

(١) السيوطى / الدر المنثور جـ٤ ص١٢٩.

وأورد السيوطي في الدر المنثور أيضا ما رواه (ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قال لعلي رضي الله عنه: ما البيت المعمور قال: بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال مكة من فوقها، حرمته في السماء كحرمته في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لايعودون إليه أبدًا)(١) وفي رواية أخرى مرفوعة للنبي ﷺ قال (لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة)(٢).

وأورد السيوطي رحمه الله أيضا ما أخرجه ابن جرير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: لما عَرَجَ بي الملك إلى السماء السابعة إنتهيت إلى بناء فقلت للملك: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله للملائكة يدخله كل يوم سبعون الف ملك يسبحون الله ويقدسونه ولا يعودون إليه(٣).

فإذا علمنا أن الحرم المكي الذي فوقه البيت المعمور في السماء السابعة الذي يخص الملائكة، قد صار في عصرنا الراهن معمورا بأكثر من سبعين ألف مصلي وطائف وعاكف وناظر إليه كل يوم، وبأكثر من سبعمائة ألف مصلي يوم الجمعة، وأضعاف ذلك في مواسم العبادات يأتون من كل فج عميق من قارات الدنيا القديمة والجديدة، وأنه قد حدث فيه من التوسعة ومن التعمير الانشائي والتحسيني والجمالي مالم يحدث فيه من قبل في تاريخ البشرية المكتوب. وأنه صار مُضَاءا طول الليل بضوء كضوء النهار، وبلغت ساحات الصلاة فوق سطحه وخارجه شرقا وغربا ما يجعله يستوعب أكثر من مليوني مصلي في آن واحد. إذا علمنا هذا وغيره عن الحرم المكي الشريف في هذين العقدين الأول والثاني من القرن الخامس عشر وهما التاسع والعاشر من القرن العشرين، جاز لنا بمقتضى المنطوق اللغوي المطابق تماما للواقع التعميري الإنشائي وبكثرة رواده أن نقول: إن القسم الإلهي الكريم بالبيت المعمور يصدق على الحرم المكي الشريف في عصر القيامة الصغرى.

(١ ، ٢) السيوطي / الدر المنثور جـ٤ ص١٢٩.

(٣) السيوطي الدر المنثور جـ٤ ص١٣٠.

يؤكد صحة هذه المطابقة ودقتها التزامن بين تعمير البيت بهذا الوصف المشهود للجميع وبين فساد البيئة وشيوع إستخدام الكمبيوتر.

وكذلك تزامن هذه الأقسام الثلاثة بالقسمين الباقيين من الخمسة، كما سنرى بعد بإذن الله تعالى.

٣٦ - قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوى الشريف بعد توسعته الأخيرة والنهائية:

أما ما ورد من آثار فى تفسير هذا القسم (فعن على ابن أبى طالب رضى الله عنه في قوله تعالى «والسقف المرفوع» قال: السماء. وعن الربيع بن أنس فى قوله والسقف المرفوع قال العرش. وعن مجاهد السقف المرفوع»: السماء)(١).

وبمحض اللغة كل مايعلو البناء الذى يتواجد فيه المخلوق فهو سقف، وإذا كان خارج أى بناء من إنشاء البشر فهو سماء، وكل سقف يعلو المخلوق، حتى ولو كان من إنشاء البشر فهو سماؤه أيضا قال تعالي ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظ/١٥/ الحج﴾ ولاخلاف بين المفّسرين فى تأويل قوله (فليمدد بسبب إلى السماء أى فليعلق حبلا فى سقف داره، ثم ليشنق نفسه، فالسماء في هذه الآية هى السقف. وكذلك وصف الله تعالى السماء الدنيا بأنها سقف فقال ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [/ ٣٢/ الأنبياء]، وهذه هى سماء الدنيا التى هي الطبقة التى تعلو الغلاف الجوى وتحمى الأرض من الموجات الفوق بنفسجية، فهى سقف محفوظ من هذه الموجات لأنها تكف هذا الموج وترده عن الأرض، فهذه الآية تتضمن إعجازا علميا.

والسقف الذى أقسَمَ به الله عز وجل جاء مُعَرَفًا بالالف واللام، مع أنه يكون

---

(١) السيوطى / الدر المنثور/ مجلد ٤/ ص١٣٠.

مرفوعا سواء أكان مرفوعا بعمد مرئية أم بعمد غير مرئية قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [١/٢/ الرعد].

والمفسرون بين قولين: أن الله تعالى رفع السماء بعمد لا نراها. والآخر: أن الله تعالى رفع السماء بغير عمد. وسواء صح هذا أو ذاك فالسماء مرفوعة فى كلا الحالين، وكذلك السقف، لابد أن يكون مرفوعا حتى يعلو الرؤوس، ولامعنى لسقف غير مرفوع، لأن جوهر حقيقة السقف، ومكمن تحقيق وظيفته أو الهدف من وجوده هو فى أن يكون مرفوعا ولو لم يكن مرفوعا لما صار سقفا يُستظل به.

فما معنى أن يقسم الله عز وجل بالسقف المرفوع؟

فهل هو قسم بالسماء.؟

لوكان المراد القسم بالسماء لاقسم الله تعالى بها بلفظ السماء. كما أقسم بها فى سورة الشمس بقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [/٥/ الشمس].

ومن ثم نستبعد هذا التأويل، إذ يقتضى السياق أن يكون هذا القسم الرابع من الخمسة قسمٌ بشىء متزامن مع الأقسام الثلاثة السابقة ومن جنسها وأن يكون هذا التأويل مُتَضَمِّناً لعنصرين هامين لازمين بمقتضى المنطوق اللغوى لعبارة «السقف المرفوع»، هذان العنصران هما: كونه سقفا من ناحية، وكونه مرفوعا رفعا غير الرفع اللازم لجوهر حقيقة السقف من ناحية أخرى.

والالكان يكفى القسم بالسقف فقط، ومن ثم لو اعتبرنا الرفع الموصوف به السقف في القسم هو الرفع اللازم لكل سقف لصار اللفظ (المرفوع) زائد عن الحاجة أى يكون هذا إطنابا ولفظا بلا معنى زائدا وحاشا لله تعالى أن يكون فى كلامه مثل هذا وهو الكلام البليغ المعجز.

ولكن يتحقق لنا الكشف عن العنصرين اللازمين للمنطوق اللغوى، واهمهما الرفع الزائد والمغاير عن الرفع اللازم للسقف، نقول: إذا كان القسم الالهى بالبيت المعمور قسماً بالمسجد الحرام فى زمن التوسعة الحضارية المتزامنة لعصر فساد البيئة

والكمبيوتر، وتوسعة الحرم المكى حتى صار معمورا كالذى فى السماء ونظراً لحدوث نفس التوسعة الحضارية للمسجد النبوى الشريف وفى نفس الفترة الزمنية، أفلا يكون القسم بالسقف المرفوع قسما بالمسجد النبوى الشريف فى عهد هذه التوسعة؟!

لقد اقسم الله تعالى بالبلد الحرام فى زمن عيش حبيبه وخاتم رسله محمد ﷺ فيه فقال تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [١ - ٢/ البلد] فكان قسما بأحب البقاع إليه سبحانه حين كان أحب خلقه إليه حالا فيه. وأقسم سبحانه بأحب البقاع إليه فى زمن التوسعة والتعمير المعاصر كما أثبتنا.

فهل يتبع قَسَمَ الله تعالى بالمسجد الحرام فى هذا العصر الذى ليس فيه حبيبه ﷺ قَسَمُه سبحانه وتعالى بالمسجد النبوى الشريف الذى فيه مثوى حبيبه ﷺ؟ نعم والقسم بالسقف المرفوع هو قسم بالمسجد النبوى الشريف بعد توسعته الأخيرة بإعتبار هذا علامة على قرب وقوع عذاب القيامة الصغرى وهو المقسم عليه، وباعتبار أن الأقسم الخمسة فى سورة الطور ما هى إلا أقسام بأحداث حضارية وعلى رأسها فساد البيئة الذى جاء نتيجة مباشرة لما أنتجته هذه الحضارة من مصانع واستخدامات لمشتقات البترول المختلفة والتى لولاها كلها ما تمت توسعة الحرمين الشريفين وتعميرهما المعاصر: إنشاء وتَعْميرا بالمصلين، بل ولما وُجدَ المال الذى تتم به هذه التوسعة، ومن ثم لابد أن يكون القسم بالسقف المرفوع قسماً بشيء حضارى أيضا ويدل فى نفس الوقت على تسوعه المسجد النبوى بعد أو مع توسعة المسجد الحرام.

إن المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتعميرة بالأساليب الحضارية المعاصرة يحتوى على ثمانية أسقف متحركة هى عبارة عن ثمان قباب قابلة للرفع تماما حتى أن الناظر من تحتها بعد رفعها يرى السماء مباشرة. ويتم رفعها بتحركها على مجارى (رولمان بلى) وبمحرك كهربائى.

هذه التقنية كانت مستحيلة من قبل، وقد ذكرت فى صيغة القسم للدلالة على حال المسجد النبوى الشريف فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى وهو العقد الأخير من القرن العشرين.

وهذا التفسير يتوفر فيه عنصرا المنطوق اللغوى وهو كون كل واحد من هذه القباب سقفا مرفوعا على جوانب أربعة مثل كل الأسقف، ثم هو يُرفع حسب الطلب رفعاً نهائياً فتنكشف السماء للناظر من تحته كأنه لايوجد ولم يكن يوجد سقف، وهذا معنى الرفع المعرَّف بالألف واللام، فهو سقف أحيانا، وهو مرفوع عن جوانبه أحيانا أخرى. وتلك هى الدلالة اللغوية لمنطوق هذا القسم، والعلاقة بين هذا القسم وبين ما سبقه واضحة من حيث أنهما حدث حضارى من ناحية، وتم ظهورهما خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين الميلادى الأول والثانى من القرن الخامس عشر الهجرى من ناحية أخرى، والمقسم عليه كما قلنا هو أحداث القيامة الصغرى المتضمنة للآيات الثلاث الأولى من آيات الساعة العشر: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وقد اثبتنا أن الآية الرابعة هى الخروج العلنى للمسيح الدجال الذى يُرى فيه بالأعين. ومن ثم وحسب الحديث الوارد عن المسيح الدجال عندما يأتى المدينة ويقف علي أبوابها ولايدخلها، فإن المسجد النبوى يكون قصرا أبيضا وهذا ماتم بالتوسعة والتعمير المعاصر حيث صار المسجد من الفخامة والاتساع والأبهة ماصار به قَصْرًا أبيضاً بحق.

ألا ترى أخى المسلم اذا كنت ممن مَنّ الله عليك بالحج أو العمرة وبزيارة رسول الله ﷺ أن منظر المسجد النبوى من مكان مرتفع على أبواب المدينة المنورة يبدو للناظر كالقصر الأبيض الزاهر نهاراً فى ضوء الشمس، وكذلك ليلا بالأضواء الساطعة المسلطة على سقفه وجوانبه؟!

هذا المنظر يدل على اقتراب يوم الخلاص، خلاص المدينة المنورة من المنافقين حين يأتى إليها الدجال ويقف خارجها تمنعه الملائكة من دخولها.

روى أحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرك (عن محجن بن الادرع قال قال النبى ﷺ: «يوم الخلاص وما يوم الخلاص يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ قال: يجىء الدجال، فيصعد أحدًا فيطلع فينظر إلى المدينة ويقول لاصحابه: ألا ترون إلى هذا

القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكا مُصْلتاً فيأتى سبخة الجرف فيضرب رواقة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلايبقى منافق ولا منافقة ولافاسق ولافاسقة إلاَّ خرج إليه، فتخلص المدينة فذلك يوم الخلاص)[١].

حقا لقد صار المسجد النبوى قَصْرا أبيضًا وتم بناء القصر الملكى خارج المدينة بموضع يقال له اليوم سلطانة، وهو نفس الموضع المذكور فى الحديث باسم سَبْخَة الجرف، ومعلوم أن الدجال عندما يخرج سيزعم أنه رب العالمين، وأنه ملك الدنيا ومن ثم فلا يتصور أحد نزوله ومَبِيتَه فى أى موضع يمر به إلا بالقصور الملكية.

فهذا الخبر دليل جديد على صدق نُبُوته ﷺ إذ أخبر عن مسجده الذى كان مبنيا فى عهده بالطوب اللبنْ وسعف النخيل أنه سيصير فى آخر الزمان قصرا أبيضًا وسيكون بسبخة الجرف (سلطانة) قصرا ينزل فيه الدجال؛ وكل هذا دليل على القرب الشديد لنزول العذاب وحدوث الخسوف وتسلسل الأحداث كما ذكرناها من قبل.

هذا القصر الأبيض أو المسجد النبوى فى صورته المعمارية المعاصرة لزمن الآيات أحداث القيامة الصغرى هو الذى أقسم الله تعالى بأسقفه الثمانية التى يمكن رفعها عند الحاجة باعتبار السقف المرفوع اسم جنس لهذه الاسقف وفى نفس الوقت علامة حضارية تدل على حالة مسجد حبيبة المصطفى ﷺ فى عصر القيامة الصغرى الزمن السابق مباشرة على خروج الرجال، والله تعالى أعلى وأعلم.

٣٧- البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة فى أماكن استخراجها[٢] أو أماكن تكريرها وفى مواضع استخدامها: -

لقد سبق أن تحدثنا عن هذا القسم مع بيان إحدى المُسرَّات المتفاقمات وهى قوله

(١) عن كنز العمال للشيخ على المتقى الهندى جـ١٤ حديث ٣٨٨٣٣ ومعنى مصلتا اى مشهر اسلامه فى وجه الدجال.

(٢) نقصد بالاشعال فى أماكن التكرير والاستخراج اشعال الغازات المنبعثة من تحليل مكوناته فى صورة شعلات مرتفعة فى معامل التكرير

تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [/ ٦ / التكوير] وعقدنا بينهما مقارنة فالبحر المسجور المقسم به هنا هو بحر البترول وهذا ما يدل عليه التفسير بالأثر وإن كان السلف الذين وردت عنهم هذه الآثار لم يعلموا أنها بحار البترول، وإنما كان تفسيرهم لها تفسيرا لغويا أو بأخبار مأثورة مصدرها الوحى من غير أن يتصوروا أن هذا سيكون كائنا بالصورة التى تستخدم فيها البشرية هذا البحر الآن.

أورد السيوطى فى الدر المنثور (أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله تعالى: (والبحر المسجور) قال: المحبوس، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله: والبحر المسجور قال المرسل.. وعن مجاهد فى قوله: والبحر المسجور قال هو الموقد، وعن قتادة في قوله والبحر المسجور قال المملوء.. وعن ذى الرمة عن ابن عباس فى قوله والبحر المسجور قال: الفارغ، خرجت أمة تستقى فرأت الحوض فارغا فقالت الحوض مسجور)(١).

فما هو البحر الذى يكون محبوسا ثم مرسلا ثم موقدا ثم فارغا؟!

وكأن هذا السؤال لغزا يعجز السابقون عن الاجابة عليه، بيد أن أى معاصر يقول على الفور أنه بحر البترول أو الغاز الطبيعى. ظل محبوسا عشرات أو مئات أو ملايين السنين ثم صار مرسلاً باستخراجه فى العصر الحديث، ثم إرساله إلى مواضع تكريره ثم استخدام مشتقاته فيكون مُوقَدًا، ثم بعد ذلك يصبح فارغا.

وبسبب هذه الاستخدامات فسدت البيئة، وتلك هى علاقته بقسم الله تعالى الأول بالطور، ثم إن بحر النفط، هذا أحد أسباب التقدم العلمى والتقنى والصناعى وبه تتولد الكهرباء وبه وبغيره تقدمت الصناعات الالكترونية، ومنها صناعة الكمبيوتر، وبثمنه تم تعمير البيت الحرام ليس بسبب ثمنه الذى أغنى الله به أهل الجزيرة بعد غلائه فقط، ولكن أيضًا لأن التعمير الذى تم فى المسجد الحرام، تم بكل الانجازات الحضارية فى جميع المجالات: الإضاءة والصوتيات والانشاءات الحديثة، وكذلك ما

---

(١) السيوطى/ الدر المنثور ص٢ ص١٣١.

تم فى المسجد النبوى الشريف بما فيه السقف المرفوع، أى أن التعمير كان بكل المسرات المتفاقمات.

فكلها متصلة ببعضها، إذ لم يكن ليتم أحدها إلا بالأربعة الأخرى، وكلها فى نفس الزمن تقريباً فهى متعاصرة بل ومتزامنة، وجميعها مقدمات وإرهاصات على قرب وقوع العذاب الذى هو المقسم عليه، لأن المقسم به إذا وقع فلنرتقب وقوع المقسم عليه.

٣٨ - العذاب الذى اقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو عذاب القيامة الصغرى المرتقب: -

والدليل على هذا أنه يقع فى الدنيا قبل حدوث القيامة الوسطى علاوة على الكبرى، وهذا، ما يدل عليه السياق.

(١) فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ يدل على أنه فى الدنيا لقوله تعالى عن العذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ فوقوعه لا يكون إلا على الأرض أما العذاب فى الآخرة فهو فى جهنم والعياذ بالله منها، ومن ثم فهو لا يقع على المعذبين وإنما يهوى الكافرون فيها ويقعون عليها ولا يقع عليهم العذاب وإنما هم الذين يقعون عليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ يدل على أن ثمة محاولة سيقوم بها الذين يظنون أنهم قادرون عليها بما أوتوا من قوة باطشة، وفى هذا اشارة لمحاولة الولايات المتحدة ومن سيتعاون معها من الدول النووية بمحاولة دفع النيازك الفخمة المحدثة للهدّة بأعتبارها أول حدث من أحداث الخُسوف والزلزال ومسببة لهما. والنَّفْى يدل على فشل المحاولة التى ستكون من الأمريكان واللذين معهم لمنع الهدة بقذفها قبل دخولها الغلاف الجوى بصواريخ محملة برءوس هيدروجينية، تلك النيازك المحدثة للهدة التى ستتسبب فى حدوث الخسوف والزلزال وقد سبق الحديث تفصيلا عنها فى الجزء الأول. وقوله تعالى ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ يدل على

حـدوث المحاولـة ثم فشلـها وآخـر مـا نشـرته أجهـزة الإعـلام عن هذه النيـازك الضخـمة المتجـهة نحو الأرض، والتي تراقـبها أجهـزة ناسا أن الولايات المتـحدة طلبت من الدول الفضائية التعاون معها لمراقبتها ومواجهتها إذا لزم الأمر.

(٣) قوله تـعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيـرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ يدل علـى أنه فى الدنيا قـبل القيـامة الوسطى، لأن الوسطى ليس فـيهـا أحداث هدم فى السـماء أو الجبال أو الأرض، كما أن الجبال فى القيـامة الكبري لن تكون إلا عهنا منفوشا كما وضحنا هذا من قبل.

(٤) قوله ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين سيكون لهم أعظم نصـيب من هذا العذاب ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى عندما يأتيهم العذاب يكونوا يومئذ فى خوضهم يلعـبون، وهذا ليس مـن أحوال الحـشر يوم البـعث والحـساب. فـدل على أن يوم وقوع العـذاب عليهم وهـم يـلعبون أى يكونـون فى الدنيا فى عـصر مُسرَّات يوم القيـامة التى منهـا هذه الخمس التى أقـسم الله بها، وتكون حيـاتهم لعبـا ولهواً أى رياضةً وفنّا، وهـم يخـوضون بالالحـاد حتى يسمـحون بنشـر ما أطلقـوا عليه آيات شيطانية باسم حرية الفكر والعقيدة والنشر فى الوقت الذي يذبحون فيه المسلمين أطفـالا وشـيوخًا ونـساء لا لشىء إلا لانـهم مسلـمون، ولم يـقع هذا الذبح على المسلم الغـريب عنهم بل وأدوا الجنين الذى سـتلده أمـيـرتهم المحبـوبة لمجـرد أنه سيولد مسلمـا، هذا هو خوضهم الذى فيه يلعبون والذي سـيجلب عليهم عذاب يوم القيامة الرهيب.



الباب الثالث

الإمـارات العلميـة والتكنولوچيـة في المجالات المـدنيـة والعسكرية فـي الكـتـاب والسـنة

الفصل الأول: وسائل السفر والنقل المعاصرة فى الكتاب والسنة

الفصل الثاني: الأساطيل البحرية الحربية فى القرآن الكريم والسنة

الفصل الثالث: القوات الجوية والصواريخ المدمرة فى الكتاب والسنة.

الفصل الرابع: القنبلة الذرية وغزو الفضاء فى الكتاب والسنة.

الفصل الخامس: أجهزة الاتصال الحديثة وأجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فى الكتاب والسنة

الفصل السادس: التقدم فى التشييد والبناء وتخطيط المدن ورصف الطرق من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة.

الفصل السابع: التقدم فى علوم الحياة والطب والجراحة والهندسة الوراثية واستنساخ الكائن الحى من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

الفصل الثامن: آبار البترول وحقول الغاز الطبيعي واستخداماتها من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة.



الفصل الأول

وسائل السفر والنقل المعاصرة في الكتاب والسنة

(٣٩) التفسير اللغوى المحض للمرسلات عرفا وأخواتها يصدق على وسائل المواصلات المعاصرة: برية وجوية وبحرية أكثر من صدقه على أى شئ آخر: -

تشكل وسائل السفر والانتقال المعاصرة ظاهرة حضارية متقدمة، حتى أصبحت إحدى السمات المميزة لهذا العصر، وهى التى جعلت العالم أو الكرة الأرضية قرية صغيرة، ولم يكن هذا ليتم لولا التقدم الصناعى العلمى التقنى، ليس فى مجال الحركة (الميكانيكا) فحسب، بل فى مجالات الاكتشافات والاختراعات السمعية والبصرية والكيماوية والبيئية وغيرها.

إن هذه الوسائل تدخل فى حياة البشرية فى السلم والحرب، وأصبحت عاملا رئيسيا وحاسما فى تسارع الاحداث التاريخية بشكل لم تشهده الإنسانية فى تاريخها المكتوب.

وإذا قرأنا القرآن الكريم نجد أنَّ الخالق عزوجل قد مَنَّ على الانسان بخلق الخيل والبغال والحمير التى ينتقل بها ويحمل عليها أثقاله فى سفره وانتقاله الفردى.

وكذلك مَنَّ الله تعالى علينا بالأبل والسفن التى استخدمها الإنسان فى السفر الجماعى ونقل البضائع .

فقال تعالى عن وسائل السفر والنقل الجماعية: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١)﴾[يس] وقال عن الوسائل الفردية﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[النحل/ ٨].

أفلا يتضمن كتابه الحكيم سبحانه ذكرا لوسائل السفر والركوب الجماعية

المعاصـرة المنتظمـة المتتابعـة وماوراءها من مؤسـسات وأجهزة ومهـندسين وسائـقين وفنييـن وإداريين وعلماء وبـاحثين؟! بغيْرهـم ماكان لها أن تنـتظم وتتابع فـى مواعيد محددة بشكل دورى حتى أصبح الانتقال مـن حى الى حى داخل المدينة ومن بلد إلى بلد داخـل القطر ومن دولـة إلى دولة داخل القـارة ومن ميناء إلـى ميناء داخل الـبحر الواحـد أو المحيط ومـن قارة إلى قـارة ومن محـيط إلى مـحيط أمـراً ميسـوراً بالليل والنهار وعلى مدار العام والشهر والأسبوع واليوم وبانتظام؟!

بلى والله، لقد تضمن القرآن الكريم هذا النبأ العظيم ليس تلميحا بل تصريحا.

فقال تـعالى ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١-١٥/ المرسلات].

يقسم الله تبارك وتعالى بالمرسلات ومابعـدها والمقسم عليه وقوع وعيده بالعذاب، وتوقـيت وأمارة تحقـق الوعيد هـو طمس النـجوم وفروج تحدث فـى السماء ونـسف الجبال.

فما هـى المرسلات التى اقسـم الله تعالى بها وبمـلحقاتهـا، والتى هى امـارة عـلـى قـرب وقوع العذاب الـذى سيحل إذا طُـمست الـنجوم وفرجت الـسماء ونسـفت الجبال؟!.

المُرْسَلاَت جمع المُرْسَلَة وهو اسم مفعول مؤنث وعُرْفًا أصلها: عرف، قال عنه ابن فارس فى مـعجمه (العـين والراء والفاء أصلان صـحيحان يدل أحـدهما على تـتابع

الشئ متصلا بعضه ببعض والآخر على السكون والطمأنينة) ثم قال (ومن الأول عرف الفرس لتتابع الشعر عليه ويقال: جاءت القطا عرفا عرفا أى بعضها خلف بعض)(١).

وهذا هو الذى يفسر لنا(المرسلات عرفا) فالمرسلات ترسل من الجهة التى ترسلها عرفا أى متتابعة متصلة بعضها ببعض وبعضها خلف بعض فتصل ايضا إلى الجهة المرسلة إليها متتابعة متصلة بعضها خلف بعض.

هذه المرسلات المتتابعات التى يقسم بها رب العالمين سبحانه وتعالى ليست حدثا عاديا وإنما هى ظاهرة هامة فى حياة البشرية وحدثا عظيما فى تاريخها والمقسم عليه لابد أن يكون عظيما أيضا كما سنرى.

فما هى المرسلات المتتابعات بعضها خلف بعض؟! إنها جميع الرحلات المتتابعة فى جميع أنواع وسائل السفر والركوب الجماعى للبشر ولنقل البضائع، أولها حدوثا قطارات السكك الحديدية ثم الباسات وخطوط المترو الكهربائية داخل المدن ثم العبارات والسفن المنتظمة الرحلات بين الموانى والقارات.

وتبع هذا كله وسيلة أسرع، ومن ثم تُعْتَبر الجيل الثانى من المرسلات من حيث السرعة، وهى الطائرات، ولذلك جاء القسم بها بعد المرسلات بحرف العطف «الفاء»، لأن العاصفات ليست إضافة نوع جديد أو مغاير للمرسلات، إذ هى من المرسلات ولكنها جاءت بعد الأولى متطورة عنها ومتفوقة فى وظيفتها فأخذت حرف الفاء ولو عطفت بحرف الواو، لَدَلَّ هذا على أنها قَسَمٌ جديد بشئ جديد، لأن الواو للجمع والفاء للتعقيب، ولكنه قال (فالعاصفات عصفا) أى فالمرسلات التى تعصف عصفا فالفاء تفيد مجيئها بعد الأولى وتفيد ايضا أنها من نوعها، فهى مرسلات عرفا، ولكنها تختلف عن الأولى بأنها عاصفات عصفا فما الدليل على أنها الطائرات؟

الدليل يكمن فى جوهر معنى العصف الذى قال عنه ابن فارس(عصف أصل واحد صحيح يدل على خفّة وسرعة، فالأول من ذلك العصف، وهو ماعلى الحب

(١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة مجلد ٤ صـ٢٨١.

من قشور التبن، وتقول عصفتُ الزرع إذا جززتُ أطرافه وأكلته، والريح العاصف الشديدة، لأنها تجز أطراف الأشياء وتذهب بها، وقوله تعالى: ﴿وجاءتها ريح عاصف﴾ أى أنها تستخف الأشياء فتذهب بها، أى تعصف بها.

فالعاصفات إذن ليست هى الريح، لكنها كل الحاملات للأشياء المعصوف بها بخفة وبسرعة وقول العامة عن الريح الشديدة(العاصفة) خطأ لغوى والصحيح هو «الريح العاصفة» وقولنا ريح عاصف أى ريح شديدة قوية مسرعة تعصف بالأشياء أى تحملها وتذهب بها.

ومن ثم يصح لغويا وصف أى شئ يحمل الأشياء والأحياء ويذهب بهم بسرعة وبخفة بأنه عاصف حتى ولو لم يكن ريحا، فتكون المرسلة السريعة عاصفة وجمعها عاصفات.

وعصفا مفعول مطلق يدل على شدة العصف، أى شدة السرعة فى الذهاب. فكأن الفاء للعطف جعلت القسم هكذا (والمرسلات العاصفات) ومن ثم ورد عن الخليل أن معنى ريح عاصف أى شديدة، فكل مايحمل الأشياء ويذهب بها بسرعة وبشدة فهو عاصف ومن ثم قالوا: الناقة العصوف أى التى تعصف براكبها لسرعتها، والحرب تعصف بالقوم تذهب بهم، ونَعامة عصوف: مسرعة)[1].

وعلى هذا فالعاصفات عصفا بعد المرسلات عرفا هى من جنسها ،ولكنها تذهب بما تحمله بسرعة وخفة أشد، وهذان الوصفان ينطبقان تماما على الطيران المدنى المستخدم فى السفر، الذى أهم مايميزهُ أنه رحلات متتابعة منتظمة يحمل الناس وحقائبهم بخفة وبسرعة وهذا هو المعنى اللغوى الدقيق لقوله تعالى (فالعاصفات عصفا) وكذا ليس أدق لغويا من القول عن (المرسلات عرفا) أنها الرحلات المتتابعة المنتظمة بعضها خلف بعض لوسائل السفر والنقل.

بل إن العاصفات عصفا هى نفس القطارات والباسات وجميع وسائل النقل مع الطائرات بعد أن تطورت من خلال أجيال متعددة حتى أصبحت جميعا شديدة السرعة بينما كانت الأجيال الأولى منها أقل سرعة.

(والناشرات نشرا) وأول مانلاحظه العطف بحرف الواو وليس الفاء مما يفيد إضافة جديدة، أى قسم بجديد غير المرسلات.

(والنشر فتح الشئ وتشعبه، والنشر أن تنشر الغنم بالليل فترعى) و«الناشرات» جمع مؤنث مفرده «الناشرة» وهو اسم فاعل بخلاف المرسلات جمع مرسلة اسم مفعول. كأن الناشرات هى التى ترسل المرسلات وتعمل على نشرها وتشعبها فى الأرض فتنتشر فى جميع خطوطها وطرقها وتصل إلى جميع أرجائها.

والمعنى إما أن يكون إشارة إلى أن هذه المرسلات خلفها مؤسسات وشركات وإدارات تعمل على تعميم الخطوط والرحلات فتنتشر وتتشعب فى الأرض، فإذا بالكرة الأرضية مليئة بآلاف بل بعشرات الآلوف من خطوط الكسك الحديدية والطرق البرية والبحرية والجوية تنقل الناس من حى إلى حى ومن قرية إلى قرية ومن دولة إلى دولة ومن قطر إلى قطر ومن قارة إلى قارة.

ويدخل فى معنى الناشرات أيضا مراكز الأرصاد الجوية التى تمد الخطوط البرية والبحرية والجوية بما هو ضرورى لاقلاعها من النشرات الجوية وأحوال الطقس وتوقعات الرياح العواصف والأعاصير حتى تتجنب الخطر، والتى يعتمد عليها الطيارون والملاحون والربابنة فى الاقلاع والهبوط.

(فالفارقات فرقا) ونلاحظ هنا العطف«بالفاء» وهى تعقيبية كمجئ النتيجة فى عقب المقدمة وتحقق الهدف عقب العمل مباشرة فهى فى النهاية الفارقات للأهل والأحباب عن بعضهم البعض، والفارقات بين المسافرين وبين أوطانهم وبلدانهم وكأن هذا القسم- والله أعلم- هو بمحطات السكك الحديدية والموانئ والمطارات التى عندها يكون الوداع بين المسافر وأهله وإخوانه وهى المنطلقات التى تنطلق منها المرسلات بإنتظام إلى محطات وموانئ ومطارات أخرى تنتهى إليها وتقف وترسو وتهبط عندها.

وجميعها الآن ذات خطوط فاصلة بين المسافرين الذين يحجزون خلف هذه الخطوط بعد تأشيره الخروج وبين أهليهم الذين يمنعون من إجتياز هذه الخطوط

فالفارقات هو المعنى الجوهرى المميز للموانئ والمحطات والمطارات، حتى قبل بدء حركة المرسلات، فالمحطات والموانئ والمطارات التى هى أبواب المدن والعواصم والدول هى الفارقات فرقا بمقتضى القوانين، والخطوط الفاصلة والوسائل الناقلة هي الفارقات بمقتضى العصف بالمعصوف عصفا، وبمقتضى المسافات البعيدة الشاسعة.

(فالملقيات ذكرا، عذرا أو نذرا) وهو قسم مَعْطوف على سابقه بالفاء وليس بالواو أى أنه أمر ملحق بما سبق وليس مغايراً له. وهذا الذكر هو مايلقى على المسافرين فى المحطات والمطارات والموانى ثم فى السفن والقطارات والطائرات والباسات بمكبرات الصوت من قيادة الرحلة وهى عبارة عن توجيهات وبيانات وتعليمات: عذرا او نذرا، عذراً بالسماح لهم بممارسة النشاط المسموح به ونذرا ببيان الممنوع من هذا النشاط، والالتزام بمقاعدهم وربط الاحزمة فى الطائرات أو اللجوء إلى قوارب النجاه التى فى السفن ساعة الخطر التى تتعرض لها هذه الوسائل إما بالغرق وأما بالاصطدام وإما بالإحتراق والسقوط وهذا متكرر كل يوم .

وكذلك تكون الناشرات نشرا التى هى مراكز الأرصاد الجوية ملقيات ذكراً عذرا أو نذرا من خلال أجهزة الإتصال اللاسلكية للربابنة والملاحين والطيارين والسائقين بحرا وجوا وبرا بالسماح لهم بالرحلة أو بانذارهم من تقلبات الطقس.

يؤكد هذا الذى نقول قوله تعالى عن وسائل السفر الجماعية بما يفيد أنه سبحانه سيخلق للبشر الجديد فى هذا المجال ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)﴾ [يس] وقد ورد عن إبن عباس رضى الله عنهما﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ﴾ يعنى الإبل خلقها الله تعالى كما رأيت، فهى سفن البر يحملون عليها يركبونها)[1]. لكن على هذا التفسير تحفظَين:

الأول: لقوله تعالى ﴿... أنّا حملنا ذُرِّيَّتهم﴾

(١) السيوطى/ الدرا المنثور مجلد/ ٥/ ص ٢٨٧.

الثاني: قوله تعالى﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ فالضمير فى «ذريتهم» كما يتبادر إلى الذهن يعود على الذين نزل عليهم القرآن الكريم المخاطبين به وهم العرب وسائر البشر إلى يوم القيامة، وقد فسر ابن كثير«ذريتهم» بمعنى آباءهم وهذا مخالف للغة لأن المعنى اللغوى يلزم أن يكون هذا الذى خلقه الله من مثله ليركبوه هو لذرية الذين نزل عليهم القرآن أى أنه سيحدث فى المستقبل.

والتحفظ الثانى حول تفسير ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ بالإبل لأن الأبل لايغرق راكبوها وقد قال تعالى عنهم﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ مما يجعل هذا الذى خلقه الله تعالى لذريتهم للركوب والسفر بديلا عن الفلك المشحون هو من مثله، وليس مثله أى ليس من نوعه، إذ يؤدى نفس الهدف، وهو النقل والسفر الجماعى، ولكن ليس هو أو ليس مثله، ولكن من مثله أى ليس نفس النوع، ولكن من نفس الصنف الذى يؤدى نفس الأهداف، إذ ثَمَّ فرق جوهرى بين قوله تعالى: ﴿مِّثْلِهِ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾.

كما أن تفسير ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ بالإبل لاينطبق على الذرية فقط، إذ كان الآباء والأجداد يركبونها، أما قصرها على الذرية، فيفيد أنها ستأتى للأجيال اللاحقة ولم تكن عند الأجيال السابقة.

وقد قارن الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله تعالى بين القطارات والسفن العظيمة كالأعلام من ناحية وبين الإبل من ناحية أخرى من حيث السرعة والقوة والتفوق الهائل للوسائل الحديثة والمعاصرة فى الكم الذى يحمله من المسافرين ومن أمتعتهم وبضائعهم وانتهى إلى أن القطارات والسفن العملاقة عبارات المحيطات والشاحنات التى كالجبال هى(المرادة بالآية جزما)(١).

فلو كان الكلام عن سفينة نوح عليه السلام لما نوَّه السياق إلى أن الله تعالى خلق لهم ماسيركبونه من السفن أيضا لأن هذا أمر معلوم، لذلك قال من قال أنها الإبل لأن ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ تقتضى أنه وسيلة كالفلك وليست هى الفلك فقال: أنها الإبل باعتبار

(١) الشيخ الغمارى/ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية صـ٦ مطبعة المكتبة الشعبية/ بيروت/ نشر دار الرشاد الحديثة/ الدار البيضاء بدون تاريخ.

أنها وسيلة السفر الجماعية البرية الوحيدة فى عصره غير السفن، لكن يمنع كونها الإبل أنهم مُعَرَّضُون للغرق كركاب السفن، كما أن الله تعالى منَّ على البشرية جميعا بحملها فى سفينة نوح عليه السلام، وليس فقط الذرية أو الاجداد فقط، فقال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ﴾(١١/ الحاقة).

ومن ثم دلَّ هذا كله على أنها وسيلة ركوب جماعية إذا أصابها العطب غالبا مايغرق ركابها فى البحر ولامنقذلهم، أى أنَّ إمكانية الانقاذ ضيئلة جدا، والأمر ينتهى بسرعة خاطفة حتى أنهم لايكادون يصرخون، وهذا لايكون إلا فى حوادث الطائرات التى غالبا ماتقع فى المحيطات والبحار لأن أكثر خطوط الطيران تكون فوقها، ولذلك يلاحظ المسافر بالطائرة تخصيص طوق للنجاة من الغرق لكل مسافر فى حالة سقوط الطائرة.

وفى هذا كله إشارة وتلميح بل وتصريح إلى أنها الطائرة بأكثر من لازم من لوازم السياق وهى:

١ - حمل الذرية وليس الآباء فى الفلك المشحون.

٢ - أنه سبحانه خلقها من مثل الفلك الشحون، وليس مثله فهى أمثال الفلك وليست فلكا.

٣ - أن المسافرين عليها معرضون للغرق السريع حتى إنهم لايتمكنون من الصريخ.

٤ - أن الله سبحانه وتعالى سمح لهم بهذه الوسيلة رحمه منه سبحانه ومتاعا إلى حين، أى فيها متاع بالرغم من أن السفر قديما كان قطعة من العذاب كما جاء فى الحديث الشريف، وهذا يشير إلى الرفاهية الموجودة على العبارات والقطارات والباسات والطائرات من غرفات للنوم ومطاعم ووسائل التسلية كالتليفزيون والفيديو وحمامات السباحة والملاعب والملاهى، مما أشار إليه السياق بقوله(.. ومتاعا إلى حين) أنه لا مصيبة ولا عذاب إلا بكثرة وغلبة المعاصى وطغيان الذنوب. وفى هذا إشارة إلى مايرتكب فى هذا العصر داخل وسائل السفر من معاصى وكبائر، إذ جهزوها وأمدوها بوسائل اللهو والمتاع الحرام ففى قوله: ﴿وإن

نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ إشارة إلى هذا، وفى قـوله تعالى: ﴿ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إشارة إلى، صبره وحلمه وعفوه سبحانه وتعالى عن كثير.

فذكرُ المتاع فى السياق الذى يتحدث عـن السفر بحرا أو جوا، يدل على أن السفر أصبح أمراً سهلاً ميسوراً خالياً من العذاب والمشقـة بل يكتنفه المتعة والراحة، فالسفر بالطـائرة ألف ميل يسـتغرق تسعين دقيقة، يـشرب المسافر فيـها المشروبات ويـتناول الطعام ويشـاهد فيلما ولايتعـرض المسافر حتى للأتربـة فهو سفر سهل ميـسور، حتى على الشيخ الكبير الـذى لم يكن من قـبل مستطيعا لقطــع هـذه المسـافات بالـوسائل القديمة، أى بالإبل والسفن القديمة، ومن ثم لم يكلف بالبريد فى الماضى إلاَّ الشباب الذين يستطيعـون توصيله وحماية الإبل والخيل، فكان الشيوخ قـديماً يرسلون الشباب بالبريد والبضائـع، أما اليوم فإن الشباب يرسلون الشيوخ بالـبريد، ولـم يكن هذا الحال ليتم إلا بسهولة المواصلات ويسرها ومتعه السفر وخلوه من المشقة والخطر.

وقد أنبأ المصطفى الخاتم الصادق المصدوق ﷺ عن هذا كإمارة من إمارات الساعة فيـما رواه (عبدالله بـن مسعـود رضى الله تعـالى عنه قـال: قال رسول اللهﷺ: لاتـقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتـى تتخذ المساجد طرقا فلا يُسجد لله فيها، وحتى يبـعث الغلام الشيـخ بريدًا بين الافقـين، وحتى يبلـغ التاجر الأفقيـن فلا يجد ربحا)[1] وبين الافقين كناية عن طول المسافة.

وفى روايـة للطبـرانى أيضا عـن ابن مسـعود رضى الله عنـه جاء فيه(.. وأن يُـبْرِد الصبىُ الشيخَ)[2] أى يرسل الصبى الـشيخ بالبريد وقضاء الحوائـج، أما التاجر الذى يسافر ببضاعته بين الأفقين فلايجد ربحا، فهذا كناية أيضا على أن هذا أمر متكرر كل يوم لسهولة المواصلات، الأمر الذى جعل البضائع الضرورية متوفرة فى كل مكان مما أدى إلى الكساد والخسارة أحيانا. وهو ماعبـر عنه المصطفى ﷺ فى أحاديث أخرى عن أمارات الساعة بقوله (وتتقارب الأسواق)[3].

(١ , ٢) الطبرانى فى الكبير.

(٣) رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة.

يؤكد مانقول ماورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة عن امارات الساعة التى يستغنى بمقتضاها الإنسان عن الإبل فى السفر الجماعى والحمير والبغال للانتقال وحمل الاثقال فى السفر الفردى بقوله تعالى عن هذه الأمارة (وإذا العشار عطلت) اورد السيوطى بسنده عن مجاهد [إذا العشار، عشار الإبل، عطلت، لاراعى لها)[1] أى أهملت فلم تعد تُربَّى للركوب(وأخرج عبدبن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم(وإذا العشار عطلت) قال: هى الإبل] وقال ابن فارس(وناقة عشراء وهى التى أقربت سُمِّيت عشرآء لتمام عشرة أشهر لحملها، وجمعها عشار ويقال بل يقع اسم الجمع على النوق التى نتج بعضها وبعضها قد اقترب ينتظر نتاجها[2]) وعطلت أى أهملت وفى هذا إشارة واضحة إلى أن الناس سيهملونها كوسائل للسفر لوجود وسائل بديلة أسرع وأفضل راحة.

والإبل كانت وسيلة الإنتقال الجماعية والفردية، هى فردية للإنتقال من حى إلى حى، وجماعية للسفر من بلد إلى آخر فى شكل قوافل، فهى بحكم الوظيفة الفردية تشارك الخيل والبغال والحمير. لكن نظرا لأن اكثر ماكان الانتقال الفردى بالخيل والبغال والحمير، واكثر السفر الجماعى كان بالإبل لتحملها ولياقتها لهذه المهمة اشتهرت الإبل بأنها سفينة الصحراء.

أما هذه الثلاثة فقد ورد الإستغناء عنها بالتلميح الذى كاد أن يكون تصريحا بأن الله سبحانه سيخلق من وسائل الركوب الفردية مالايعلمه أهل الزمان الذى نزل فيه القرآن الكريم ومابعده حتى تم اختراع السيارة والدراجة العادية والدراجة الآلية وكلها وسائل ركوب وانتقال فردية، وهذا التلميح جاء فى قوله تعالى ذاكرا ومعدداً سبحانه النعم التى انعم بها على الإنسان سبحانه وتعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨/ النحل) أى أنه سبحانه سيخلق مالاتعلمونه انتم ايها الصحابة ومن بعدهم من وسائل الركوب الفردية التى ستأتى بعدكم وهى مما لايمكنكم تصوره أو إدراكه.

(١) السيوطى / الدر المنثور/ ٦/ ٣٥٤.

(٢) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة ٤/ صـ٣٢٥.

فالآيـة تخص وسائـل الركوب الفـردية فقط بـدليل عدم ذكـر الإبل لأنها كـانت كوسيلة السفر فى شكل قوافل جماعية، فكانت للركوب الجماعى.

يؤكد هذا قوله ﷺ عن نزول المسيح بن مريم عـليهما السلام(والله لينزلنّ ابن مريم حكما عدلا فليكسرنّ الصليب وليقتلنّ الخنزير وليضعنّ الجزية ولتتركن القلاص فلا يُسعى عليها)[1] والقلاص جمع قُلُـص والقُلُص جمع القلوص وهى الـنوق الشابة وهى بمنزلة الجارية من النساء[2] فالقلاص جمع الجمع وهذا يعنى أنها جميعا ستُتْرك وتتوقـف قوافل السفـر بها لأن قوله (فـلا يسعى علـيها) أى فلايسـافر الناس علـيها، وكانت الإبـل يُسعى عليـها بين الصفـاء والمروة، ويطاف عليـها حول البيت فـى حالة المرض والـضعف والـشيخوخـة، وحتى هـذه وتلك أيـضا عطلـت فيهـا الآن وصار للعجزة والشيوخ كراسى متحركة يطوفون ويسعون عليها.

والمعنى اللازم هو إستـحداث البديل لها، وهى وسائل الركوب والـسفر الجماعية والفردية التى تستَخدمها البشرية فى هذا العصر.

هذا كـله يؤكـد المعنـى الذى استـخلصناه من آيـة سورة «يس» وكـذلك المعـانى المستخـلصة من آيات «المرسلات» كـما أن التعبير «بتـرك القلاص فلا يُسعى عـليها» يفسر لنا المعنى المستفاد باعتباره لازمـا من لوازم «تعطيل العشار» لأن العشار لم تهمل باعتبارها أنعاما يشرب لبنها ويؤكل لحـمها وينتفع باوبارها، فدل ترك السعى عليها أن التعطيل للعشار بـالنسبة للسفر عليها فقط. وذلك لأن النوق التى كـانت تُقْتَنى للسفر من سـلالات خاصة، كـما هوالحال بـالنسبة للـخيل الأصيـلة، لأن هذه الـنوق ذات مواصفات خـاصة تجعلها صالحة لـلسفر بخلاف النـوق التى تربى لالبانهـا ولحومها، وهذه الـنوق هى التـى يسمونـها «الهجـن» ولم يعد لـها من إستـعمال إلاّ فى سـباق الهجن ، كذلك يجب أن ننوه إلى أن سبب إهـمال الإبل أو الهجن وترك استخدامها

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ك/.

(٢) مختار الصحاح صـ٢٢٩.

للسـفر ليس هو إختـراع وصناعة القـطارات والباسات والـطائرات فقط، بل الـسبب الحقيـقى هو فى تعـميم هذه الوسائـل فى كل مكان فـى الأرض، ولجميع المسـتويات المالية بين البشر، حـتى أصبح فى مقدور الغنى والفقير أن يسافـر على وسيلة من هذه الوسائل تناسب مستواه المالى، ومـن أى بلد إلى أى بلد، ومن أى مكان إلى أى مكان، ومن أى قـارة إلى أى قـارة، وهو مـاجاءت إلـيه الإشـارة فى الـقَسَـمْ بقـوله تـعالـى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ إذ بفضل الله تعالى تَـمَّ تعميم تصنيع هذه الوسائـل وتوفير الطاقة الرخيصـه لها وهى البترول ومشـتقاته ثم تمكين الـبشر من ايجاد الشركـات والانظمة والأجهزة الإداريـة التى تدير هـذا كله وتنشره وتـعممه حتـى تغطى به أرجـاء الكرة الأرضية بـخطوط السـفر التى هـى رحلات منتـظمة متـتابعة، فـالاستغنـاء عن الإبل وغيرها صار بما أقسم الله تعـالى عليه بقوله ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ لأن وراء هذا النـشر مؤسسات ضخمة صناعية واقتصادية وتنظيمية وادارية.

يؤكـد مانقول أنـه ليس كل مـاهو مُخْتَـرعٌ ومَصْنُوعٌ مـنشورًا، ومعـممًا علـى كل الناس، فالصواريخ الحاملة للمركبات الفضائية ومكوك الفضاء والغواصة وغيرها من المخترعات والمصنوعات لـم تعمَّمْ لـلإستخدام البشرى العام مثل ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) ﴾.

فمحور القسـم إذن يدور حول وسائل السفر العامة والخاصـة المعاصرة، وهى من الإمارات لأنها من عجائب آخر الزمـان وهى من الأمارات على قرب وقوع العذاب وحدوث الخسـوف الثلاثة وزلـزال الأرض العظيـم، إن لم ترجع الـبشرية إلـى ربها عزوجل، لأنه اقسم سـبحانه بوسائل السفر المـعاصرة على المقسم عليـه وهو قوله(انما تُوعدون لواقع) وماتوعد به البشرية هو إما العذاب وإما الساعة، فالعلاقة واضحة بين القسم والمقسم عـليه، وهو أن حضور ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾ دليـل

علـى بـدء نهاية البشرية والقرب الشديد للساعة، وأن الدنيا آذنت بإنتهاء، وما وعدُوا به من عذاب واقع إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

أليس التقدم العلمى التقنى فى وسائـل الركوب والسفر وتنوعها بين بريَّة وبحريَّة وجوية وانـتشارها هو مما جـعل أهل الأرضِ يظنون أنـهم قادروت عليهـا؟ بلى والله، اللهم ارحم عبادك يوم نزول عذابك؟.

(٤٠) مخترعات معاصرة متعددة مصاحبة للمرسلات أنبأت عنها الأحاديث النبوية

لقد ربـط رسول الله ﷺ فى حديـث مسلم بـينها وبـين نزول المسـيح من السـماء، ومعلوم أن خروج الدجال يـسبق نزول المسيح عليه السلام، ومـعلوم أن ظهور المهدى عليه السـلام يسبق خروج الدجال لعنـه الله، ومعلوم أن الزلزال يسبـق ظهور المهدى، فإذا كان ظـهور وسائل السـفر المعاصـرة هذا الذى أدى إلى تـرك القلاص، وتعـطيل العشار، علامة علـى قرب نزُول مسيح الهدى عليه السلام، فـأولى أن يكون هذا كله علامـة على قرب الخـسوف والزلزال، ومـن ثم أقسم الله بـها جميـعا على أن وعـيده للناس بالعذاب- إن لم يتوبوا إليه- لواقع.

وهذه الأمارات الـتى ذكرها الله تـعالى مقـسما بها وهـى وسائل السـفر تصاحـبها امارات أخـرى حضـارية أيضـا من المختـرعات الـعلـمية والـتقـنية وهـى أيضـا من العجائب﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات٨-١٥].

وقد حـدثت هذه الأمارات أيـضا، لأن طمس الـنجوم ذهـاب ضوئها وقـد ذهب ضوؤها بسبب اضاءة المدن حتى أن الناظر إلى سماء المدينة فى ليلة صافية لايرى نجما واحدا بسـبب الأضـواء المنبعـثة من المدينة بـينما ترى النـجوم فى البادية وفـى الريف، وهى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ والطمـس أشد فى الاخفاء مـن الانكدار، وكلاهمـا يعنى إخـتفاء المرئـى أو غياب معالمـه فى بصر الـرائى وقوله تـعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ قد حـدث أيضا والفـرجة تطلق على الفتحة أو الشـقب فى السقف إذا

فُتحَ السقف مـن أسفل أو إذا نُظِرَ إليها من أسفل، والـغلاف الجوى أو طبقة الأوزون التـى هى بمثابـة السقـف، إذا كانت الفـتحة فيه من أسفـل وإنما يقـال إنفرج السـقف ويسمـى هذه الفتـحة التى تُرى مـن أسفل فرجـة، ومن ثم فقولـه تعالى(وإذا الـسماء فُرِجَـت) إى حدث مـايخـرقهـا من أسـفل وهو مـا تم ويتـم بعـروج سفـن الفـضاء والصواريخ ومكوك الفـضاء منها. وكذلك قد ينطبق هـذا الشرط على ثقب الأوزون لأنه انفراج بفعل غازات صاعدة من الأرض أى من أسـفل السقف لكن هذا احتمال ضعيف، إذ لثقب الآوزون، آية أخرى اكثر مطابـقة أما قوله تعالى(وإذا الجبال نسفت) فقد حدث ونسف الإنسان الجبال بالديناميت ثم حملها فى سيارات شحن ضخمة ثم نقـلها إلى خـارج المدن وشق الجبـال لنقبـها وشـق الـطرق فى بطـونها بما نـطلق علـيه الانفاق. ومكة المكرمة وجـبالها وماحدث لها خلال العشرين سنـة الماضية خير شاهد على هذا كله.

(وإذا الرسل أُقِّـتَتْ) أى جُعِل لها وقـتا لحساب أممهم واشـهادهم عليهـم وهو يوم الدين ﴿لأى يوم أجلت ليوم الفصل ويل يومئـذ للمكذبين﴾ أى للرسل بما جاءوا به من شرع الله تعالى ومن وعيد بالساعة وأماراتها.

إن أهم مايميز وسائل الانتقال والسفر الحديثة هو السرعة، وهذا مانّبأ به رسول الله ﷺ بما يتوافق مع قسـم الله عزوجل بالعاصفات عصفا بقوله ﷺ (لاتـقوم الساعة حتى يتـقارب الزمان وتـزوى الأرض زيّا[1]) والزى هـو الطـى وهو مـايشـعر بـه راكب السيارة المسرعـة أو القطار أو الطائرة ويزداد زى الأرض وطيها بـزيادة السرعة وقال ﷺ فى هذا المـعنى ايضا(لاتـقوم الساعة حـتى يتقـارب الزمان فتكـون السنة كالـشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار)[2] أى كالسعفة المحترقة لايستغـرق حرقها إلا ثوانى أو ثانية. وروى أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ(لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنـة كالشهر ويكون الشهر كالجـمعة وتكون الجمعة كاليوم والـيوم كالساعة

(١) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٢) جامع الترمذى / ح ٢٣٦٩.

والساعة كاحتراق السعفة)[1] وهى ورقة النخلة اليابسة تحترق فى ثانية أوإثنتين. والمعنى أن ما تقطعه الطائرة النفاثة فى ثانية تقطعه وسيلة أخرى فى ساعة ونفس المسافة تقطعها الوسائل القديمة فى يوم، وما تقطعة السيارة فى يوم تقطعه الإبل فى شهر وتقطعه الطائرة فى ساعة وهكذا.

وهذا معناه أن البلاد البعيدة أصبحت قرْيبة أو قريبة جدا حسب سرعة الوسيلة التى يسافر بها المسافر فكما كان أهل مكة يصعدون الجبل إلى الطائف صيفا لجوها الصيفى البارد والمسافة بينهما قرابة أربعين أو خمسين ميلا أصبح أهل مكة والمدينة يقضون الصيف بالشام بدلا من الطائف، كأن الشام ضاحية من ضواحى مكة أو المدينة لأن الزمان الذى يستغرقونه فى السفر إلى« الشام بالسيارة يوم وبالطائرة ساعة فكأنه سفرٌ إلى الطائف أو أدنى من الطائف وقد نبأ النبىﷺ أن هذا سيكون، وأشار إلى سهولة الانتقال ويسره ،حتى بالنسبة للمريض بقوله (لاتقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون فيها الصحة) وقد علق الشيخ الغمارى رحمه الله على هذا الحديث الشريف بقوله أن فيه معجزه للنبىﷺ، لأنه يستحيل على الذى يريد السفر للاستشفاء- إذا كان مريضا- الذهاب من المدينة إلى الشام لمسافة ألف ميل وأكثر على الإبل، وإن كان غير مريض، فكيف يقطع على الإبل أكثر من شهر للذهاب وشهر للعودة لكى يستجم فى الشام بضع أيام ثم يعود بنفس المشقة، فمثل هذه المسافة لم تكن تقطع الا للتجارة. ولم يكن بين القدماء عاقل يسافر هذه المسافة البعيدة فى الحر للإستجمام والراحة أو للعلاج من المرض.

أما وقد حدث هذا فعلا، ولايزال، فإن هذا دليل على صدق نبوته ﷺ، خاصة فى عصر البترول إذ يملك أهل الجزيرة بعامة ومنهم أهل المدينة احدث السيارات والمال فيركبون الطائرات من المدينة إلى أى مكان فى العالم، علاوة على ذهابهم بسياراتهم.

وقد نبأ النبىﷺ عن السيارة بالوصف والتشبيه فذكرها ذكرا صريحا إذ شبَّهها بالرحال التى كانت توضع فوق الإبل، وهى مراكب الإبل عليها السروج ثم يوضع فوقها بالهودج الذى هو عبارة عن غرفة صغيرة مكعبة الشكل من الستائر لتجلس المرأة فوق الرحال فى داخل الهودج وكانت تستخدم فى زف العروس.

(١) مسند الإمام أحمد / ح ١٠٦٦٧.

ومعلوم أن السرج هو المقعد الجلد الذى يوضع فوق الإبل والخيل والحمير والبغال ويصنعه السروجى، والعجيب أن يُسمى الناس اليوم من يصنع كراس السيارات الحديثة بالسروجى أيضا وقد سَمَّى رسول الله ﷺ ماستقعد عليه الناس فى آخر الزمان بالسروج وهذا فيما رواه احمد فى مسنده عن عبدالله بن عمروبن العاص قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول(سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كاسنام البخت العجاف، إلعنوهن فإنهن ملعونات)(١).

ورواه الحاكم فى مستدركه بلفظ المياثر بدلا من السروج والمياثر هى السروج العظام وهى ثياب حمر تكون فى مراكب الاعاجم، والسرج فى اللغة الرحل وقد أسْرِجَتْ الدابة، والرحل هو رحل البعير، وهو مايوضع فوق القتب، والجمع الرحال.

والمفهوم من هذا كله أن المياثر مقاعد مريحه وثيرة كبيرة وهذا الحديث الصحيح الشريف يتضمن عدة حقائق هامة:

١ - الركوب على السروج العظام الوثيرة فى مراكب كأشباه الرحال اى ليست رحالا وإنما تشبه الرحال، فهى ليست خيلا ولاإبلا فماذا تكون غير السيارات؟.

٢ - قوله ﷺ ينزلون على أبواب المساجد يمنع أنها خيل وإبل، لأنهم لم يكونوا يربطونها على أبواب المساجد، بل بعيدا عنها حتى لاتلوث مداخل المساجد بروثها فدل هذا على أنها السيارات.

٣ - قوله ﷺ: (نساؤهم كاسيات عاريات) يدل على ظاهرة التبرج المصاحبة فى الزمان لانتشار السيارات أو مع ظهور السيارات لأن الحدثين: تعميم إستخدام السيارات وظهور التبرج، متعاصران تمامًا.

٤ - قوله ﷺ(سيكون فى آخر أمتى) دليل صريح على أن السيارات أمارة من أمارات الساعة تدل على قربها، وأن الدنيا فى آخر الزمان، لأن آخر الأمة هو آخر الدنيا باعتبار أنه ﷺ آخر الأنبياء وأمته آخر الأمم.

٥ - الحديث دليل على أن داء التبرج سيصيب أكثر الأمة، لأن النساء الكاسيات

---

(١) ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشخين ولم يخرجاه.

العاريـات الملعونات يـنتظرن أزواجـهن وأهلهن فـى سياراتهم عـلى المياثـر حتى يؤدون الـصلاة داخل المسـجد، وقد عـلق الشيـخ الغمـارى رحـمه الله علـى هذا الحديث بقوله (فهو من أصرح الأحاديث فى السيارات).

وحيث قـد ارتبط ترك القلاص فـلا يُسافر عليـها بنزول المسيـح بن مريم عليـهما السلام، فإنـه يكون من المتوقـع وجود نصوص تتحـدث عن وسائل السفـر المعاصرة السريعة بأنواعها فى عصر المهدى والدجال أيضا، من هذه الأحاديث:

١ - روى أبو على عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبـر فقال: ياأيها الناس إنى أجمـعكم لخبر جاء من السمـاء، فذكر الحديث وفيه: هـو المسيح تُطـوى له الأرض فى أربعيـن يوما، إلا ماكـان من طيبة، وطـيبة المدينـة مامن باب مـن أبوابها إلاَّ عليـه ملك مُـصلـتٌ سـيـفه يمـنعه وبمكـة مثل ذلك).

٢ - وفى صـحيح مسـلم حديث طـويل عن الدجـال جاء فيه(قـلنا يارسـول الله: وما إسراعه فى الأرض؟ قـال: كالغيث إستدبـرته الريح) وهذا وصـف صـريح دقيق لطائراته النَّفَّاثة.

٣ - جاء مـن أخبار المهـدى أن الذين يبـايعونـه، وهم عدة أهل بـدر، كقزع الصـيـف سيلاحقـونه من مكة إلى المـدينة ثم من المديـنة إلى مكة ثلاث مـرات، وذلك فى المدة من نهايـة موسم الحج حتى ليلـة عاشوراء، أى حوالى خمسة وعـشرين يوما ويبايع ليلة عاشوراء، وليس هذا ممكنا إلاَّ بالوسائل الحديثة فى السفر ولذلك إعتبر بعض الأقدمين هذه الأخبار منكرة، لأن هذه المسافة بين مكة والمدينة تحتاج بالابل إلى شهر ذهابا وإيابا فكيف يقطعونها ثلاث مرات ذهابا وإيابا فى أقل من شهر؟! ومن ثَمَّ يكون المهدى فى زمن هذه الوسائل السريعة.

٤ - ورد أن المسيح عليه السلام يدرك الدجال عند باب لد ويقتله عنده، واللد لم تكن بـابا فـى القـديم وهـى الآن مطـار فى شـرق تل أبـيب، وأبـواب المدن الآن هـى المطارات والموانئ ولاشك أنه سيحاول الإفلات مـن المسيح عليه السـلام بركوب طائرته الرابضة فى مطار اللد.

٥ - أَجْمَلَ رسـول الله ﷺ مـا سَيُحْمَلُ عليه الإنسـان فى حـديث فضـاله بن عـبـيـد الانصارى رضى عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فجهد الظهر جهدا شـديدا، فشكونا إلـى رسول اللهﷺ مـابظهرهـم من الجهـد فتَحيَّن رسـول اللهﷺ مضيقا سار الناس فيه وهو يقول: مروا باسم الله، فمر الناس عليه بظهرهم فجعل ينفخ بظهرهم وهو يقول:(اللهم احمل عليها فى سبيلك، فإنك تحمل على القوى والضعيف والرطـب واليابس فى البر والبحر) قـال فضالة: فمـا بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمتنا، فـقلت: هذه دعوة رسول اللهﷺ فى القوى والضعـيف، فما بال الرطب واليابس؟! فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرص فى البحر فلما رأيت السفن فى البحر، ومايدخل فيها عرفت دعوة النبىﷺ)(١).

ولنا أن نتساءل : إذا كان الرطب فى البر هو الخيل والبغال والحمير والإبل فما هو اليابس الـذى يحمل الله تعالى عـليه جنوده المجاهـدين فى سبيله فـى البر؟! وهى جميعا تقابل اليابس فى البحر أى السفن، إلا أن تكون المركبات الآلية بأنواعها؟!

لأن دعـوته ﷺ تضـمنت أربع وسـائل رطب ويابـس فى البـر ورطب ويابس فى البحر وكل واحد من هذه الأربعة منها ما هو قوى ومنها ما هو ضعيف.

فالضـعيف الرطب فى البر والخـيل والبغال والحمير ثم اليابس الدراجـة العادية والدراجة الآلية والسيارة الفـردية والقوى الرطب فى البر العشارأو القلوص أى الهجن.

والقـوى اليابس فى البـر القطار واليـابس وفى البـحر الضـعـيف اليابس السـفن الشـراعية والـضعـيف الرطب السفن البـخارية والقـوى اليابس السـفن الحديـثة والجوارى فى البحر كالأعلام بالوقـود البترولى وبالذرة مثل حاملات الطائرات. وقوله فى البر والبحر يدخل فيه الطائرات التى تحـمل المسافرين فوق البر والبحر كمـا سيأتى بيـانه كمـا ثبت عنه ﷺ قوله: (... وضُيِّقتْ الطـرقات ...) كناية عن كثرة السيارات وأزمة المرور.

٦ - روى الحاكم فى المستدرك عن حذيفة بـن أسيد رضى الله عنه قال(الدجال يخرج فى بغض من الناس وخـفـة من الدين وسـوء ذات بَيْن فَيَرِدُ كل منهل فـتطوى له

(١)مسند الإمام أحمد / ح ٢٣٤٩٥.

الأرض طى فروة الكبش...) وهـذا التعبير دليل على السـرعة الشديدة، لأن طى فروة الـكبش تـستغـرق جزءا من الـثانـية، فإذا كـان المقصـود بلفـظ الأرض فى الحديث المسافة من المـكان الذى فيه المسافر إلى نهاية الأفق المرئـى، فهذه قد تبلغ من أربعة إلى سبـعة أميال، فتكون السرعة عـلى الأقل ثمانية عشر ألف كـيلو متر فى الساعة، هذه سرعة الطبق الطائر التى لم تـبلغها سرعة النفاثات التى ورد فيها قوله ﷺ (كـالغيث إستدبـرته الريح) وهذا يـعنى أن عنده وسـائل سريعة للـسفر ووسائل أسرع وأسرع.

كل هذا يُثبت أن وسائل السفر المـعاصرة المتفاوتة فـى السرعة دليل علـى أننا فى آخر الزمان وفـى عصر الآيات العشـر وأن أول الآيات وهى الخسوف التـى تقع. بزلزال الأرض الـعظيم عـلى وشك الحدوث والله تعالى أعـلى وأعلم ونـسأله الرحمة والنجاة يوم نزول العذاب.



الفصل الثانى
الأساطيل البحرية الحربية
فى القرآن الكريم والسنة

(٤١) التفسير اللغوى المحض للنازعات غرقا وأخواتها يصدق على الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة أكثر من صدقه على أى شئ آخر.

قال تعالى مقسما: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات١-٧] مربنا أمر أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه بجلد صبيغ بن عسل مائة جلدة لسؤاله عن أشياء منها المرسلات والنازعات، وتبيَّن لنا أنَّ النازعات من التى سكت عنها النبىﷺ لحكمة ذكرناها فى الفصل السابق، فإذا أردنا أن نعرف مافسر به الصحابة والتابعون هذه الآيات، لوجدنا أنهم فسروا المرسلات ومابعدها والنازعات ومابعدها بالملائكة تنفذ أمر الله تعالى فى حياة الناس.

وليس مايمنع أن يكون تفسيرهم صحيحا مع وجود تأويل لهذه الآيات فى آخر الزمان يكون مطابقا لغويا على هذه الآيات مثل مطابقته على تفسيرها بالملائكة وربما يكون أكثر مطابقة فيؤكد هذا صحة التأويل بالأمارات المعاصرة.

والذى يرجح التأويل بالأمارات المعاصرة على تأويل السابقين لهذه الآيات بالملائكة هو الصلة المعنوية بين القسم والمقسم عليه.

ففى المرسلات لمسنا أن الصلة بين وقوع الوعيد وهو المقسم عليه، وبين وجود المرسلات عرفا بمعنى أجهزة ووسائل السفر المعاصرة قائمة، وهو نزول العذاب.

كذلك نجد أن القسم بالنازعات ومابعدها على أمر يكون يوم ترجف الراجفة أى يوم يقع زلزال الأرض العظيم كما سبق وأن عرضنا تفسيره فى الجزء الأول، ولاشك

أن مطابقه الآيات على تفسيرين متباعدين هو من الأعجاز البيانى لكتاب الله عزوجل، وذلك لأن الصحابة والتابعين ومن بعدهم لابد أن يفهموا معانى مقبولة لهذه الآيات، فإذا ماتحقق التأويل المعاصر الذى هو أمارات على الساعة لايملك السامع أو القارئ حياله إلا التسليم به وقبوله، يؤكده ان المقسم عليه من أمارات الساعة. وعلى كل حال فما دام التفسير الذى نورده اكثر مطابقة حسب اللغة فهو أولى بإعتماده من غيره.

فما الصلة بين ماأقسم الله تعالى به وبين المقسم عليه وهو (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) وقد ثبت لنا أن الراجفة هى الزلزلة العظيمة وأن الرادفة هى الساعة هذا فى قول راجح.

ما الصلة بين النازعات وماأقسم المولى عزوجل به معها وبين أمارات الساعة؟

ربما يقول أصحاب تفسير النازعات بالملائكة أن يوم الراجفة أى الزلزال ثم الرادفة أى الساعة سيموت أكثر الناس ومن ثم ستقوم الملائكة بمهامها المتمثلة فى نزع نفوس الكفار نزعا ونشط نفوس المؤمنين نشطا وهذا تفسير مقبول.

ولكن إذا كانت ثمة أحداث سابقة للراجفة مباشرة ومعاصرة لها أو تصدق عليها هذه الأوصاف التى وردت فى القسم لصار هذا التفسير أكثر مطابقة.

يدل على هذا قوله تعالى بعد القسم«يوم» أى أن هذه النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ستكون موجودة وكائنة يوم الرادفة أى فى عصرها، وزمانها، وتكون هذه جميعا أمارة على قرب وقوعها وارهاصة لها، بل إذا ثبت أنها جميعا من أسباب وقوع الراجفة فإن المطابقة تكون تامة.

فإذا تذكرنا أن اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا، وهو بمعنى العصر، وإذا تذكرنا أن الساعة تسبقها أمارات أى عجائب، فإن آخر الزمان يكون هو زمن العجائب ويؤكد لنا هذا أن النازعات من الأمارات، ومن العجائب. وأن استخدامها فى الشر والاستعلاء والطغيان، وليس فى الخير من أفعال الانسان المغضبة للخالق عزوجل،

والتى تكون مع غيرها من الجرائم، أسبابا لنزول العذاب إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

فهل فى هـذا الموضوع الذى نحن بـصدده قول يصلح سنـدا لماسنقول من تـفسير للنازعات وأخواتها.؟

نعم، هو قول عطاء بن رباح عن النازعـات أنها القسى جمع قوس وهو آلة الحرب القاذفة للسهام فهو سلاح قاذف وقال عن الناشطات هى الأوهاق أى الحبال فى آخرها الانشوطة التـى تعلق فيها الخيل او الدابـة، أما السابقات عنده فهى الخـيل وهى أخطر سلاح فى الحرب القديمة.

وقال قتادة إن النازعات غرقا الكافر، ولم يقل الملائكة تنزع نفس الكافر، وإنما ربط بين الكفر وبين النازعات، ثم قال عن السابقات أنها النجوم.

أما الذى ورد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن النازعات وآخواتها الملائكة فليس مايمنع أن يـكون حقا ، ولكن لايمنع أن تكون الآيات أكثر إنـطباقا وصدقا على أسحلة الحرب، لأن الصلة التى بين هذا التـفسير- أى أسلحة الحرب- وبين الراجفة أوثق من الصلة التى بين هذا اليوم وبين الملائكة كما سنرى.

فالتفسير بالسلاح ارجح، ولكن ليـس بالسلاح القديم فقط، إذ تكون ارجح وأكثر مطابقة، حسـب اللغة، للسلاح البحرى المـعاصر، وليس القسم بالأسلـحة الفردية بل بالاسلحة الجماعية والبحرية بالذات، تلك التى تُكوِّن جيشا عرمرما كاملا وقوة جبارة باطشة يمـكنها التدمير والغزو لأى بـحر أوبر فى الأرض. وهو قوة العلو الـكبير فى الأرض ليس لأمـريكا فحـسب بل لبـنى اسرائيـل الذين سيـطروا عليـها وحكمـوها بالافساد فيـها، ثم بالأفساد بها فـى كل الأرض، إن أول ماتشير إليه الآيـة (والنازعات غرقـا) أننـا بازاء أمـر بحـرى، لأن البـحار والمحيـطات اكـثر مـن ثلاثـة أرباع الـكرة الأرضية، ومـن يسيطر عـليها يحكـم الأرض، وهذه الغاية تحـتاج إلى أسلحـة وقطع وأجهزة بـحريه خاصة ومـتنوعة. نعم، ولـكن هذا الأمر قديـم إذ قد عرفت البـشرية الاساطيل البحرية منذ القدم.

هذا صحيح، بيد أن هذه الأساطيل القديمة كانت مجرد سفن تحمل الجنود وعليها سلاح واحد فقط هو المنجنيق ثم المدفع، فكانت ذات شكل واحد وطراز واحد ومهمة واحدة ، أما الأسطول البحرى المعاصر، فقد تعددت قطع الاسطول من حيث الحجم والشكل والسرعة، ومن حيث الوظيفة القتالية لكل قطعة فى هذا الأسطول، حتى يمكن القول أن الأسطول الامريكى الواحد جيش بحرى وجوى وبرى كامل متكامل عائم فوق سطح الماء، تخرج قطَعُهُ من الترسانة التى صنعته فى أمريكا، فلاتعود إلى شواطئها بعد ذلك إلا إذا أحيلت الواحدة منه إلى التقاعد، وخرجت من الخدمة، أىْ تظل هذه الأساطيل أو بالأحرى الجيوش الأمريكية العائمة تجوب البحار والمحيطات، وهى على صلة وثيقة آنيّة بقيادتها فى البنتاجون على بعد آلاف الأميال كأن حكومتها وقيادتها الموجودة فى واشنطن معها وإن لم تكن فيها.

صحيح أن القسم الإلهى بالنازعات وأخواتها لايخص أساطيل امريكا وحدها بل يعم ويضم جميع هذه النازعات وأخواتها فى كل بحار ومحيطات الدنيا، إلاَّ أنه يحق لنا بلاجدال أن نقول إنه قسم بالأسطول البحرى المعاصر بعامة وبالإساطيل الأمريكية بخاصة كما سنرى بعد بإذن الله تعالى.

أما القطع البحرية فى الأسطول البحرى بعامة وفى الأسطول الأمريكى بخاصة، والتى هى مختلفة فى الحجم والشكل والسعة، والمهام القتالية الموكولة بها، فهى كالتالى بحسب الأحدث فى الاختراع والصنع:-

أولا: الغواصات وهى النازعات غرقا. اقول، وبالله تعالى التوفيق والسداد وله الحمد والمنة، أنه سبحانه يقسم بالنازعات غرقا أى النى تدفع بنفسها مرتفعه من قاع البحر إلى سطح الماء منازعة للغرق، أو تنزع نفسها لتطفو مع كونها غارقة فى الماء.

قال ابن فارس فى معجمه عن مادة: نزع: أصل صحيح يدل على قلع شئ ، ونزعتُ الشئ من مكانه نزعا.. والنازع هو الذى ينزع فى القوس أى يجذب وتره بالسهم) ونزعت الماء من البئر أى رفعته،(وبئر نزوع قريبة القعر ينزع منها باليد)(١)

---

(١) ابن فارس / ٥/ ٤١٥.

فمعنى النزع الأخذ مع الشدة والرفع، والخلع والترك. والنازعات جمع نازعة اسم فاعل، وليس لها فى القسم مفعول مطلق كقوله(والناشطات نشطا) بل قال(غرقا) وهو فى معنى الحال أى أن نفس المنازعة غارقة ، أى تنزع نفسها فى حال كونها غارقة، فهى تنازع الغرق.

والذى يسبح فوق الماء لاينازع الغرق أولا ينزع نفسه من الغرق وإنما هو يقاوم الغرق بأن يظل على سطح الماء بما يفعله من حركات تعرف بالسباحة، أما الذى ينزع نفسه وهو غارق، فلابد أن يكون تحت سطح الماء، فإذا نزل تحت السطح وتوغل فى الأعماق رغما عنه فهو الغرق، وإذا فعل ذلك بارادته فهو الغوص وهو غواص، بيد أن الغريق هالك ولايطفو إلى السطح إلاّ جثة وبالنسبة للسفن تطفو بعد غرقها ألواحًا خشبية مبعثرة. أما الذى يغوص حتى القاع ثم إذا شاء إرتفع إلى السطح فهو الذى ينزع نفسه بالرغم من كونه غارقا تحت سطح الماء.

والغواصة آخر المخترعات البحرية صنعا واختراعا تغوص ثم تنازع الغرق فتطفو إلى السطح فالنازعات غرقا هى الغواصات. وقد أعطاها الذكر الحكيم بهذه التَّسَمية أخص مايميزها عن غيرها من قطع الأسطول الأخرى، وهى منازعة الغرق والتخلص منه، لأن الغوص وهو المعنى الذى اشتق منه اسمها عند البشر ليس هو الميزة التى تتميز بها لأنه ميسور لكل جسم فوق سطح الماء إذ هو ليس إلا الغرق، ولكن جوهر وكنه هذه القطعة هو منازعة الغرق، والاستطاعة على الصعود للسطح إرتفاعا من القاع، ومن ثم فتسمية الذكر الحكيم لما نطلق عليه نحن البشر الآن «الغواصات» «بالنازعات غرقا» أدق وأصح وأوضح.

ثانيا: (والناشطات نشطا) قال أبوعبيد هى النجوم تطلع ثم تغيب وقيل هى النجوم تنشط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد، وقال ابن مسعود وابن عباس هى الملائكة).

وفي اللسان(نُشِّطَتْ الإبل تنشيطا إذا كانت ممنوعة من المرعى فأرسلتها ترعى وقالوا أصلها من الانشوطة إذا حلت) (ونشطت الناقة في سيرها وذلك إذا شَدَّتْ)(١).

والذى يمكن استخلاصه من هذا كله أن المعنى اللغوى الدقيق للأصل: نشط هو الإنطلاق المفاجئ السريع القوى، إما بعد سكون وتوقف، وإما بعد حركة أبطأ من سرعة الإنطلاق. يؤكد هذا المعنى قوله فى اللسان(ورجل متنشط إذا كانت له دابة يركبها فإذا سئم الركوب نزل عنها، ورجل متنشط من الانتشاط، إذا نزل عن دابته من طول الركوب)(١) فالنشاط هو الحركة والإنطلاق بعد الركون والسكون والتوقف، أو هو الاسراع المفاجئ بعد الإبطاء، وهذه الصفات بالنسبة لقطع الأسطول تتوفر فى ذورق الصواريخ أو ذورق الطوربيد أو الطراد لأنها جميعا تتصف بالحركة المفاجئة السريعة، بينما سائر قطع الأسطول الأخرى تحتاج إلى التدرج فى السرعة فلاتستطيع المناورة كالناشطات نشطا لأن أهم مافى السلاح المناور هو القدرة على السرعة المباغته مع الإلتفاف وتغيير الاتجاه بخفة وسرعة.

فالنشاط بهذا المعنى هام جدا لوظيفة الذورق والطراد ومهامهما القتالية. وقوله تعالى(نشطا) هو مفعول مطلق لتأكيد هذا المعنى وبيان شدة النشاط وقوته.

ثالثا: (والسابحات سبحا) السابحات جمع سابحه اسم فاعل وسبحا مفعول مطلق يفيد التأكيد ، والسباحة العوم وهو الطفو فوق سطح الماء مع الحركة، إذا الفرق بين قولنا يطفو وقولنا يسبح هو حركة السابح وانتقاله فوق سطح الماء من موضع إلى موضع آخر. ومن هذا قوله تعالى: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ لأن الأجرام والكواكب [illegible] فى فلك دائرى أو بيضاوى حول مركز، وتحافظ على مستوى البعد أو الارتفاع عن هذا المركز كما يحافظ السابح فوق الماء على بعد ثابت بينه وبين القاع فلا يغرق ولاينزل تحت مستوى سطح الماء، أى يظل دائما على سطح الماء أثناء انتقاله من موضع إلى موضع.

---

(١) لسان العرب لابن منظور.

وللسائل أن يسأل: أَلَيْسَتْ البشرية تركب السفن السابحة، منذ ابيها الثانى نوح؟ ففيم يكون القسم بالسفن السابحة بعد القسم بالغواصات وبالزوارق الناشطات؟

حقا إن الله تعالى عظيم ولايقسم إلا بعظيم من الخلق والأمر.

وجوهر معنى هـذا القسم يكمن فى قوله تعالى(سبحا) التأكيديـة والتى تدل على ضخامة وعظمة السباحة الحادثة ومن ثم ضخامة وعظمه السابحة من هذه السابحات وهذا يشير إلى أنها حاملات الطائرات.

أرأيت مدينة عائمة طافية فوق سطح الماء تتكون من عشرة طوابق إرتفاعا ومئات الامتار طـولا وعشرات عرضـا، بها كل مـقومات وإمكـانيات الحيـاة الرغدة المرفـهة وغرف النوم التـى تستوعب آلاف الجنود الذين يـستقبلون بصفـه دورية زوجاتهم أو صـديقاتهم أو اللائى يأتين للترفية عن الجنود والضباط.

قرية من قرى امريكا أوقـل مدينة صغيرة بمساكنها وأسواقها ومطـاعمها وطرقاتها ومصـادر طاقاتهـا النوويـة علاوة علـى اجهزتهـا العسـكرية والـطائرات التـى عليـها والمدرعات التى تحمل جنود مشاة البحرية للنزول على الشواطئ للقتال.

حتى وزارة الماليـة الأمريكية والبنك المـركزى الذى يتولى طبع الـدولار الأمريكى موجود له فرع فى هذه المدينة ليطبع المرتبات الـتى يتقاضاها الجنود، تلك هى السابحة سبحا.

إنك إذا نظرت لأول وهلة إلـى هذه القطعة تظن أنك ترى اليـابسة أو جزيرة فإذا نظرت لـلوهلة الثانية تتيقن أنـك إمام جزيرة عائمـة، وهى كذلك، مطار عـائم، وهو كذلك. وتلك هى الجوارى فى البحر كالأعلام. التى يظن الأنسان الكافر واهما أَنَّهالَهُ وأنه يملكها ملكية حقيقية لكن عـندما تأتى الريح العاصف والأعاصير وتعلو الأمواج كالجبال ويوشـكون على الغرق يدركون أنهـا لله تعالى وأنه هو وحده المالـك الحقيقى لكل شـئ فى الأرض وفى الـسماء ويعلـمون أنها لله تـعالى﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[الرحمن ٢٤-٢٥] تلك هى السابحات

سبحا.جيش عظيم عائم بكامل معداته وجنوده حتى الطيران والمدرعات، تحاول أن تسيطر به الآن دولة واحدة على الأرض، هي عاد الثانية التى قال رئيسها بوش ومن بعده كلينتون ليس على وجه الأرض قوة أعظم من قوة الولايات المتحدة الأمريكية والقرن الواحد والعشرون هو قرن أمريكا. كأنهم ملكوا حتى الزمن وضمنوا مجىء القرن الواحد والعشرين؟!

كذلك استكبرت عاد وقالت من قبل ﴿من أشد منا قوة﴾ والسباحة هى العوم فوق الماء فلايشترط فيه سرعة الانتقال والحركة لأن حقيقة السباحة هى استمرار الطفو وعدم النزول تحت سطح الماء. فالسابحات اذاً ليست سريعة كالناشطات ولا تناور مثلها ولاتغوص تحت سطح الماء كالنازعات لأنها صنعت لكى تكون مدينة عائمة لها مطارها.

وربما تدخل فى السابحات أيضا مع حاملات الطائرات المدمرات وهى بوارج حربية عظيمة محمله بالمدافع الثقيلة والطور بيدات وسرعتها محدودة أيضا كحاملة الطائرات بالقياس إلى الناشطات.

وكذلك يدخل في معنى السابحات العبّارات ؟ المصممة والمصنوعة للسفر عبر المحيطات وهى كالمدن العائمة التى يصدق عليها قوله تعالى﴿ وَلَهُ الْجَوارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ أى كالجبال وهى منشآت أنشأها الإنسان كالعمارات السكنية ومن ثم تسبح فوق الماء سبحا، وقوله تعالى : (له) عن الجوارى المنشآت العظيمة كالأعلام التى لم يكن لها وجود بهذا الوصف إلا فى هذا العصر يدل على أنها الأساطيل البحرية الضخمة التى يظن أعداء الله تعالى أنهم يملكونها على الحقيقة وأنهم بها أقوى قوة في الأرض ولكنهم ومايملكون من قوة ملك لله تعالى وحده. فهى له وحده سبحانه ولا يستخدمونها الا بأمره وسيبطل الله تعالى كيدهم.

وكذلك يدخل فى السابحات سفن الشحن العملاقة التى منها ناقلات البترول العملاقة التى تحمل مئات الآلاف من الأطنان.

فالقسم اذن يشمل ماهو عسكرى بحرى وماهو مدنى للسفر فى البحر وماهو مدنى للتجارة والنقل البحرى.

خامساً: قوله تعالى(فالسابقات سبقا) يجعلنا نسأل لماذا العطف هنا بالفاء وقد كان قبل بالواو؟ الواو تفيد الإضافة والجمع أى أن قسمه سبحانه بالنازعات وبالناشطات وبالسابحات تفيد أن كل منها قطعة مستقلة عن الأخرى، وكل منها مكوّن رئيسي وعضو مستقل عن الآخر فى الأسطول، لاختلاف المهام القتالية لكل منها، وإن كانوا جميعا تابعين لقيادة الأسطول أو القيادة العامة كما سنرى هذا بعد.

أما قوله (فالسابقات سبقا) بالفاء التى لاتفيد الجمع، وإنما تفيد الترتيب والالحاق أو ذكر لازم الشئ للشئ فتكون السابقات غير مستقلة عما تسبقها وليست عضوات مستقلات عن الثلاثة المذكورات، بل هى ملحقات بها جميعا، وهى سابقة لها جميعا فى نفس الوقت. فماذا تكون هذه الملحقات بالنازعات والناشطات والسابحات وسابقة لها جميعا.؟ إنها الصواريخ والطور بيدات وقذائف المدفعية والطائرات أليست الغواصات حاملة للطوربيدات والصواريخ التى تنطلق منها إلى الأهداف المراد تدميرها بحرا وبرا وجواً؟ بلى.أليست زوارق الصواريخ والطرادات حاملة لكل ذلك؟ بلى. أليست حاملة الطائرات حاملة للطائرات التى تسبقها إلى الأهداف وتعود إليها؟ تلك اذن هى السابقات سبقا الملحقات بالاسطول فالفاء تفيد أنها- أى السابقات- ليست سوى لوازم ومكملات للثلاثة الرئيسية فى الأسطول البحرى، والتى بدونها لاتتحقق الأهداف الحربية، وهى سابقات لامهاتها اللائى يحملنها، وهو سبق أى سبق بدليل قوله تعالى(سبقا) لتأكيد السبق لشدة السرعة اذ تنطلق جميعا بقوة رد فعل النار المنفوثة من خلفها.

خامسا: قوله تعالى(فالمدبرات أمرا) والعطف هنا بالفاء أيضا، لأن هذا الأمر لازم لكل ماسبق وهو ومدبره وبدون المدبرات للأمر لاتنطلق السابقات من الاسطول، إذ المدبرات بمثابة الرأس لها جميعا، وهى قيادة الأسطول كله، واصدار الأوامر القتالية بناء على رؤيا شاملة فيكون التنسيق بين جميع قطعه من أمر المدبرات، ويجوز أن

يمتد امر المدبرات إلى قيادة الأساطيل فى العاصمة واشنطون فى مبنى البنتاجون أو الأخرى بموسكو أو بلندن، وربما كان الآمر الحقيقى ومدبر الموقعة هو قائد اليهود فى افسادتهم الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض، حيث ثبت أنهم يشعلون الحرب لتحقيق مصالحهم ولإمكان السيطرة على الأرض فيحاربون من عصاهم بمن أطاعهم.

(٤٢) العلاقة بين الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة بعامة والاساطيل الأمريكية بخاصة وبين رجفة الأرض

عندما تكون القوى العسكرية العظمى المتعادية والمتنافسة فى الأرض متوازنة تقوم سنة الدفع التى بها يحمى الله تعالى الضعفاء والمساجد والصوامع والبيع التى يذكر فيها اسمه تبارك وتعالى.

أما إذا انفردت قوة واحدة بهذه الأساطيل وسيطرت عليها هى وأنواع الأسلحة الأخرى وسخرتها لحسابها بطريقة خفية، ونعنى بهذه القوة الصهيونية بقيادة المسيح الدجال، فإن هذا الإنفراد بحكم الأرض هو إستثناء مؤقت لأنه مخالف لسنة الله تعالى الخاصة بالدفع ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة٢٥١) وقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج/ ٤٠) وهذا معناه أن البشرية قد عادت إلى أيام عاد الذين إنفردوا فى الأرض بالقوة وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾. فإذا جاء اليوم الذى تتوقف فيه سنة الدفع وبدأ الطاغوت المتفرد بالقوة فى الأرض كلها فى إستئصال المؤمنين، والقضاء على الإسلام وكثر هدم المساجد والصوامع والمذابح الجماعية والحروب غير المتكافئة ضد المسلمين التي لاتلبث أن تنطفئ هنا فتشتعل هناك، فإن هذا اليوم الذى يحدث فيه هذا يكون هو يوم الراجفة ويوم نزول العذاب، مالم ترجع البشرية إلى ربها، أى يكون هذا اليوم هو زمن الواقعة ولترتقب البشرية زلزلة الساعة.

فهذه الأساطيل البحرية العسكرية التي يمتلكها الغرب بعامة، والتي تمتلكها امريكا بخاصة، ليست مجرد امارات تقنية للساعة فحسب، بل هي أيضا معلم سياسي لهذا الزمن، إذ لأول مرة تنفرد قوة واحدة بحكم الأرض متعاونة مع قوى أقل بإتفاق ضد حزب الله أو أمة الأسلام، هذه القوى هي الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الأطلسي الذي يتوسع ويمتد شرقا، وتعلن هذه القوة الصليبية المتحالفة أن عدوهم الوحيد هو أمة الإسلام. وفي اواخر عام ١٩٩٧ صوّب البنتاجون ١٥٠٠ صاروخ تحمل رؤوس نووية إلى مدن العرب والإسلام واعلن بيل كلينتون ذلك بنفسه.

ولأول مرة في تاريخ البشرية منذ الإعلان عن النظام العالمي الجديد تتولى سلطة عالمية تعاقب الدول المُستضعفة، وليست هذه السلطة الا الدول القوية وعلى رأسها جميعا إسرائيل وجميعها تستتر خلف مجلس الأمن، ولأول مرة تمتلك فئة واحدة أموال الناس كلهم، ويدار الاقتصاد العالمي في كل الدول بالربا لصالح هذه الفئة فيزدادون جمعا للمال ويزداد الناس جميعا في كل بلاد الدنيا عوزا وغلاء ومرضا.

لأول مرة يبدأ حكم الدجَّال للعالم من وراء ستار إستعداداً للمرحلة الثانية لخروجه والإعلان عن نفسه، ومن أدوات حكمه، بل من أهمها وأخطرها هذه الأساطيل التي يسيطر عليها من خلال سيطرته على دولها وشعوبها وإقتصاد هذه الدول وإعلام هذه الشعوب.

هذا اليوم هو يوم الراجفة يوم زلزال الأرض العظيم الذي سيدمر به الله تعال مكر هؤلاء المفسدين في الأرض ليتيح للمسلمين فرصة اعادة الخلافة الراشدة بالمهدي، بإذنه وعونه وتوفيقه ورحمته وبركته سبحانه وتعالى.

فالقسم به هو كالنازعات وأخواتها والمقسوم عليه هو العذاب الذي ينزل يوم ترجف الراجفة. فالنازعات علامة وأمارة ومقدمة للرجفة. إن لم يعودوا ويتوبوا إلى الله عز وجل. لذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ الأولى هي القيامة الصغرى والثانية هي الساعة التي يموت بها كل حي.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك، وقنا عذابك يوم تبعث عبادك.



الفصل الثالث

القوات الجوية والصواريخ المدمرة فى الكتاب والسنة

(٤٣) التفسير اللغوى المحض للعاديات ضبحا وأخواتها يصدق على الطيران الحربى والصواريخ اكثر من أى شئ آخر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ (١/ ١١/ العاديات)

وحسب قاعدة العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، نقول إن الآيات تنطبق على الخيل باعتبارها أسلحة مدرعة فى الحرب القديمة فإذا ثبت انها تنطبق وتصدق - بمقتضى اللغة - على اسلحة الاغارة الحديثة والمعاصرة اكثر وأشد انطباقا من الخيل باعتبارها سلاح الاغارة فى الحرب القديمة، كان تأويلها المعاصر أولى.

والأمر الثانى ان الآيات قَسَمٌ بهذا السلاح المغير بينما المقْسَمْ عليه وهو (إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد) حدث لم يتم ولم يتحقق فى تاريخ البشرية إلا فى العصر الحديث، وسنوات القرن العشرين، كما سنرى بعد، ومن ثم يكون تأويلها بما نقول أولى.

والأمر الثالث هو أن رسول الله ﷺ سكت عنها، ومن ثم اجتهد الصحابة والتابعون وإختلفوا ،ورجحوا، وهذا يعطينا الحق فى التأويل المناسب لعصرنا بشرط المطابقة للمعنى اللغوى الخالص. لأن هذا الشرط هو العاصم الوحيد من القول فى كتاب الله تعالى بالرأى أو بالهوى، والتزام اللغة فى التأويل يلزم المؤمنين الأخذ بهذا التأويل اللغوى المحض.

ففي القديم فسرها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بالخيل وهى تضبح عندما تعدو، وتصطك سنابكها بالصخور والحجارة فيخرج منها شرر النار، وهذا معنى ﴿فالموريات قدحا﴾ أى كما يقدح الزند فيخرج منه الشرر، عند بعض المفسرين وهى ايضا المغيرات صبحا على العدو تفاجئة وتثير الغبار فى الحى المغار عليه (فأثرن به نقعا) وتنتهى الاغارة بان تتوسط هذا الحى فتنزل به الهزيمة (فوسطن به جمعا).

وفسرها على بن ابى طالب رضى الله عنه بالابل وليس بالخيل. جاء فى الدر المنثور للسيوطى (عن ابن عباس قال بينما انا فى الحجر جالس اذ أتانى رجل فسأل عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.

فقلت: الخيل حين تغير فى سبيل الله، ثم تأوى الى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانفتل عني فذهب الى على بن ابى طالب، وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلى؟.

قال: نعم، سألت عنها ابن عباس فقال: هى الخيل حين تغير فى سبيل الله، فقال اذهب فادعه لى، فلما وقفت على رأسه قال: تفتى الناس بما لا علم لك؟! والله ان أول غزوة فى الاسلام لبدر، وما كان معنا الاَّ فرسان، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف يكون العاديات ضبحاً؟! وإنما العاديات ضبحاً من عرفة الى المزدلفة، فإذا أدوا إلى المزدلفة أَوْرَوْا إلى النيران، والمغيرات صبحا من المزدلفة إلى منى، فذلك جمع، وأما قوله: فاثرن به نقعًا، فهو نقع الأرض حين تطؤه بخفافها وحوافرها. قال ابن عباس: (فَنَزَعْتُ عن قولى ورجعت الى الذى قال على)[1].

(وروى ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند صحيح فى الموريات قدحًا قال هو الرجل إذا اورى زنده اى قدح زنده ليخرج منه الشرر الذى يوقد منه النار).

والخلاصة أن الذى اقسم به الرب تبارك وتعالى هو: إما أن يكون من وسائل الركوب للسفر فى السلم وهى الابل قديما، وإما أن يكون من أسلحة الاغارة صبحا على العدو فى القتال، وفى جميع الاحوال موريات النيران ليست شرراً بسيطا بل

(٢،١) الدر المنثورجـ٦ صـ٤٢٩

نيرانًا مشتعلة مصاحبة للعاديات سفرا أو اغارة، والذى أقوله وبالله تعالى التوفيق والسداد، هو أن المقسم به يصدق على الطائرات وبالذات الحربية المغيرة اكثر من صدْقِهَا على تأويلها بالابل أو الخيل والله تعالى أعلم.

فالعاديات جمع عادية، والعَدْوُ هو الاسراع فى الحركة، وهو اسم فاعل وضَبْحًا حال والضبح هو الاصوات التى تخرج من أجواف هذه العاديات اثناء العدو وبفعله، وهذا ما ينطبق على الجيل الأول من الطائرات المروحية التى فى جوفها محركات قوية لها هدير خارج من أجوافها فهو ضبحها وهى عاديات ومغيرات صبحا إذ استخدمت هذه الطائرات المروحية عسكريا فى الحرب العالمية الثانية فى الاغارة على الاعداء، لكن القسم بالعاديات ضبحًا اعقبه قسم آخر هو (فالموريات قدحا) والعطف بحرف الفاء يفيد التعقيب والالحاق اكثر من الاضافة، فهو ليس قسما بشئ جديد مخالف ومغاير لما سبقه، وإنما هو من نوعه وجاء بعده، وهذا هو الجيل الثانى من الطائرات وهى الطائرات النفاثة التى تقوم على نظرية رد الفعل إذ تنطلق النيران من خلفها بقوة فتندفع الى الامام، أى فى الاتجاه المعاكس بنفس القوة، فتقلع الطائرة وتطير. فجوهر النفاثات، وايضا الصواريخ، هو اشعال النيران العظيمة ودفعها الى الخلف بقوة، وهذا هو المدلول اللغوى المحض للموريات قدحا ففى اللغة (ورًى الزَّنْد يُرِى وَرْيًا وَوَرًاه: خرجت ناره)[1]. (ووريتُ النار تورية إذا إستخرجتُها)[2] (قال الزجاج: وراء يكون لخلف وقدام ومعناه ما توارى عنك اى ما استترعنك)[3] فالموريات إذن هى النفاثات لان نيرانها مخفية، وهى تخرج من خلف بقوة لتدفع الجسم الى الامام، فالموريات قدحًا هى التى تقدح نيرانها وتوريها، اى تشعلها مع اخفاء، اذ تجعلها وراءها، وهذا هو عمل المحرك النفاث الذى تقلع به الطائرة النفاثة والصاروخ أيضا.

---

(١)، (٢)، (٣) لسان العرب لابن منظور / حـ٦ ص ٤٨٢١.

يؤكد هذا، أنها هي المغيرات صبحًا للعطف بحرف الفاء، وليس بالواو، وهذا ما يصدق اكثر على الطائرات المغيرة فى الحرب، إذا تكون الاغارة عادة مع اول ضوء النهار، وأما الاغارات الليلية فهى أحدث اختراعا بعد اختراع أجهزة الإبصار الليلية ومع هذا، فلازالت المهام القتالية الرئيسية تتم بالنهار وفى الصباح الباكر مع اول ضوء بصفة خاصة.

وقوله (فالمغيرات.....) اشارة إلى الغارات الجوية، وهو نفس اللفظ المستخدم للتعبير عن هذه العمليات الجوية فى البيانات العسكرية لقيادة الجيوش المحاربة.

يؤكد هذا نتيجة هذه الغارات او ما يعقبها (فأثرن به نقعًا) ونون النسوة فى هذا الفعل عائد على العاديات الموريات اى النفاثات المغيرات فى الصباح الباكر فتثير بعد الاغارة النقع. فما هو النقع فى اللغة؟!

النقع هو الماء فى باطن الأرض، او فى مُسطَّح فى شكل قيعان او منخفض ممتلىء بالماء فهو مستنقع، وكذلك الماء فى قاع البئر هو نقع، ففى الحديث (لا يُمنع نقع البئر ولا رَهْوُ الماء)[1] وفى الحديث ايضا (لا يقعد أحدكم فى طريق أو نقع ماء)[2] ينهى الرسول ﷺ فيهما عن منع الماء عن طالبه، كما ينهى عن قضاء الحاجة فى الطريق وفى نقع الماء حتى لايتنجس ويؤذى من يستخدمه للشرب.

قال صاحب اللسان (وكل مجتمع ماء: نقع، والجمع نقعان، والنقع القاع منه، وقيل هى الأرض الحرة الطين ليس فيها إرتفاع ولا إنهباط، ومنهم من خصّص) وقال: التى يستنقع فيها الماء)[3] والناقع هو القاتل (ويقال: سم ناقع أى بالغ قاتل وقد نقعه اى قتله)[4] والعجيب أيضا فى معانى مادة: نقع الهدم والتدمير قال فى اللسان (وانقعتُ البيت اذ جعلتُ اعلاه أسفله)[5] والاعجب أن من معانيها ايضا الصراخ ورفع الصوت والعويل قال فى اللسان ايضا (والنقيع الصراخ، والنقع رفع الصوت)[6].

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) اللسان لابن منظور ص٦ ص ٤٥٢٦.

أرأيتم لفظا واحدا فى لغة من اللغات يجمع فى معانيه كل آثار ونتائج نزول القنبلة من الطائرة على الأرض، أو نزول الصاروخ على موقع من الأرض مأهولاً بالناس وبمساكنهم او غير مأهول بهم مثل قوله تعالى (فأثرن به نقعا) باللسان العربى المبين؟! فما تثيره هذه الغارات ليس مجرد غبار كما ذكرت كتب التفسير التى فسرت العاديات بالإبل او الخيل او بهما معاً باعتبار أن هذه وتلك لاتملك من الاثارة فى الأرض إلا الغبار.

أما العاديات التى تثير غاراتها الماء من باطن الأرض أو الذى على سطحها وتهدم المساكن رأسا على عقب وتقتل الأحياء وتسبب الفزع والصراخ فليست الا الطائرات القاذفة للقنابل، وليست الا الصواريخ فتنفجر الأرض وينطلق من باطنها الماء وتهدم وتقتل وتحدث الفزع فيسمع الصراخ والعويل، وكل هذا فى لفظ واحد هو (نقعاً) فبمقتضى التعبير اللغوى المحض (فأثرن به نقعًا) ماذا يكون الذي يفجر الماء ويهدم ويقتل الا الصاروخ والقنبلة؟!

أما من قال إن معنى (فأثرن به نقعًا) يعنى التراب فإنه قد ترك المعنى الحقيقى للكملة ولجأ للمجاز، لأن الخيل أو الابل لاتحدث الحفر العميق الذى ينفجر منه الماء كما أنها لاتهدم المساكن والمبانى، ولاتقتل بمجرد عَدْوِهَا وانما أقصى ما تحدثه هو إثارة الغبار، مع أن الغبار ليس من معانى النقع المثار فى اللغة اذ هو الماء من البئر أو من المستنقع او من باطن الأرض، فاذا أضفنا الى هذا المعنى الاثارة للماء من باطن الأرض مع الهدم والقتل والصراخ، تأكد لنا أن هذه الآثار لا تجتمع الا بفعل القنابل المقذوفة والصواريخ.

يؤكد هذا التأويل اللغوى المحض ان القنابل والصواريخ تسقط وسط المدن والمجمعات السكنية، أو التجميعات العسكرية حسب الاهداف المحددة فهى التى تتوسط الجمع مباشرة من غير إجتياز أطراف المدينة ومداخلها، وكذلك بدون إجتياز المعسكرات من أبوابها أو أسوارها، ومن ثم قال تعالى (فوسطن به جمعا) اى النزول فى وسط الهدف المراد تدميره مباشرة، وهذا ما لايتم فعلا إلاَّ بالقنابل التى تسقطها الطائرات القاذفة وبالصواريخ بانواعها جو أرض وأرض أرض وبحر أرض.

وبهذا يكون تأويل العاديات بالطائرات القاذفة والصواريخ أولى من تأويلها بالخيل او الإبل، لأن هذه الأخيرة لايمكنها ان تتوسط الجمع مباشرة بل لابد لها ان تجتاز الى الوسط من الاطراف بخلاف ما توحي به الآية الكريمة.

(٤٤) عصر الطائرات والصواريخ هو عصر المجاهرة بالكفر والالحاد

ويؤكد هذا كله أخيرا ما يفترض من وجود علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وقد علمنا المقسم به وهو الطائرات والصواريخ التى تعتبر من الامارات المعاصرة، ومن ثم فلا بد ان يكون المقسم عليه هو أيضا حدث معاصر، لم يكن له وجود فى القديم، فما هو؟ المقسم عليه هو: (إن الانسان لربه لكنود) اى لجاحد منكر، وهذا إنكار لوجود الرب سبحانه وهو ظاهرة الإلحاد أى انكار وجود الإله الرب الخالق للكون وللانسان، ولكن قد يقول قائل: الإلحاد موجود منذ القدم، وليس ظاهرة حديثة وطارئة فى حياة البشر.

وللرد عليه نقول: هذا ليس صحيحا على إطلاق، اذ لم ينتشر الإلحاد على مستوى الشعوب فى تاريخ البشر المكتوب، وانما كان محصورا عند القلة النادرة من الفلاسفة.

وظلت اوربا خاضعة للكنيسة حتى بدء ما يسمونه بالعصر الحديث الذى تَخَلَّصتْ فيه الشعوب الأوربية من سلطان الكنيسة، ومن ثم لم تعد تطبق عقوبة التجديف او الالحاد أو الكفر العلنى، وكذا فى العالم الاسلامى، اذ كان الكافر يخفى كفره ولا يجرؤ على اعلانه، أما فى العصر الحديث وبعد اعلان العلمانية فقد إنتشر الإلحاد على نطاق أوسع شعوبيا واعلاميا وتربويا وبخاصة فى دول الاتحاد السوفيتى الشيوعى والصين وسائر البلاد الشيوعية، وأصبح الإلحاد هو العقيدة الشرعية لهذه البلاد وأصبح الالحاد علانية يشهد الملحد على نفسه بالالحاد مفتخرا به، وهذا ما يدل عليه السياق بقوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ اى معلنا الحاده وشاهد على نفسه، ونظراً لأن الالحاد لم يكن مذهبا رسميا إلا فى روسيا الشيوعية والبلاد التى إستعمرتها بما عُرف بالاتحاد السوفيتى ولا رتباط الالحاد بشيوعية المال حسب زعم

الماركسيين، بان مشاكل البشرية الاقتصادية لن تحل الا بالماركسية الشيوعية المؤسسة على الالحاد، فإن السياق تضمن تكذيب هؤلاء الشيوعيين الملاعين وفضحهم بأنهم أشد حبًا للمال وللإستئثار به من الرأسماليين فقال تعالى عن الملاحدة بعامة وعن الاشتراكيين والماركسين منهم بخاصة (وإنه لحب الخير لشديد) اى لحب المال لشديد فإذا ما حكموا الشعوب بالشيوعية واعدين إياهم بانها ستحقق لهم الرفاهية نهبوهم وعاش الحكام الشيوعيون فى رغد من العيش بينما يعانى البلوروتاريا أىْ الطبقه الكادحة شظف العيش وقسوته وإنتهت الدولة اللادينية بعد نيف وسبعين عاما بالافلاس فالقسم والمقسوم عليه حدثان متعاصران تماما إذ بدأت الدولة الشيوعية عام ١٩١٧ مع بدء تطور الطيران ليصبح بعد ذلك من أهم وسائل السفر مدنيا ومن أهم الاسلحة المغيرة المدمرة من ناحية أخرى. وكانت روسيا اكبر متسابق مع أمريكا فى هذا المضمار، وفى امريكا يعبدون الدولار صراحة وكذا كان الامر فى الاتحاد السوفيتى خفية.

ثم قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾ (العاديات / ٩ - ١١). فهذا القسم اذن يتناول السلاح الجوى والدمار الذى يلحقه بالمدن، والقتل الذى يسببه للانسان بالقنابل والصواريخ وبغيره من أسلحة الدمار الشامل كما يسمونها فى هذا العصر.

لقد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ بأن بين يدىّ الساعة الهرج الهرج، وهو القتل الكثير بلغة الحبشة، ولا يكون القتل كثيرا إلا إذا كان جماعيا وليس فرديا، يدل على هذا حديث [حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (منْ إقتْراب الساعة إثنتان وسبعون خصلة)... ذكر منها (واستخفوا بالدماء)][1] وعن ابى موسى رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد فقال (لايعلمها إلا الله ولا يجليها

(١) رواه ابو نعيم فى الحلية.

لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها وما بين يديها: ألا إن بين يديْها فتنة وهرجا، فقيل يارسول الله: اما الفتن فقد عرفناها، فما الهرج قال بلسان الحبشة: القتل)(١).

وروى أحمد (عن ابى هريرة عن النبى ﷺ انه قال: «ويل للعرب من شر قد إقترب، ينقص العلم ويكثر الهرج، قيل: يارسول الله، وما الهرج؟ قال: القتل») فكثرة القتل يفيد القتل الجماعى، وهو الحادث الآن بفعل القنابل والصواريخ وعلى رأسها أسلحة الدمار الشامل. بخلاف الحروب القديمة التى اكثر القتل فيها على مستوى الافراد بالسيوف والرماح والنبال اى كان غالبه فرديا. والآن القتل فى الحروب يغلب عليه أنه جماعى وهذا معنى كثرة الهرج اى القتل فى الحديث. فهذه الاسلحة جميعا هى من الامارات الدالة على ان الدنيا آذنت بانتهاء والبشرية الآن بين يدى الساعة.

وقد ورد ذكر الطائرات: مدنية وحربية فى حديث لعلى بن طالب رضى الله عنه أخرجه له نعيم قال (ويل للعرب بعد الخمس والعشرين والمائة، من شر قد اقترب، الاجنحة وما الاجنحة؟ الويل والطوبا فى الاجنحة، ريح تَقْفاهُبُو بُها، وريح تهيج هُبُوبُهَا، وريح تراخى هبوبها، ويل لهم من قتل ذريع، وموت سريع، وجوع فظيع، يُصب عليهم البلاء صبا، فيكفّر صدورها ويغير سرورها ويهتك ستورها، ألا وبذنوبها يظهر مراقها... الخ الحديث)(٢).

فقوله الويل والطوبا فى الاجنحة اى إما الدمار والموت وإما الخير والنفع والمتاع، وفى هذا اشارة إلى الطيران العسكرى المدمر اولا ثم الطيران المدنى. وبعد هذا ذكر درجات سرعة الاجنحة الطائرة فهى اما تسبق الريح واما تركبه وإما تتراخى عنه وإما تهيجه أى تصنعه بالمراوح فهذا ذكر لأجيال الطيران المروحى والطيران النفاث، وبعد هذا ذكر أنها تصب البلاء أى العسكرى منها، وهو موت سريع وقتل ذريع، وهذا ما يحدثه الطيران الحربى لأن (الموريات قدحا) هى المحركات النفاثة سواء كانت

---

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه نعيم رقم ٥٥٧.

للطائرات النفاثة ام للصواريخ الحربية أرض أرض وأرض جو وجو أرض وبحر أرض وبحر بحر وهى صواريخ وطوربيرات، ونتائج استخدام هذا كله الموت السريع والقتل الذريع.

وبهذه الصواريخ يتناول المحاربون خصمهم ويصيبونه ويدمرونه ويقتلونه على بعد مئات الاميال بل وآلاف الأميال وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبأ/ ٥٢) والتناوش هو التناول، ومن مكان بعيد يفيد إصابة الخصم عن بعد من غير أن يلتقى الخصمان فى صعيد واحد ويرى كل منهما الآخر بالعين المجردة وهذا لايكون إلا بالمدفعية بعيدة المدى ثم بالصواريخ بعيدة المدى وعابرة القارات.

وسيأتى تأويل هذه الآية مع سياقها فى موضع لاحق بإذن الله تعالى بما يؤكد صدقها ومطابقتها للصواريخ وقذائف المدفعية بعيدة المدى.



الفصل الرابع
القنبلة الذرية وغزو الفضاء
فــى الكــتــاب والســـنة

(٤٥) التفسير اللغوى المحض لقوله تعالى: (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) يصدق على القنبلة الذرية اكثر من أى شئ آخر

وأول ما يتبادر إلى أذهان أهل هذا الزمان عندما يذكر على سمعه السلاح النووى هو القنبلتان النوويتان اللتان أُلقيتا على هيروشيما وناجازاكى باليابان عام ١٩٤٥ فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا هى أن أهم وأخطر الاحداث والتغيرات البشرية التالية لهذه الحرب، يتمثل فى إنهيار القيم الخلقية وأخطرها جميعا على الإطلاق: بإباحة الزنى في اوربا وأمريكا وتوابعهما وصار امرا مشروعا وعلانية بالغاء القوانين التى كانت تُجَرِّم هذا الفعل وإسقاط العقوبات عنه تماما، ثم تلى هذا إلغاء العقوبات عن الممارسات الجنسية الشاذة بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء، واشترطوا لاسقاط العقوبة أن يتم الفعل بين بالغَيْن عاقلَيْن بإختيارهما، وهل تُرتكب هذه الجرائم إلاَّ بين إثنين بالغيْن؟!

ولا زالت هذه الفحشاء تزداد إنتشارا وإسفارا حتى صار لها نقابات وجمعيات ومحافل ومؤتمرات تطالب بتطبيعها اى بالنظر الى أصحابها على أنهم طبيعيون، وليسوا منحرفين او شواذا ويطالبون بتعديل القوانين لهذا الغرض.

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا هو:

ما العلاقة بين القنبلة الذرية التى بطشت بها أمريكا عام ١٩٤٥ وبين أن تصبح الفحشاء من المعروف وليست من المنكر، فلا يحاسب مرتكبوها ولا يمنع الداعون اليها والمطالبون بالمجاهرة بها؟!

العلاقة بينهما وثيقة، فهما يحدثـان فى عصر واحد ويأتى إشاعة الفاحشة ونشرها والمجاهرة بها بعد إنفجار هاتين القنبلـتين، وخروج الناس من الحرب فرحين بنجاتهم مقبلين على الحيـاة ناسين ربهم راغبين فى المرح والإستمتاع مندفـعين لهذا كله بقوة، فأدى هـذا إلى سرعـة التـغير الاجـتماعـى والخلقـى، وان كان السـبب الـرئيسـى هو مخططات الدجال واليهود الخبيثة.

والحدثان مـن أمارات الساعة، ويقـعان بين يدى الـساعة الصغرى، وقـد جاء ذكر هما فى القرآن الكريم لانهما حدثان عظيمـان فى تاريخ البشرية، ومتعاقبان أى يعقب أحدهما الآخر مباشرة.

قال تعـالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ (٣٣ - ٤٠/ الرحمن) فقوله تـعالى: مخاطبا الجن والانس ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾ يتضمن أمراً كـونيا وهـو قوله فى حـالة استـطاعتـكم (فانـفذوا) ويتـضمن أيضـا نبأ عـن امر سيحدث فى المستقبل بعد نزول القرآن الكـريم، والمعنى أنه سيكون منكما محاولات للنفاذ من أقطار السماوات والأرض، وهذه الاقطـار لاتحصى اذ هى ارتفاعات متتالية أو مستويات متتالية متعالية من الارتفاعات التى لا يعلم عددها إلا الله تعالى وحده أى أنكم ستحاولـون، وقد قضى الله تعالى قضاء كونـيا أنكم ستحصلون علـى الاستطاعة للنفـاذ من بعض هذه الاقطـار، بدليل قوله تـعالى: ﴿ لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ وهو سلطان الـعلم والتقنـية والصناعة الـتى هى من أمارات السـاعة، ولكن هذا الـسلطان محدود وسـتعجزون، مهـما تقدمتـم فيه، عن الـتعمق فى هـذه الاقطار، إذ يهلـككم شواظ من نار ونحـاس فلا تنتصران، وقد صرح علـماء الفضاء فى ناسا وغـيرها بانه من المستحيل السفـر إلى الفضاء الخارجى البعيد لامتلائه بما أطلـق عليه العلماء الابر النحاسية والشهب فلا يكون نجاحكم إلاَّجـزئيا فيمكنكـم ان تنفذوا من أقطار الأرض

والسماء الدنيا الى ارتفاع قريب، وهو الحادث الآن بما يعرف بالمكوك الفضائى ذهابا وإيابا ومحطة الفضاء الأرضية.

والنفاذ فى أقطار الأرض يكون بالغواصات، والدخول فى أعماقها بالآلات وإستخراج ما فيها من معادن ومياه وبترول وكله بسلطان العلم والتقنية والصناعة وقد بدأ النفاذ من أقطار السماوات بالطيران المروحى الذى تَطَوَّرَ جيلا بعد جيل ليصل فى كل تطور الى ارتفاعات أعلى فأعلى. ثم بالصواريخ التى خرجوا بها من جاذبية الأرض واتخذوا أقمارا صناعية للاتصالات والتجسس والارسال التليفزيونى.

وكذلك نفذوا ببيوت فضائية يعيشون فيها شهورا طويله للبحث العلمى فى الفلك والفيزياء وطب الفضاء وغيره.

وقد أشار رسول الله ﷺ الى رواد الفضاء الذين يخرجون من الأرض إلى أقطار السماء ويعيشون فى هذه المحطات فيأكلون بالسنتهم لان طعامهم عبارة عن معاجين فى أنابيب لتغلب على حالة انعدام الجاذبية، حتى الماء موضوع فى رضاعات الاطفال، لأنه ليس من سبيل للتغلب على انعدام الجاذبيه لادخال الطعام والماء الى أفواههم إلا بالضغط على الانابيب ورضّاعات الاطفال التى بها الماء، لكى يندفع هو والطعام إلى أجوافهم، وليس من طريقة لدفع الطعام إلى البلعوم إلا باستخدام اللسان من غير إستعمال الاسنان، لأن طعامهم معجون لايحتاج إلى مضغ، وإنما يحتاج إلى تلقى الطعام المعجون باللسان ثم دفعه الى البلعوم مع البلع بشدة لعدم وجود جاذبية وليس بالنسبة لهم فوق وتحت كما هو الحال بالنسبة لاهل الأرض، الذين يكون لهم تحت فى اتجاه الأرض التى تجذب اليها كل شئ فينزل، اما فى حالة انعدام الجاذبية فتتساوى جميع الجهات حول رائد الفضاء فالمعوّل فى الاكل بالنسبة له هو اللسان والبلعْ، وهذه طريقة أكل البقر إذ تمد لسانها فتسحب به الطعام وتقذف به على الفور إلى جوفها بدون مضغ لانها بعد ذلك تجتره عجائن وتطحنه فى عملية الاجترار ثم تبلعه.

وهذا ما ذكره رسول الله ﷺ فقال: (لاتقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بالسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها)[1]. فتأمل قوله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى) أى أنه

---

(١) رواه الامام احمد فى مسنده من حديث سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وبرقم.

حدث قريب جدا من الساعة ثم قوله (تخرج قوم) إشارة إلى خروجهم من الغلاف الجوى إلى منطقة إنعدام الجاذبية مما إضطرهم إلى أن يأكلوا بألسنتهم. فهؤلاء هُمْ رجال الفضاء فى المحطات الفضائية وفى المكوك الفضائى.

فالآيات آنفة الذكر من سورة الرحمن تتحدث عن ثلاثة أحداث متتابعة، بدأت الأولى منها مع مطلع القرن العشرين، وهى ما يطلقون عليه غزو الفضاء، إذ لم يبدأ غزو الفضاء برحلة جاجارين رائد الفضاء كما يفهم البعض خطأ، وإنما بدأ بصناعة أول طائرة ترتفع عن الأرض، لان النفاذ من أقطار السماوات تم تدريجيا بتطوير الطيران جيلا بعد جيل حتى الطيران النفاث الذى أدى إلى صناعة الصواريخ وتطورها ليخرجوا بها من منطقة جاذبية الأرض.

ومن ثم جاء قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا.....﴾ ثم جاء بعد ذكر الحدث الثانى الذى تم عام ١٩٤٥ اى بعد بدء الحدث الاول بنصف قرن تقريبا والذى تم بالحدث الأول وهو إلقاء القنبلة الذرية على اليابان لأن القاء هذه القنبلة كان بالطيران، ولولا الطيران ما حدث هذا الحدث الرهيب، وهو ما جاء ذكره فى القرآن الكريم والله تعالى أعلم ﴿فإذا إنشقت السماء فكانت وردة كالدِّهان﴾ وهو إنفجار القنبلة الذرية إما بغرض التجارب النووية التى أجرتها الدول النووية امريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا وغيرها، وإما ما حدث من امريكا لإنزال الهزيمة والإستسلام باليابان فدمرت مدينتى هيروشيما وناجازاكى.

والسماء فى اللغة هى الفضاء ومستويات الارتفاعات فوق الرؤوس ابتداء من سقف المنزل وإنتهاء بطبقة الاوزون التى تعتبر سقفاً لسماء الدنيا وفوقها ينتهى الغلاف الجوى، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [ق] فالسحاب الممطر فى السماء بمعنى أنه فى مستوى من مستويات الارتفاعات المتسامية بعضها فوق بعض، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (آية ٣٢ الأنبياء) وجاء وصفه فى الحديث بأنه (الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف)[1] وهو ما ينطبق تماما على طبقة الاوزون سقف الغلاف

---

(١) الدر المنثور للسيوطى ص ٦ ص ١٨٩ وعزاه للترمذى واحمد عن ابى هريرة والى أبي الشيخ فى العظمة.

الجوى حسب وصف علماء الفيزياء والفلك وعلماء الفضاء، ويعتبر هذا الحديث من الاعجاز العلمى للنبى ﷺ.

وعلى هذا فالفضاء الذى تسير فيه السحب وتطير فيه الطائرات هو سماء او هو جزء من السماء، وليست السماء او الفضاء عدما او فراغاً وانما هى مبنية بناءاً قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (آية ١٢ النبأ) لانه أى الفضاء، عبارة عن مادة غازية او بالاحرى مواد غازية معلومة وذرات ليس بينها فراغ، وإنما هى وسط غازى يسهل على العناصر المادية الكثيفة إختراقها كما يحدث لهذه العناصر مع الماء الا أن النفاذ من الغلاف الجوى بالنسبة للانسان والعناصر المادية أيسر وأسرع من النفاذ من الوسط المائى.

فإذا حدثت خلخلة فى هذا الفضاء الجوى باحتراق العناصر الغازية فى جزء منه فإنه يكون إنشقاقا ولو لثواني أو دقائق كما لو حدثت خلخلة او اختراق فى جدار، فانه يسمى إنشقاقا فيه والغلاف الجوى أو الفضاء القريب هو فى القرآن الكريم السماء، والانفجار الحادث فى الفضاء انشقاق فى سماء قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (آية ١ الأنشقاق) بالانفجار بعامة وبالانفجار الذرى بخاصة. وهذا من أمارات الساعة أى الاحداث العجيبة التى تحدث بين يدى الساعة وأرها صات تدل على ان الآيات العشر على وشك البدء بالزلزال والخسوف الثلاثة.

فأقطار السماء هى حسب المعنى اللغوى سماوات، اى أن مستويات الارتفاعات المتتالية فى العلو كل منها سماء، ألا ترى ان القرآن الكريم أطلق على سقف الحجرة أو المنزل سماء قال تعالى ﴿من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبنَّ كيده ما يغيظ﴾ [١٥/ الحج]. أى فليمدد بحبل إلى سقف داره ثم ليشنق نفسه ولينظر هل أذهب بكيده هذا ما يغيظه؟!

وأطلق على القطر الذى تسير فيه السحب سماءاً ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ (٩/ ق) وأطلق على طبقه الاوزون الواقية للارض باذن ربها من الأشعة الكونية النوويه سماءاً ايضا ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣٢/ الانبياء). وهو الذي قال فيه النبى ﷺ (إنه الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف)[١].

(١) سبق تخريجه.

وأطلق على ما فوقها من الفضاء الذى تسبح فيه النيازك والأجسام الصغيرة التى تصبح شهبا عند دخولها الغلاف الجوى سماء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ (٥/ الملك) ومدارات الكواكب سماء ايضا. والمجرات الممتلئة بالنجوم والشموس سماء أيضا. وهى السماوات العلا التى ورد ذكرها فى سورة طه ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ (٤/ طه).

والذى نخلص اليه من هذا كله هو أن المستوى الذى ارتقى اليه الاثر الاحتراقى الرهيب لانفجار القنبلة الذرية فوق مدينتى اليابان المنكوبتيْن هو سماء لانه مستوى سير السحب أو أعلى.

فماذا حدث نتيجة لهذا الانفجار الرهيب؟!.

قلنا ان الفضاء أو السماء ملئ بعناصر غازية منها الاكسوچين والإيدروچين وغيرهما من الغازات، وهى ذرات متراصةٌ بعضها بجوار بعض، فهذا الغلاف الجوى بناء قائم صحيح ، وان كان متحركا وليس جامدًا ويسمح لغيره من الاجسام الاكثر كثافة بالنفاذ من خلاله، فإذا إنهدم جزء من هذا البناء فجأة فى أى مستوى من مستويات إرتفاعه وحدثت خلخلة فى هذا الجزء، فإنه يكون قد إنشق كما إنفلق الماء الذى سار فيه موسى عليه السلام وقومه، الا أن الشق فى الماء كان من الأرض إلى أعلى، فكان فلقا، اى ان الماء إنفلق، ولكن لان ما حدث بالقنبلة الذرية كان فى موضع داخل الغلاف اى لم يحدث من الأرض إلى نهاية السماء، وإنما من الأرض إلى أحد مستويات الإرتفاعات، ومن ثم فهو شق وليس فلقا، اذ لم ينفذ إلى نهاية الغلاف الجوى، لقد احترقت كل الغازات الموجودة فى هذا الجزء وصارت نارًا وتخلخل البناء الذرى لهذا الجزء فى اللحظات الأولى للانفجار فصعد الاثر من الاسفل متخذا شكل الوردة ولونها اذ يكون عنقها وهو الجزء السفلى رفيعا أسودًا، ويكون رأسها وهو الجزء العلوى كرويا ورديا متضخما، متخذا شكل القبة المتنامية الممتدة من بعض أطرافها فتصبح فى شكل الوردة ولونها أيضًا. وهذا هو بالضبط شكل انفجار

القنبلة الذرية الذى رأيناه كثيرا على شاشة التليفزيون وهذا ما قرره المفسرون قديما بمقتضى اللغة.

[أخرج إبن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿فإذا إنشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ يقول: حمراء كالدهان قال هو الأديم الأحمر][1].

وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن عطاء (فكانت وردة كالدهان) قال: لون السماء كلون دهن الورد فى الصفرة) فهى بين الصفرة والحمرة إذن، وهو نفس اللون الذى ظهرت به قبة الانفجار النووى وهذه القبة فى محيطها العلوى تعرجات تجعلها فى شكل الوردة.

والسياق يدل على أنه إذا حدث هذا الحدث (فإذا إنشقت....) وهذا فعل الشرط، أما جوابه فهو (فيومئذ لايسؤل عن ذنبه إنس ولاجان) وهذا هو الحدث الثالث الذى حدث بعد الحدث الثانى، وهو إنشقاق السماء بالقنبلة النووية إذ تحولت أوربا وأمريكا وبسرعة نحو الانحلال الجنسى وإباحة الزنا ورفع العقوبات مع بدء النصف الثانى من القرن العشرين. فأصبح المنكر معروفا معترفا به من المجتمع، وهذا معنى «لايسؤل» عن ذنبه أى عن نوع واحد من الذنوب وهو الفحشاء حتى أصبحت تمارس علنا فى النوادى والاماكن العامة والحدائق.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿عن ذنبه﴾ وليس ﴿عن ذنوبه﴾ إذ هو نوع واحد من الذنوب وهو ما يخص الشهوات الجنسية، وقوله ﴿إنس ولاجان﴾ يفيد التعميم أيضا فى عالم الجن وأنهم إستحلوا الزنا كما حدث فى عالم الانس، كما تدل على هذا الآية الكريمة. وفى يوم الدين والحساب يسؤل المجرمون عن أعظم ذنوبهم وهوالشرك كما نص على هذا القرآن الكريم فى أكثر من موضع قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ

---

(١) السيوطى/ الدر المنثور/ ٦/ ١٦٠.

يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)﴾ (٦٢ – ٦٦/ القصص) فهم يسؤلون عن أعظم ذنوبهم وهو الشرك، وموقفهم من دعوة الرسل وسبب رفضهم لها، فكيف لايسؤل عن ذنبه يوم الحساب اذن انس ولاجان؟ وهى صياغة تفيد النفي الكلي للحساب فهى اذن صياغة تتعارض مع كوْن هذا اليوم يوم الحساب ويوم الدين، فلزم ان تكون آية سورة الرحمن النافية بالكلية لحساب الانس والجن جميعا فى الدنيا وليس يوم الحساب، وعن ذنب واحد وليس عن كل الذنوب وفي هذا المعني يفهم البعض قوله تعالي: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨/ القصص) والنفى هنا جزئى اذ يخص المجرمين وليس كل الانس والجن ولكن عن كل الذوب، فهو ينفى سؤل المجرمين دون غيرهم، ولايسؤلون عن كل ذنوبهم، وقد فسرها البعض بانها فى الآخرة إذ يكتفى باثبات الشرك عليهم ومن ثم يدخلون جهنم خالدين فيها دون أن يسؤلوا عن الذنوب التى دون الشرك.

أما سياق هذه الآيات فهو يتحدث عن المجرمين فى الدنيا وما ينزل عليهم من عذاب الاستئصال مثل قارون الذى قال (انما أوتيته على علم عندى) ذاهبا فى الكفر الى أبعد مدى ومن ثم خسف الله به وبداره الأرض، ومن ثم يمكن أن نفهم النفى الوارد عن سؤال المجرمين عن ذنوبهم فى الدنيا وليس فى الآخرة، إذ يفعل أكابر الناس الحكام والاغنياء وذوى الجاه ما يريدون من كبائر وآثام عظيمة: رشوه ونهب وسطو وقتل وزنى دون ان يحاسبهم أحد وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ (انما اهلك الامم قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)(١). وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ لأنَّهم الطبقة العليا في المجتمع غيْر الإسلامي لا تُطبق عليهم القوانين ولا تنفذ فيهم العقوبات إن ذنوْا أو سرقوا أو اعتدوْا على الضعفاء حتى بالقتل.

فإذا وصل المجتمع الجاهلي إلى الحد الذى لايسؤل فيه اهل الطبقة الحاكمة الغنية العليا وهم المجرمون عما يفعلون من ذنوب، ولايحاكمون، فيصبحوا فوق القانون، فإن هذه تكون علامة اجتماعية خلقية سياسية على قرب مجئ الهلاك.

---

(١) صحيح البخارى / ح ٣٣٣٧/ ك.

ومن ثم يكون معنى قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ ﴾ (٣٩/ الرحمن) أي العصر أو الزمن الذرى الذي يفجر فيه الإنسان القنبلة الذرية للتجربة ويفجرها لتدمير مدينتي اليابان، وربما والله تعالى أعلم ستقذف غيرهما بالنووى ويقتل من فيهما، فإنه سيصبح المنكر الذى هو الزنى معروفا ومباحا ولايسؤل عن إرتكابه الناس من كل الطبقات من الانس والجن وهذا هو تخطيط خبثاء صهيون بقيادة الدجال للاكثار من أبناء الزنى لانهم أكثر أتباعه هم واليهود كما دلت على هذا الأخبار الصحيحة عن النبى ﷺ وهذا هو التاريخ القريب يثبت ذلك، اذ كان الزنى محرما وله عقوباته فى جميع بلدان اوربا وأمريكا ثم أصبح ابتداء من الخمسينات من القرن العشرين مباحا ومحميا بقوة القانون وهذا هو قول السيدة عائشة (.... فإذا استفحا الزنا) أى إنتشر وشاع وصار معروفا وليس منكرا فإن الله تعالى يغار فى سمائه ويأمر - إن لم يتوبوا ويرجعوا - بزلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى.

كذلك ﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ على المستوى الدولى اذ جعلوا مجلسا يعاقب الدول الصغيرة الضعيفة ويتخذ ضدها القرارات ويحشد الجيوش الهائلة من كل صوب وحدب لتنفيذ هذه القرارات بينما عشرات القرارات ضد إسرائيل هى حبر على ورق لا قيمة لها، فالكيل بمكيالين ليس بالنسبة للأقوياء والضعفاء فى المجتمع الواحد، وانما هو على مستوى البشرية حسب النظام العالمى الجديد الذى صنعه الدجال لقومه اليهود الذين يحكم بهم الأرض ويحكمون الأرض هم ايضا بقيادته.

ومن ثم فقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ فى الدنيا عندما يصل الشر إلى اقصى مدى، ومن ثم يأتى بعد ذلك الخسف والقذف والرجفة والعذاب كما حدث لقارون اذ ورد قوله تعالى هذا تعقيبا على فعل قارون وكفره وتبجحه بالكفر.

والآن علا المتجبرون المجرمون فى الأرض وارتكبوا كل الجرائم، فإستحلال الزنا والربا والقتل الجماعى «الهرج» باسلحة الدمار الشامل، ومن ثم استحقوا عذاب الاستئصال بزلزال الأرض العظيم والقيامة الصغرى، إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى خالقهم جلا وعلا.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟. آمين.



الفصل الخامس
أجهـــزة الاتـــصـــال الحديثة وأجهـــزة الاعـــلام المقـــروءة والمسموعـــة والمرئيـة فـــى الكـــتـــاب والســـنة

(٤٦) توسيع دائرة السمع والبصر وعمل العقل بالأجهزة الحديثة

قد منّ الله تبارك وتعـالى على الإنسان بنعم كثيرة لاتعـد ولاتُحْصَى، ومن أعظمها السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيـــهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ۝﴾ (٧ - ٩/ السجدة).

وليست المخترعات الحديثة الكثيـرة المتنوعة التى ظهرت فى العصر الحديث بفعل التقدم العلمى والتقنى إلاّ مقويات وموسعات لمجال الاستطاعة البشرية. بمعنى أن هذه المختـرعات لاتُضيف إسـتطاعة جـديدة للانسان، ولاتُحدث له ملكـة جديدة لم تكن عنده.

فأجهـزة الإتصال السمعى الحـديثة: الهاتف السلكى وأجهزة الاتـصال اللاسلكية كالبرق والراديو وجهاز التسجـيل والتلكس والفاكس وهاتف السيارة ثم المحمول ثم بعـد ذلك الجـيل المتـوقع من أجهـزة الإتصـال وهو الهـواتف المحـمـولة التى يمكن الاتصـال بهـا من اى مكان إلى أى مكان فى المعـمـورة عن طريق شبكة مـتكاملة من الاقمار الصناعـية تغطى أرجاء الارض كلها. هذا كله ليس الا تقوية وتوسـعة السمع البشرى.

فإذا أصـبح بوسع أى إنسان أن يتـصل بآخر فى أى مكان ومن أى مكـان فهل فى هذا اضافة استطاعة أو ملكة أو قوة جديدة لم تكن عنده؟

بالقطع لا. وانما كل هذا توسيع متدرج جيلا بعد جيل فى السمع البشرى، إذ بعد أن كان يسمع الإنسان الاصوات التى حوله والصادرة على بعد امتار أو عشرات الامتار اصبح يسمع على بعد عشرات الكيلو مترات ثم المئات ثم الآلاف، وهكذا وليس هذا إلاّ توسيع دائرة السمع البشرى، ولو تصورنا الإنسان بدون سمع لما اقدم على اكتشاف واختراع هذه الاجهزة أصلا.

وكذلك الحال بالنسبة للأجهزة البصرية: السينما والتليفزيون والفيديو، والتى تجمع بين المخترعات البصريه والسمعية معا هى ايضا توسيع لدائرة الإبصار البشرى، ويضاف اليها التلسكوب والميكروسكوب وبطبيعة الحال آلات التصوير بجميع اجيالها المتطورة.

فلولا أن الله خلق الانسان بصيرا لما اكتشف ولما اخترع الانسان هذه الأجهزة البصرية.

ويكمل هذين النوعيّن من الاجهزة السمعية والبصرية أجهزة الكمبيوتر وهى توسيع لمجال عمل الذاكرة البشرية والملكة الحاسبة عنده.

وكما يأتى السمع ثم البصر ثم الفؤاد دائما بهذا الترتيب عند ذكر هذه النعم فى القرآن الكريم فإن اكتشاف الانسان لإجهزة السمع جاء قبل أجهزه البصر ثم أجهزة الحاسبات الآلية.

ثم وصل الإنسان الى دمج هذه الاجهزة مع بعضها البعض من ناحية والاستفادة بها فى مجالات وسائل النقل والسفر حتى فى مجال (غزو الفضاء) النفاذ من اقطار السماوات والأرض وفى مجالات التربية والتعليم والطب العلاجى وغيره من مجالات الحياة.

فأهم ما قدمته الأجهزة السمعية والبصرية والحاسبات الألكترونية هو توسيع دائرة الإبصار البشرى كما حدث فى مجال السمع بحيث يرى البعيد الغائب ويسمعه كما لو كان حاضراً أو ليس غائبا. والغائب عن الانسان ولو كان فى نفس الزمن فهو من الغيب.

وفى هذا العصر يرى الانسان الحادث وقت وقوعه أو بعده بقليل صوتا وصورة ومعنى فلم يصبح البعيد غيبا بل صار حاضرا.

فهل أخبر القرآن الكريم عن هذا الامر الخطير فى حياة البشر، وقد أخبرنا الله تعالى أنه ما فَرَّط فى الكتاب من شئ،وان به تبيانا لكل شئ؟ نعم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)﴾ (٥٢ - ٥٣ سبأ) وسنتعرض لتأويل هذه الآيات الكريمة من خلال السياق بعد ذلك فى موضع آخر بإذن الله تعالى.

ولكنا هنا نَتَدَبّر قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣/ سبأ) هؤلاء الكفار يقذفون بالغيب من مكان بعيد صوتًا أو صورةً أو بهما معا، أليس هذا هو ارسال الأخبار والأحداث بالصوت عن طريق الأجهزة السمعية التى آخرها المحمول؟ بلى.

وأليس هذا هو إرسال الأخبار والأنباء والاحداث صوتا وصورة عن طريق الاقمار الصناعية من اقصى الأرض إلى اقصى الأرض أى من مكان بعيد؟ بلى.

(٤٧) الاختراعات السمعية البصرية الحديثة حولت الغيب البعيد الى حا ضر قريب:-

هذه الآية الكريمة هى الأساس اذن فى إثبات أجهزة الإتصال السمعية والبصرية والالكترونية (أى بالكمبيوتر وشبكة الانترنيت) ولرسول الله ﷺ أحاديث تخبر وتتحدث عن بعض هذه الأجهزة التى يتم بها قذف الغيب، اى ارساله من مكان بعيد، ذلك لأن الموجات الخارجة من أجهزة الارسال الاذاعية والتليفزيونية اقرب ان تكون مقذوفة من أن تكون مرسلة من أعلى، فى حين ان الذى يأتى من نفس المستوى فيكون بالرمى وليس بالقذف، قال تعالى عن استخدام السهام والحراب: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١٧ / الانفال) وقال رسول الله ﷺ (الا إن القوة الرمْى) أما القذف فى الآية حسب اللغة فيشير إلى استخدام الاقمار الصناعية، وهى فى مكان بعيد يرسلون اليها الإنباء فتقذفها صوتا وصورة، لأن الارسال التليفزيونى الأرضى لايكون من مكان بعيد، وإنما يلزم لكل منطقة أو اقليم مركز إرسال لمسافة لا تَتَعدَّىَ

الأفاق المحيطة به كـما هو معلوم، فمن القنوات الأرضية يكون ارسـالا أو رميا ولكن من الاقمار الصناعية والمحطات الفضائية يكون قـذفا. ومعلوم أن هذه التقنية تستخدم أساسا للتجسس العسكرى وللتصـوير الجوى لاغراض شتى، وكل خبر غائب بسبب البعد المكانى فهو غيب وهذه الاختراعات جعلته حاضرا.

يُفَصِّل هذا ما ورد فى السنة من آثار أثبت العلمـاء صحتهـا، تصف هذه الاجهزة السمعـية المنتشرة بين ايدى الناس على اخـتلاف مستوياتهم المعـيشية والثقـافية وعلى مستوى جميع الشعوب بلا استثناء، من هذه الآثار:

أولا: الهـاتف والبـرق والتلكـس والفـاكس والبـريد الالكتـرونى بالكمبيوتر والانترنت:

١ - مـا رواه النسائـى من حديث عـمـرو بن تغلب قـال: قال رسـول الله ﷺ (ان من أشراط الساعة أن يفـشوا المال ويكثر، وتفشو التجـارة، ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بنى فلان)[1] وقد فسر الشيخ صديق الغمارى رحمـه الله هذه العبارة الأخـيرة فى الحديث بأنه اثـناء عقد الصـفقة يتـوقف حتى يتشاور مع شريكة أو شخص آخر غير موجـود معهم، لانه فى قبيلته أو فى مدينته التى يعـيش فيـها فى مكان بعـيد عن مكان الصـفقـة ويلزم من هذا وجود وسـيلة اتصـال يسـتأذنه ويكلـمه من خـلالهـا. ففـى الحديث إشـارة إلى الهـاتف. أو إلى الفاكس أو إلى التلكس.

وهذا تعبير نبوى كريم يتسم بالبلاغة اذ قال حتى (أستأمر تاجر بنى فلان) ولـم يقل (أستـأمر فـلان) اذاً الحكمة النبوية اقـتضت أن يخـبر الرسـول ﷺ أهل زمان هذا الحدث وهو زماننا بما عندهم من وسائل إتصال بتعبير يفهمه جيل الصحابة، فذكر هذا الاسلوب البـيانى المعجـز الذى يلزم منه بالضـرورة وجود وسيلـة اتصال عن بعد، يسـتأذن بها شريكه فى القـبيلة او فى المدينة التى ليسـوا متواجدين فيـها أثناء

(١) عن مطابقة الاختراعات العـصرية لما أخبر به سيد البريه/ للشيخ محمـد صديق الغمارى ص طبعة الدار البيضاء. بدون تاريخ.

عقد الصفقة، يؤكد هذا المعنى أنه لم يقل (لا: حتى أذهب لاستأذن تاجر بنى فلان) وانما قال (حتى استاذن) اى وهو فى نفس الجلسة دون ان يتحرك فدل هذا على وجود اتصال عن بعد فالتعبير على هذا النحو وبهذه الكلمات الدقيقة مقصود للنبى ﷺ ومراده الإشارة إلى أنه يستأذن فى الحال من رجل فى بلد آخر.

وهذا من تفصيل قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣ سبأ) ومن تطبيقاته.

٢ - ومن الأجهزة السمعية أيضا لاقط الصوت، وأجهزة التسجيل وقد أشار اليها رسول الله ﷺ باعتبارها من أمارات الساعة فيما رواه أحمد عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إنها أمارة من أمارات بين يدىْ الساعة قد أو شك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[١].

فإذا تذكرنا قوله ﷺ (ان الله رفع لى الدنيا فأنا أنظر اليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه)[٢] علمنا أن قوله ﷺ عن الشىء الذى رآه يحدث الرجل ما أحدثه اهله من بعده وقد شبهه ﷺ بالنعلين والسوط هو الهاتف الذى يتكون من قطعتين توضع إحداهما فوق الأخرى كما يضع المصلى فى المسجد نعله فوق الآخر ويمتد من احداهما سلك شبيه بالسوط، وعندما يصل الرجل الى مكتبه أو إلى بلد آخر سافر إليه، فإنه يتصل باهله ليستعلم منهم أخبارهم من بعده، اى من بعد مفارقته لهم. فالصياغة تدل على أنه الهاتف لانه يعلم أخبار أهله قبل ان يرجع اليهم بدليل قوله: ﴿..... فلا يرجع حتى يحدثه...﴾.

وروى الترمذى ايضا قوله ﷺ (والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس، وحتى يكلم الرجل عزبة سوطه، وشراك نعله ويحدثه فخذه بما أحدث أهله من بعده)[٣].

وتكليم الرجل لعزبة السوط اشارة (للميكْ) لاقط الصوت الذى هو عادة ما يكون عبارة عن جسم معدنى شبه كروى يمتد منه سلك فهو أشبه ما يكون بعزبة

---

(١) مسند الإمام أحمد/ ح ٧٩٧٧.

(٢) رواه الطبرانى/ عن «إتحاق الجماعة» للشيخ التويجرى جـ١ ص٦، ص١٦.

(٣) رواه الأمام احمد والترمذى والحاكم فى المستدرك وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح عن اتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ١ ص٢٢٢

السوط وهى كتلة الشعر المكثفة في ذيل البقرة الذى يجعلونه سوطا بعد تجفيفه ودبغه، وشراك نعله اشارة إلى سماعة الهاتف، أما قوله: ﴿ويخبره فخذه بما أحدث اهله بعده﴾ فهو ايضا اشاره إلى الهاتف المحمول الموضوع فى جيب السروال (البنطلون) او المعلق فوق فخذه) وهذا ما توصى به الشركات المنتجة والاطباء ابعاداً لخطر الذبذبات الصادرة منه عن الجسم إذ ثبت أنها تسبب أمراضا خبيثة.

٣ - (الراديو) الإرسال الاذاعى بعامة واذاعة القرآن الكريم بخاصة دليل على قرب حدوث الآيات ونزول العذاب الزلزال والخسوف الثلاثة، ذلك أن الراديو فى اول اختراعه كان كبير الحجم وكان يوضع على رَفٍّ مرتفع فى المقاهى والناس يجلسون تحته يسمعون الاغانى والموسيقى المسجلة على اسطوانات (الجرامافون) وكانت الاذاعات فى البلاد الاسلامية تذيع الاغانى والأخبار والقرآن الكريم والأحاديث الدينية.

وفى اوائل الستينات تخصصت اذاعات مستقلة لاذاعة القرآن الكريم فى مصر ثم السعودية ثم الكويت وغيرها.

وتطورت بعد ذلك كما هو معلوم الأجهزة السمعية حتى انتشرت اجهزة التسجيل ذات السماعات المتعددة الفتحة (الاستريو) التى تستعمل فى الحفلات الراقصة الماجنة المختلطة وفيها روى الإمام احمد وغيره بسنده عن مالك الاشعرى قال:

قال رسول الله ﷺ (لَيَشْرَبَنَّ ناس من امتى الخمر يسمونها بغير اسمها يُضْرَبُ على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير)(١). فضرب المعازف على الرؤوس لايكون إلا من سماعات معلقة فى الاسقف وعلى الجدران فى الملاهى الليلية والسينما والمسرح.

(٤٨) إذاعة القرآن الكريم دليل على أننا فى آخر الزمان حسب ما ورد فى السنة:

أما إذاعة القرآن الكريم فقد ورد فيها خبر صريح رواه ابو نعيم فى الحلية والدارمى مرفوعا (ان الله تعالى قال: ابث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير، فإذا فعلتُ ذلك بهم أخذتهم بحقى

(١) رواه الامام احمد وابن ماجة وابن ابى شيبة وابن حبّان فى صحيحة والطبرانى والبيهقى ورواه ابو داود فى سننه عن «اتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ٢ ص ٢٤١.

عليهم)[1]. ولفظ «أبث» هو الذى يستخدمه الاعلاميون للدلالة على عملهم الاذاعى والتليفزيونى لان أعمالهم تتحول إلى مبثوثات فى الهواء و«بث العلم» لاينطبق الا على اذاعات القرآن الكريم، وما يتخلل الاذاعات، الأخرى من برامج دينية، لماذا؟.

لأن العلم الذى يتلقاه الجميع بالبث: الصغير والكبير والحر والعبد والرجل والمرأة، هو إذاعة القرآن الكريم بالضرورة، إذ أن تعبير الصغير والكبير يفيد الفقير وضعيف الحال والغنى وذا الجاه والسلطان، ويدخل فى هذه الاصناف المتعلم وغير المتعلم والقارئ وغير القارئ، هذا العلم لايكون ولايتم لهؤلاء جميعا إلا بالإستماع، ويمنع ان يكون هذا فى مدرسة أو بالتلقى عن الكتب والكتابة وجود العبد معهم كالحر سواء بسواء والمرأة كالرجل فإذا ثبت ان التلقى يكون سمعاً وأن الالقاء يكون بثا، تأكد لنا أن الوسيلة هى الاذاعة بعامة وأن الحديث يخص اذاعات القرآن الكريم بخاصة. ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى: ﴿فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم﴾ أى إذا بثثت العلم حتى أصبح كالهواء فى متناول الجميع بلا إستثناء لم يعد لاحد بعد ذلك حجة على الله بالجهل وبحجب النور الالهى المنزل على رسول الله عز وجل قرآنا وسنة عنه، ومن ثم استحقوا العذاب فنزل عليهم بما لله تعالى من حق له عليهم.

وقوله تعالى: ﴿أبث﴾ أى أن هذا الأمر قدره سبحانه بارادته وانفذه لكى يقيم الحجة على الناس.

ومن ثم يدل إنتشار هذه الإذاعات الاسلامية على القرب الزمنى للقيامة الصغرى لأن الله تعالى أوعد الناس بحقه عليهم يأخذهم إن بالزلزال وإن بالساعة الصغرى.

كذلك يدل هذا على أننا بالقطع فى آخر الزمان لورود هذا بمتن الحديث بقوله سبحانه ﴿ابث العلم فى آخر الزمان﴾. وهذا لايكون فى جيل الأشرار الذين لايقال فى الأرض فى زمنهم الله ومن ثم لزم من هذا أن أخذه سبحانه للناس بعد بث العلم هو فى القيامة الصغرى بالنفخة الأولى أى بالعذاب الذى يقابل الساعة الوسطى.

---

(١) رواه الدارمى مرفوعا وابو نعيم فى الحلية.

يؤكد أن هذا الحديث القدسى يخص إذاعات القرآن الكريم حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: (إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك قائل ان يقول: ماللناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ماهم بمتبعيّ حتى ابتدع لهم غيره فاياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة)(١) وهذا الحديث الذى لم يرفعه معاذ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ عند العلماء فى حكم المرفوع لانه ينّبىء عن غيب لامجال للرأى والإجتهاد فيه، والملاحظ عليه انه تحقق فى زماننا هذا بل إنه قد تحقق فى خلال ثلاثين عاما مضت، فهو يتضمن عدة احداث متعاصرة خلال هذه العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الميلادى وهى:-

أ - كثرة المال وقد حدث بصفة خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول عام ١٩٧٤م.

ب - انتشار إذاعات القرآن الكريم وزيادة إرسالها فى البلاد العربية والاسلامية وقد أشار حديث معاذ إليها بقوله ﴿ويفتح فيها القرآن﴾ وهو نفس التعبير المستخدم عند العرب عند تشغيل الراديو على اذاعة من الاذاعات حتى يقول القائل (افتح الراديو على القرآن) ولا يقول القائل (ويفتح فيها القرآن) بمعنى: ويفتح المصحف للقراءة، فهذا لا يكون حسب سياق الحديث لقوله (حتى يأخذه: المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والصبى والحر) وهذا الاخذ لايكون من الجميع مع إختلاف أعمارهم ومستوياتهم، لأن هذا التعبير يفيد القارئ فيهم وغير القارئ فهو أخذٌ بالاستماع وليس بالقراءة، يؤكد هذا ثانيا وبما لايدع مجالا للشك ليكون الحديث منزلا على إذاعة القرآن الكريم قطعا، أن هؤلاء جميعا يأخذون القرآن من المقرئ وليس من المصحف بدليل قوله بعد هذا (ما للناس لايتبعونى وقد قرأت القرآن؟) إذن الناس يأخذونه من قارئ يحرص على أن يستمع إليه أكبر عدد من الناس اكثر من غيره وفى هذا إشاره الى طلب بعض المقرئين للشهرة.

---

(١) رواه عبد الرزاق فى مصنفة وابو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وهذا الحديث حكمه حكم المرفوع لأنه إنباء عن غيب.

جـ - قوله بعد هذا (ما هم بمتبعيّ حتى أبتدع لهم غيره) وفي هذا إشارة واضحة إلى مغالاة بعض المقرئين في التغني بالقرآن طلبا لمديح المستمعين وللشهرة ولجلب إعجابهم، فيقع في البدعة الأمر الذى جعل معاذ رضى الله عنه يحذر من هذا بقوله (فإياكم وما أبتدع، فإن ما ابتدع ضلالة) وهذا هو الكائن الآن من المقرئين طلبا للشهرة، ومعنى البدعة في القراءة مخالفة قواعد التجويد والتلاوة وترك الالتزام بأحكامهما ويلجأ إلى الابتداع بتلحين الآيات والمغالاة في التطريب. كأنه مطرب وليس مقرئا وهذا الحديث يؤكد صحة حديث البث وحديث البث يؤكده أى أن كل منهما يقوى الآخر سنداً. ويجعل تفسيرهما باذاعة القرآن الكريم قطعيا.

لقد أنفذ الله تعالى مشيئته بإقامة هذه الإذاعات القرآنية حسب سنته سبحانه في الابتلاء اذ تقتضى هذه السنة أن يكون أمام الانسان لصحة الاختيار النجدان: نجد الخير ونجد الشر، وأن يكونا متماثلين واضحين فلما إستولت الاغاني والمعازف ودعوات الباطل على اكثر أجهزه الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية جعل الله تعالى - لتيسير القرآن للذكر - اذاعات القرآن الكريم وبعضها يستمر ارساله بلا توقف ليلا ونهاراً مثل اذاعة القرآن الكريم المصرية، فيكون الحق ميسرا بقدر تيسير الباطل. ولا يكون للشيطان منبراً للإغواء إلا ويكون لاهل الحق منبرا مثله يعادله وكما يمكن للكبير والصغير والفقير والغنى والمتعلم والأمى ان يحصل على المعازف والغناء واللهو بسهولة ويسر فإن هؤلاء جميعا يستطيعون ان يحصلوا على الحكمة والخبرو والنور والهدى المحمدى بنفس السهوله واليسر، بل ومن نفس الجهاز، فقط ما عليه إلا ان يحرك مؤشر المحطات بضع سنتيمترات حتى ينتقل من ذاك إلى هذا، وبهذا قامت الحجة ومن ثم كان هذا البث مقدمة لنزول العذاب في الحديث القدسى (... أخذتهم بحقى عليهم). أى أن الإذاعات بعامة وإذاعة القرآن الكريم بخاصة أمارة من الأمارات الدالة على قرب نزول العذاب.

د - ومن الاجهزة السمعية التى دخلت حياة الناس حديثا وإنتشرت فى المساجد والمدارس والجامعات ودور اللهو والحفلات ووسائل المواصلات وحتى المعدات الحربية مكبرات الصوت التى أتاحت توسيع قاعات الدرس وتطويل المنابر وتوسيع المساجد بعامة وتوسيع الحرمين الشريفين بصفة خاصة حتى يخطب الخطيب فى جمع يربو على مليونىْ مصلى ويسمعونه جميعا سواء فى المسجد النبوى أو فى المسجد الحرام ونظراً لأن استخدام الميكرفون أصبح ظاهرة معاصرة نراها ونستخدمها على الدوام ومن ثم قال ﷺ (.... وحتى يكلم الرجل عَزَبَة سوطه...) كما وضحنا من قبل تشبيه الميك أو لاقط الصوت بكتلة الشعر، فالحديث الشريف يتحدث عن ظاهرة شائعة فى عصر الزلزال والقيامة الصغرى.

(٤٩) التليفزيون والفيديو وإرسال الأقمار الصناعية واستخداماتها جميعا فى الفتن.

أخرج البخارى فى كتاب الحج باب أطام المدينة عن أسامة بن زيد «أشرف رسول الله ﷺ على أطم من أطام المدينة فقال: هل ترونّ ما أرى؟ إنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر»[١].

والأطم هو البناء المرتفع الذى يشرف من يقف فوقه على ما حوله وقد وقف ﷺ ونظر حوله وقال (هل ترون ما أرى؟) وهذا سؤال تقريرى يفيد النفى، أى أنهم لايرون ما يراه ﷺ بدليل قوله بعد هذا (إنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر) والقطر هى رخات المطر تقع على البيوت وخلالها من السماء، اذن كان يرى رسول الله ﷺ من هذا المكان المشرف اسطح المنازل وأراه الله تعالى وأجلى له الفتن النازلة من أعلى على الاسطح كنزول رخات المطر.

وهو اقرب تشبيه للموجات الكهرومغناطيسية النازلة من الارسال الفضائى من الاقمار الصناعية فى السماء على المستقبلات الهوائية فوق الاسطح المعروفة الآن (بالدِّش).

---

(١) صحيح البخارى ك الحج ب أحكام المدينة (٣/ ٢٨).

وروى ابن ابى شيبة عن حذيفة انه قال (ليوشكنّ أن يصب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافى قيل: وما الفيافى يا أبا عبد الله؟. قال: الارض القفر).

وهذا هو حال الإرسال الفضائى يعم مساحات شاسعة من الأرض. ومن الممكن أن يعم الأرض كلها بنظام متعدد من الأقمار فيشمل الارسال البحار والمحيطات والقفار اذ يأتى الارسال من ارتفاع شاهق فيغطى مساحة ضخمة من الأرض سواء العامر منها والخراب. والملاحظ أيضا فى حديث حذيفة رضى الله عنه استخدام كلمة الشر بدلاً من الفتنة، لان الفتنة يمكن ان تكون بالشر كما يمكن ان تكون بالخير قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥ الانبياء) فتكون بمعنى الاختبار اما هذا الذى يأتى من هذه الاقمار فهو شر محض لاخير فيه، ذلك هو الارسال الفاضح الذى ترسله المحطات الدجّالية الصهيونية بأموال اليهود ومخططاتهم الخبيثة وعلى رأسها القناه الاسرائيلية وللاسف تركيا وفرنسا وامريكا وغيرهم من بلاد العالم المشرك الملحد والذين يعملون على تدمير فطرة الانسان والقضاء على كل خير فيها وإطفاء ما بقى فيها من بصيص من نور خافت وليس لهذا التعبير من تفسير إلاَّ ارسال القنوات الفضائية الفاضح لانه لا معنى لارسال الشر على الفيافى القفار التى ليس بها بشر يستقبل هذا الشر الا أن يكون هذا بمقتضى طبيعة الإرسال والبث اذ لكى يُوصل الارسال إلى الاقاليم المأهولة بالناس حول الفيافى لابد ان ينزل الارسال على الفيافى التى فى وسطها، وهذا هو الواقع الآن الذى ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨/ القصص) وايضا ينطبق على هؤلاء قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩/ الرحمن).

وهذا الشر هو ادخال النساء العاريات على الرجال فى بيوتهم وإدخال الرجال العراة على النساء بيوتهن، قد يقول القائل: انها صور، مجرد صور قلنا: نعم ولكنها صور حية نابضة متحركة تمارس غواية الانسان بالفحشاء او الفحشاء نفسها، فهل ثم شئ أشر من هذا فى تاريخ البشر؟ هذا عن الدش، وقد يقول قائل: هذه الفتنة لم تعم

كل بيوت الامة، وهـذا حتى ايامنا هذه صحيح، ولكن الم يدخل التليـفزيون كل بيت من بيـوت الامة؟ بـلى، ولكن حتى الـقنوات الوطنيـة والمحلية لم يخـل ارسالهـا من الفتنة والشـر بالرغم من أنها لاترسل فـضائح جنسيـة، ولكنها ترسل ايضا مـا يخالف الشرع من صور لنساء مـتبرجات وراقصات نصْف عاريات وقـبلات وغير ذلك هذا عدا الموضـوعات الدراميـة الهادمة لقـيم الخيرَ والمـدمرة لأركان الايمـان فى النفوس والغارسة لقيم الشـر، ولكن يظل شر هذه الفتنة البارز هو إدخال الحـريم البيوت وقد صرح بهذا حديث رسول الله ﷺ عن أخطر الاحداث التى بيننا وبين الروم بعد موت النبى ﷺ وحتى قيام السـاعة وواحدة منها هو التليفزيون باعتبـاره اختراع غربى أوربى اى رومى بلغـة الحديث روى الامام احـمد بسنده الى (مـعاذ بن جـبل رضى الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ : ست من اشراط الساعة: موتى، وفـتح بيت المقدس، وموت يأخـذ فى الناس كقـعاص الغـنم، وفتنة يدخل حـريمهـا بيت كل مـسلمٍ، وأن يعطى الرجل الف دينار فيسـخطها، وأن يغدر الروم فيسيـرون بثمانين بندًا تحت كل بند إثنا عشر الفا)[1] وروى عن عوف بن مـالك رضى الله عنه بنحوه. وما يخص مـوضوعنا من هذه الست الرابعـة (وفـتنة يدخل حريـمهـا بيت كل مـسلم) وهو تعبيـر عجـز السـابقـون بلا شك عن فـهـمـه، وقـد أتى تاويله فى زمن الامـارات والـعـجـائب بالتليـفزيون، ولـيس له معنى آخـر، والتليـفزيون الآن فى بـيت كل مسلم بلا جـدال. وملحقـات التليفزيون كالفـيديو. يُدخلون الحريم العرايا وشـبه العرايا بيوت جـميع المسلمين صَدَقْتَ وبَلّغْتَ يا سيدى يارسول الله بأبى أنت وأمى ونفسى.

(٥٠) اعـمـال الدرامـا فى المسـرح والسـينمـا والتليـفـزيون: تأليـفـا واخراجـا وتمثيلا من أمـارات السـاعـة ودليل على أننا فـى آخـر الزمان: -

ليست أجـهزة الارسال والاسـتـقبال المسـموعة والمرئيـة فى حد ذاتها محـرمة، بل إستـيلاء حزب الشـيطان على جمـيع أجهزة الاعـلام وبخاصة اليـهود فى افـسادتهم الأخيرة وعلوهـم الكبير فى الأرض هو الذى جـعل اكثر برامج هذه الاجهزة وأغلب اوقاتها للافسـاد وليس للاصلاح، ومن أخطر أعمال الإفساد (الدرامـا الكوميدى منها

---

(١) رواه البخـارى فى الصحـيح وأحمد والطبـرانى عن معـاذ وأورده الشيخ الألبانى فى الصـحيـحة برقم ١٨٨٣.

والتراچيدى). إذ ترمى جميعا إلى هدم قيم الخير وغرس قيم الشر والاباحية بإسم الحرية والتنوير.

فهذه الاجهزة كالسلاح لابد من أن تمتلكه الامة لقتال عدوها، وقد يستخدمه البعض لقتل النفس التى حرم الله الا بالحق، ويستخدمه الصالحون للجهاد، ونظراً لان أغلب وأكثر ما تعرضه هذه الاجهزة يتعارض مع أصول الاسلام ومبادئه واهدافه وقيمه، اذ كل برامجها تدور حول محورى اللهو اللعب، اى ما يسمونه الفن والرياضة، حتى كاد الفن والرياضة أن يكونا دينا، بل أصبحاهما الدين الواقعى الفعلى الذى تدعو إليه أجهزة الاعلام بعامة والتليفزيون بخاصة، وفى امثالهم قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا..﴾ [٧٠/ الانعام] أى دع الذين اتخذوا اللعب واللهو ديدنهم ومحور حياتهم حتى صار هو دينهم ومنهج حياتهم، وصار ما يسمونه بالرياضة والفن هما الغاية العليا فى حياتهم.

وقال تعالى أيضا: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ (٥٠ - ٥١/ الاعراف).

فالدين هو محور الحياة والغاية العليا والاهداف الاستراتيجية فى حياة الفرد وحياة الامة، لان هذه الغاية هى التى يتشكل بحسبها منهج الحياة وأسلوب العيش (والذين إتخذوا دينهم لهوا ولعبا) هم الذين جعلوا محور حياتهم وغايات أفعالهم وأهداف أعمالهم اللهو واللعب أو اللعب واللهو، اذ يجعل البعض عمله الرئيسى اللعب ويأتى إلى اللهو بعد ذلك للترويج وبالعكس يكون اللهو عمل البعض واللعب ثانوى بالنسبة لهم لصحة أبدانهم: الفئة الأولى هم الرياضيون ومن يعملون فى الرياضة وما حولها والفئة الثانية هم الفنانون ومن يعملون فى مجالات الفن المختلفة وما حولها.

لقد اقاموا قنوات متخصصة فى الرياضة وأخرى للدراما وأخرى للأغانى والرقص. وكلها للدنيا وللشيطان وليس فيها شئ لله عز وجل، وما جعلوه لله فى القنوات الرئيسية لايَتَعَدَّى ٢٪ من البرامج، ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم.

هذان الهدفان: اللهو واللعب هما دين العلمانية وغاية الانسان فى الحضارة الغربية المادية المعاصرة، دين كل من لايؤمن بالآخرة، لأن من يكفر بالآخرة لايجد لنفسه غاية تستحق السعى اليها وأهداف يعمل لتحقيقها سوى المتاع، ومن ثم ينتهى المتاع باعتباره الغاية العليا فى حياته إلى هدفين تَطْبيقيَّيْن هما اللهو واللعب؛ لأن المتاع لايعدو أن يكون بشهوة البطن وبشهوة الفرج وشهوة الفرج يخدمها اللهو وهو الفن بأنواعه، وشهوة البطن تحتاج للرياضة لصحة الأبدان وتحاشى أضرار الإسراف فى الطعام. فاللهو واللعب هما وسيلتا المتاع الحسى الذى هو الغاية العليا للعلمانى.

ويزعمون ان للفن رسالة، يدعون أنهم يصلحون ويُربُّون ويَغْرسون قيما ويقوِّمون خلقا وحضارة بهذا الفن، وكذبوا بل افتروا الكذب والإفك، ويزعمون أنهم يحفظون الأبدان ويعتنون بالصحة، وكذبوا لأن اللعب صار للرياضيّن خاصة وإستخدموا المنافسات المحلية والوطنية، وعلى مستوى القارات وعلى مستوى العالم استخداما سياسيا صهيونيا بعيدا تماما عن الرياضة وصحة الابدان.

اما عن الفن وأخطر أشكاله وهو التمثيل، فقد ورد من أحاديث الرسول الله ﷺ ما يشير إلى الرقص والتمثيل الذى يتضمن التأليف والسيناريو.

أما عن التأليف وكتابة السيناريو للأفلام والمسلسلات فقد قال رسول الله ﷺ (يأتى فى آخر الزمان أصحاب الالواح يزينون الحديث بالكذب تزيين الذهب بالجوهر)(١) ولا يكون هذا الا بالخيال وأصحاب الالواح هم أصحاب الافلام او ما يطلقون عليه (كلاكت اول مرة وتانى مرة وهكذا) حيث يكتب هذا فى لوح ليضم أول المشهد فى الفيلم ليتمكن بعد ذلك فنى المونتاج من ترتيب المشاهد حسب السيناريو المكتوب. هذا قول أما القول الثانى وهو الأرجح عندى هو أن المقصود باللوح الشاشة الكبيرة (السينما) ثم الشاشة الصغيرة التليفزيون وهذا يشمل كل أنواع التمثيل المسرحى والسينمائى وحتى الإعلانات علاوة على الدراما. وكل هذه الأعمال يراها الناس فى هذا اللوح الكبير (السينما) أو فى اللوح الصغير التليفزيون وتسمية الشاشة باللوح

---

(١) رواه نعيم بن حماد فى الفتن/ عن إتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ٢ ص٢٠٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصح وأدق لغويا. أما المسرح فهو ليس سوى ألواح الخشب أرضا وجدرانا، وخشبته أشهر خشبة واسم الألواح يصدق على المسرح كما يصدق على الشاشة.

وليس هذا من كـذب الحديث العادى الموجود فى كل زمان، ولـكنه كذب خاص يحدث فى آخر الزمان، ويتقاضى عليه أصحابه أجرا ويمدحهـم المادحون من النقاد ويوصفون بـأنهم مبدعون وفـنانون وأدباء، وصدق معـاذ بن جبل رضى الله عنـه فيما رُوىَ عنه من أمـارات الساعة فى حديث جـاء فيه (.... ويعطى مال الله عـلى الكذب والبّهتان)(١).

وليس الكاتب فقط هو الذى يمارس بعـمله الكذب بل الممثل أيضا، بل ان كذب الممثل والممثلة أعظم من كذب الروائى، فالروائى يكذب على الورق، والممثل يكذب على الملأ ويستخدم ذاته وأحاسيسه وتعبيرات وجهه لكى يشخص الكذب ويجسمه بجسده، فهو لا يكذب بـلسانه فقط او بقلمه فقط وانما يكذب بـكل خلية من جسده، وكلما كان الـكذب بكيانه كله كلـما كان اقدر على التمثيل متقنا له حتى يـقولوا عنه الممثـل القدير، وصفة الـقدير لاتُجوز الا لله تعـالى وحده، وهو نوع من خـلق الافك، ويتعاطى عليه المال.

ولعل الحـديث الاكثر صراحـة عن الممثلـين والممثـلات هو ما رواه أبو نعـيم عن عائشة رضى الله عنـها ان رسول الله ﷺ قال (شرار أمتى الذين غذوا فى الـنعيم الذين يتقلبون فى الوان الطعام والثياب الثرثارون الشداقون بالكلام)(٢).

فقوله ﷺ عـن شرار الامة أنهم الذيـن (يتقلبون فـى الوان الطعام والثـياب) يؤكد أنهم الممثلون والممـثلات لان الثياب والمظهر والاناقة والشياكة، مـن أهم ما يعتنى به الممثل والممثلة، لان رأسمالها هو المظهر والشكل، وهم من أهل المتاعِ، ومن ثم يعتنون باطيب الطعام، هذا بالنـسبة لحياة الممثل الحقيقية، أما عمله فهـو يتضمن دائما مشاهد فيها ألوان الطعام حسـب القصّة والسيناريو كما يتضمن ألوانـا من الثياب حسب هذا كله ومن ثم فهم يتـقلبون فى الوان الثياب: اذ يلبس الأزياء الريـفية مرة والبدوية مرة والإفرنجية مرة والعسكرية مرة حسب الدور المنوط به.

---

(١) عن إتحاف الجماعة جـ٢ ص٢٠٥. وقال (رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية/ عن إتحاف الجماعة للتويجرى ج٢ ص٥٦.

ثم إن قوله ﷺ: (الثرثارون الشداقون بالكلام) يؤكد أنهم اهل التمثيل، لان عمل الممثل ينحصر فى حفظ كلام الدور المنوط به، ويتمثل فى كلام مكتوب عليه أن يتحدث به بطريقة مخصوصة تناسب لهجة الشخصية التى يمثلها، وليس باللهجة التى يتحدث بها فى حياته العادية الحقيقية، ولكى يخرج الكلام باللهجة المطلوبة حسب الدور، عليه ان يتحكم فى عضلات فمه وجوانبه لكى يخرج الكلام حسب اللهجة الصعيدية او البدوية او الريفية او البورسعيدية وهكذا وحيث ان جانب الفم هو فى اللغة الشدق ومن ثم فهو يتشدق بالكلام، ان اكثر عملهم الكلام، فهم (الثرثارون الشداقون بالكلام) بدليل ان الانسان فى حياته العادية قد يمكث ساعات دون أن يتكلم مع أحد ولكن هذا لا يكون ابدا فى الافلام، اذ لايظهر الممثل الا متكلمًا ولو اقتضى الدور إظهاره صامتا يكون هذا لثوانى معدودة فقط.

فالشدّاق هو المتحكم فى جانبى فمه الموسع لهما او المضيق لهما حسب مقتضيات اللهجة المطلوبة.

يؤكد هذا التفسير للحديث روايه أخرى لاحمد فى الزهد مرسلا عن بكر بن سوادة ان رسول الله ﷺ قال (سيكون نشؤ من أمتى يولدون فى النعيم ويُغَذَّون به همتهم الوان الطعام والوان الثياب يتشدقون بالقول اولئك شرار أمتى)[1] وهؤلاء هم الممثلون والممثلات ابناء الممثلين والممثلات فهذا الحديث يتكلم عن أبنائهم الذين يحترفون مهنتهم.

وعن فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما وعليهما السلام ان رسول الله ﷺ قال (إن من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون الوان الطعام والوان الثياب يتشادقون فى الكلام)[2] قال ابن الاثير (المتشدقون هم المتوسعون فى الكلام من غير احتياط، وقيل: أراد بالمتشدق المستهزئ بالناس يلوى شدقه)، واكثر ما يظهر هذا عند تمثيل ادوار أهل الصعيد فيسخرون من لهجتهم أو عندما يمثلون ادوار الفقهاء والعلماء والمأذون ومدرسى اللغة العربية وكل رموز الاسلام سخر الله منهم.

اما بالنسبة للممثلات فالأمر أدهى وأمر لانها تصبح فى الفيلم زوجة لغير زوجها

---

(١) المصدر السابق جـ٢ ص٥٦. وقال (رواه أحمد فى الزهد، وهو مُرْسَلٌ).

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٥٦. وقال (رواه أحمد فى الزهد، وهو مُرْسَلٌ).

كذبا. وربما يحتم عليها الدور كزوجة ان تخلع ثيابها التى أتت بها من بيتها للاستوديو وتلبس ثياب زوجة فى البيت وربما ملابس النوم وكثيرا ما يأمرها المخرج ان تنام بجانب الممثل فى السرير تحت غطاء واحد بحجة اعطاء انطباع للمشاهد بعلاقة الزوجية بينهما وكل هذا حسب توقيعها على المشاهد فى العقد المبرم بينها وبين المنتج.

وحديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن الزلزلة يشير إلى هذا، إذ تتحدث عن الاحداث التى هى مقدمات للزلزال وتحدث قبله مباشرة، منها خلع المرأة ثيابها فى غير بيت زوجها دون الزنا، (فعن انس بن مالك قال: دخلتُ على عائشة رضى الله عنها ورجل معى. فقال الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة؟ فأعرضت عنه بوجهها.

قال: أنس: فقلت لها حدثينا يا أم المؤمنين عن الزلزلة.

فقالت: يا أنس، ان حدثتك عنها عشت حزينا ومت حزينا، وبعثت يوم تبعث وذلك الحزن فى قلبك. فقال: يا أمه حدثينا.

فقالت: إن المرأة اذ خلعت ثيابها فى غير بيت زوجها، هتكت ما بينها وبين الله من حجاب، فاذا تطيبت لغير زوجها كان عليها نار وشنار، فإذا إستفحا فى الزنا، وشربوا الخمور مع هذا، وضربوا المعازف، غار الله فى سمائه، فقال: تزلزلى بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلاَّ هدمها الله عليهم. فقال انس: عقوبة لهم ؟!

قالت: بل رحمه وبركة وموعظة للمؤمنين، ونكالا وسخطة وعذابا على الكافرين.

فقال انس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشدُّ به فَرِحا منى بهذا الحديث بل أعيش فَرِحاً وأموت فَرِحًا وأبعث حين أبعث وذلك الفرح فى قلبى أو قال : فى نفسى)[1] فإذا لاحظنا كلامها عن خلع المرأة ثيابها فى بيت غير بيت زوجها وتطيبها لغير زوجها من غير نسبة الزنا لمن تفعل ذلك، ثم قولها بعد ذلك (فإذا استفحا فى

---

(١) أخرجه نعيم بن حمّاد فى الفتن، والحاكم فى المستدرك حـ ٤ صـ ٥١٦ ك الفتن والملاحم.

الزنا) دل هذا على ان هذا الفعل المقدم من بعض النساء، ليس هو للزنا، وانما سيؤدى بعد ذلك إلى انتشار الزنا وشيوعه ومن ثَمَّ فهو باعتبار أثره أخطر وهذا هو المعلوم عن الممثلات اللاتى يخلعن ثيابهن فى الاستوديو لترتدى ملابس الدور، وفى كثير من المشاهد وتجلس المرأة أمام المرآة لتتطيب كأنها تفعل ذلك لزوجها فى الفيلم. هذه المشاهد التى تكررت كثيرا جدا فى الأفلام، ثم خلع المرأة ثيابها على الشواطئ، وظهورها عارية فى الافلام على الشاطئ كل هذا أدَّى إلى شيوع هذه العادات الرذيلة والسفور الفاضح والتدرج بالمجتمع حتى صارت الفاحشة معروفا والعفة منكرا. ولا شك أن الممثلات فى الافلام بصفة خاصة هن اللاتى قمن بتزيين التبرج للنساء وهن اللاتى شجعنهن على التفريط فى عفتهن حتى إستفحا فى الزنا إلاَّ من رحمها الله عز وجل.

وقولها رضى الله عنها (فإذا استفحا فى الزنا) بعد العبارة الاولى يدل على أن هذا جاء بعد الاول، ومن ثم يكون الاول هو العلة والثانى هو المعلول والنتيجة، وعلى هذا تنطبق عبارة السيدة عائشة على الممثلات بصفة خاصة وعلى النساء اللاتى يخلعن ثيابهن خارج بيت الزوجية مثل الشواطئ ونوادى الرياضة وحمامات السباحة وغير ذلك، فلو كان المقصود بخلع المرأة ثيابها حالات زنا فردية لما أدت إلى استحلال الزنا وانتشاره وانتشار المعازف وشرب الخمور، ولان الزنا موجود فى حياة البشر من قديم، وظل قرونا عديدة محرما وممنوعا حتى عند النصارى والبوذيين وغيرهم، ولم يتحول إلى عمل مباح ومعروف بعد أن كان منكرا، الا بعد انتشار التمثيل والافلام وظهور الممثلات اللاتى يسمونهن بطلات شبه عاريات مبتذلات محسنات للسلوك الساقط الامر الذى أدى إلى شيوع الفاحشة.

وليس مصادفة ان رواد التمثيل المسرحى والسينمائى فى مصر وفى بلاد العالم العربى أكثرهم من اليهود. ولم يتب منهم واحد ولاواحدة، أما المسلمون والمسلمات

فقد تاب كثير منهم ومنهن، ونهيب بالذين لم يتوبوا منهم واللائى لم يتبن أن يرجعوا إلى ربهم قبل فوات الآوان فإن القيامة الصغرى على الأبواب.

فهذا الحديث هو على الممثلات، وعلى التمثيل الذى ساعد على انتشار الزنا وسائر الجرائم الأخرى وهذا يؤكده حديث عبد الله بن مسعود الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك قال (اذا كثر الكذب كثر الهرج) أى القتل نتيجة الروايات البوليسية والافلام التى تصور أعمال العصابات والمجرمين باعتبارها اعمال أبطال مثيرين لاعجاب المشاهدين فتنتشر الجريمة ولا تقل كما يزعم الفنانون. ولا شك أن التمثيل وتأليف الروايات الجنائية من الكذب، وهو مما يشيع الجريمة أكثر من أن يقلل من وقوعها بدليل إزدياد معدل الجرائم فى العالم بعامة وفى مصر أيضاً، مع إزدياد إنتشار السينما وتعميم الأفلام وبخاصة بعد إنتشار التليفزيون وبعد إزدهار صناعتها فى هيوليود وفى سائر العواصم بما فيها البوليسى منها، ونتحدّى من ينكر هذه النتيجة بدراسة إحصائية.

وليعلم الذين يعملون فى مجالات إنتاج الأفلام أن الله تعالى سيُحَاسبهم على أعمالهم وعلى آثارها قال تَعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ / ١٢/ يس﴾ فليتأملوا فى آثار أفلامهم على المشاهدين رجالا ونساءاً، وكباراً وصغاراً.

ولعل سائلا يسأل: ولكن من أعمال الدراما ما هو مسلسلات إسلامية وأفلام دينية تقدم قيماً طيبة، فما بال الممثل الذى لايمثل إلا هذه الأعمال ذات الأثر الخلقى أو التعليمى الطيب؟ والإجابة أنه لابد أن يُثاب القائمون بمثل هذه الأعمال بالخير، فليس عند الله من جزاء للاحسان إلاَّ الإحسان. ولذلك ليس كل ممثل من شرار الخلق الذين هم أشد الناس عذابا يوم القيامة، بل ممثل من الممثلين أو ممثلة من الممثلات، هو أوهى من أشد الناس عذابا يوم القيامة فيما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبى أو قتل نبيّاً، وإمام

ضلالة وممثل من الممثلين) [1]، يعنى صنف منهم أشد الناس عذابا، وغير هذا الصنف أقل عذابا، وفيهم الذى لايشترك إلاَّ فى أعمال ذات القيم الطيبة أو الصبغات الدينية، وهؤلاء ربما ينجون من العذاب برحمة الله تعالى ومغفرته، لأن قوله ﷺ (وممثل من الممثلين) أشد الناس عذابا يفيد أن ممثلا آخر ليس كذلك، وهذ الصنف الآخر إما أن يكون أقل عذاباً وإمَّا أن يشمله الله عز وجل بمغفرته ورحمته.

ولاشك أن هذا الحديث الشريف من الأدلة على صدق نُبُوة سيدنا محمد ﷺ، لأن مهنة التمثيل التى أصبح مَنْ يزاولها إسمة «الممثل» لم تكن معروفة إلاَّ فى أوائل هذا القرن، وأطلقوا على اسم الممثل فى مصر أول الأمر إسم آخر هو «المشخِّصَاتى» ربما لأنه كان يقلد شخْصِّيات معروفة، ولكن على أى حال من المعلوم تاريخيا، أن هذه المهنة دخيلة على العرب ولم تعُرف فى تاريخهم كله، وأول من أتوا بها إلى مصر وإلى البلاد العربية الأخرى كانوا من اليهود والنصارى، وحتى عام ١٩٦٥ ميلادية لم يكن فى المملكة السعودية مسرح أو فريق تمثيل من أبنائها وإنما دخل عليهم هذا بعد الارسال التليفزيونى، ومع هذا كله فالحديث يتحدث عن الممثل والممثلين، وهل فى الدنيا كلها مهنة أخرى تحمل هذا الإسم ويحمل ممتهنها هذه التسمية إلاَّ الذيَنْ يقومون بتشخيص شخصيات الافلام والمسرحيات والمسلسلات؟! إذا كانت الإجابة بلا، وهى كذلك فإن الحديث يتناول هذه المهنة دون غَيْرِهَا. وهؤلاء الذين تَسُوقهم الشياطين إلى أشد العذاب يوم القيامة خادعين إياهم بوصفهم إعلاميا بالنجومية وأصحاب أدوار البطولة سواء دَرَوْا أم لما يَدْرَوْا أن اكثر ما يقدِّمُونه هدم للشرع وأمر بالمنكر ونَهْى عن المعروف وإشاعة للفحشاء، وخدْمة لمخططات صهيون، أقول: أَفَلاَ يستحقون أن يكونوا أشد الناس عذابا يوم القيامة ؟!.

لقد قرن الحديث الشريف بين هذه المهنة وبين إثنين آخريْن: الاول الذى قتل نبياً أو الذى قتله نبى وكلاهما من شرار الخلق لأن النبى لايقتل بيده إلاَّ أشد الناس ظلما وشراً، وإمام ضلالة، أى مبتدع متزندق متفلسف ليضل الناس بفكره وبدعته وصار

(١) أورده الألبانى فى الصحيحة برقم ٢٨١.

بما إبتدعه وبتفكيره المضل صاحب وزعيم ومُنَظِّر لأتْبَاعٍ يقودهم إلى جهنم يوم القيامة فهو أشدهم عذاباً.

ثم (ممثل من الممثلين) وهو يتساوى مع إمام الضلالة لأن الذى ينتج أو يمثل أفلاما يعلم أنها تَهدم فى شرع الله تعالى وقيم الإسلام، وتدعو إلى العرى والفحشاء والمنكر سواء أكانت الدعوة صريحة أم ضمنية وَخفيَّة مُسْتَتِرَة أم ظاهرة، فهو إمام ضلالة، وخاصة من يسمونهم أبطال الدراما.

وكلمة أخيرة بالنسبة لهذه المهنة: وهى أن من يصلى ويحج ويفعل الخير رياءاً وسمعة حتى يتحدث الناس عنه ويشيرون اليه قائلين: أنه من أهل الخير والصلاح والتقوى فهو فى النار، وإن كان من العلماء الذين وصلوا بعد إجتهاد إلى أعلى مراتب العلم والمراكز العلمية، لأنه إجتهد وحَصَّل العلم ليقال أنه عالم فهو معذب على الصراط، وهو جسر على النار يعبر عليه المسلمون إلى الجنة ويسقط المنافقون منه إلى النار ولايعبر هذا العالم مثل هؤلاء الذين تعلموا منه الإسلام والتزموا بتعاليمة إبتغاء مرضاة الله؛ وهو فى جهنم لانه ما تعلَّم وما علَّم إلاّ طلبا للشهرة، بالرغم من أنه قد هدى الله بعلمه غيره.

وأنتم أيها الفنَّانُون عامة والممثلون خاصة: هل لكم من هدف أعلى ورأسمال تسعون إلى تحصيله وتحافظون عليه غير الشهرة، إن الشهرة هى طلب السمعة والرياء من الجمهور فأنتم تعبدون الجمهور وهذا شرك، فإذا كان العالم طالب الشهرة والمركز والمجد والمال فى جهنم رغم أنه يرشد الناس غالبا إلى الخير، فما بال الذين جعلوها غايتهم العليا، ثم هم لايرشدون فى أغلب أعمالهم إلى الخير، بل إلى الشر والمنكر والفحشاء؟!.

نسأل الله تعالى أن يتوب على أهل الخير منهم إنه هو التواب الرحيم.

إن هذا الحديث الشريف يقرر مصير صنف من الممثلين، بيد أن الأحاديث التى سبقته تَدُل على أن انتشار هذه المهنة وظهورها فى الأمة الاسلامية دليل على قرب نزول عذاب القيامة الصغرى ، نسأل الله تعالى النجاة والسلامة.

(٥١) أفلام الكرتون التى يكلم السباع فيها الانس دليل على أننا فى آخر الزمان

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عزبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده ﴾ [١] ورواه ابن حبان بلفظ آخر: قال رسول الله ﷺ (الا إن من اشراط الساعة كلام السباع للانس، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الانس، ويكلم الرجل نعله وعزبة سوطه[*] ويخبره فخذه بما يحدث أهله من بعده).

وفى رواية لاحمد ان النبى ﷺ قال: (آيات تكون قبل الساعة والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله او سوطه او عصاه بما أحدث أهله من بعده).

وفى رواية أبى هريرة (قال : جاء ذئب إلى راعى الغنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال: فصعد الذئب على تل فأقعى وإستذفر فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى؟!

فقال الرجل : تا الله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم قال الذئب: أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبى ﷺ فأسلم واخبره فصدقه النبى ﷺ ثم قال، النبى ﷺ (انها امارة من امارات بين يدى الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[٢].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده والترمذى والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ووافقة الذهبى.

(*) عَزَبَةُ السوط هى كتلة الشعر الموجودة فى نهاية ذيل البقرة وكانوا يجففونه ويتخذونه سوطا يضربون ويجلدون به، وهذا تشبيه للميك أو لاقط الصوت الذى هو عبار عن سلك ممتد نهايته كتلة مستديرة هى الميك الذى يوضع أمام فم المتكلم أو الخطيب وكأنه يكلمه.

(٢) رواه الامام احمد وقال الهيثمى رجاله ثقات. وهو فى مسند أحمد برقم

والذى أقوله والله تعالى أعلم ان كلام السباع للإنس هو ما نشاهده من أفلام الكرتون بدليل ان هذا الخبر جاء ضمن عدد من الأخبار علمنا أنها جميعا من الاختراعات السمعية الحديثة وكلآم السباع للانس فى افلام الكرتون مجرد تقنية تنتجها اجهزة سمعية دقيقه والآن يستخدمون الكمبيوتر حتى تكون حركات فم السبع متوافقة مع الصوت المنطوق المسموع فيبدو للمشاهد أن السبع يتكلم على الحقيقة.

وقد جمع رسول الله ﷺ الخبر عن كلام الرجل لعزبة سوطه (الميكرفون ومكبر الصوت) وكلام فخذه له (المحمول أو جهاز التسجيل) وغير ذلك من الاجهزة السمعية التى تستخدم كلها فى صناعة افلام الكرتون ومن ثم جمعها معا ودل على أنها تحدث فى آخر الزمان وقالها بمناسبة كلام الذئب للرجل وأقسم ﷺ على هذا لغرابته على سمع الصحابة باعتبارها من الامارات فى زمن العجائب التى تسبق الآيات وتدل على قرب وقوعها، والله تعالى أعلم.

ومن الاجهزة البصرية ذات الشأن الخطير فى حياة الإنسان اليوم هى الأجهزة العدسية ومنها الميكروسكوب المكبر أو المجهر، ثم التلسكوب المقرب وهو سبب التقدم فى علم الفلك إذ تمكنوا من رؤية الأجرام البعيدة كأنها قريبة، وفى هذا قال رسول ﷺ (... وأن يُرى الهلال قبلا أو الشىء القبل هو الذى بين يَدَىْ المتحدث ومعلوم أن الناظر فى التلسكوب إلى القمر) أو الشىء البعيد يخيل إليه أنه لومد يده من خلف المنظار لامسك بما يرى إذ يراه قريبا منه مع بعده الشاسع فهذه الأمارة تخص التلسكوب.

(٥٢) انتشار الصحف بظهور المطابع ومصانع الورق والتوسع فى نشر الكتب والمجلات وآخر هذا كله شبكة الانترنت

قال تعالى ـ .... (وإذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) وهى الأمارة العاشرة من اثنتى عشرة إمارة اكثرها حدثت فى الدنيا كما سنرى.

ومعنى النشر لغة التشعب والبسط والتوسع والتصميم ومنه الانتشار بمعنى التعميم والذيوع وجاء فى حديث الفزع يوم الدين (.... وعن تطاير الكتب...) فهى تتطاير ليصل كل كتاب ليد صاحبه فالكتب يوم الدين تتطاير وتسلم لأصحابها ولا يعلم ما فى الكتاب إلا صاحبه، أما النشر فيتضمن اعلان ما فى الصحيفة للجميع حتى يعلموا جميعا ما فى الصحيفة الواحدة.

اما قوله تعالى: ﴿وإذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ فهو يطابق لغويا انتشار الصحف فى زماننا

المعاصر وهو ما يطلقون عليه الاعلام المقروء الذى له دور خطير فى توجيه الناس: إما إلى هدى وإما إلى ضلال. ومن الواضح غَلَبَة الضلال فى الصحف على الهدى.

فاذا تذكرنا أنهم كانوا يكتبون قديما على رقائق الجلد والعظام وشقفات من الفخار ثم بعد ذلك على صفحات من الورق المصنوع يدويا على نطاق ضيق ثم حدث التوسع حديثا فى طباعة الكتب والجرائد وبعد اختراع المطابع التى تطورت وأصبحت تتم بالكمبيوتر وبأساليب سريعة جدا تستوعب طباعة الملايين من الصفحات فى ساعات قليلة وكثر الكتاب والادباء والقراء دل كل هذا على ان نشر الصحف هو من أشراط الساعة واماراتها. وأكد هذا قول رسول الله ﷺ، فى حديث طويل جاء فيه (وفُشُوّ القلم...) وفى رواية لأحمد (وظهور القلم...)[1] أى تكثر الكتابة والصفحات المكتوبة والقراء وعن عمر بن تغلب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن من أشراط الساعة أن يكثر التجار ويظهر القلم)[2] وكل هذا حدث فى عصر واحد إذ فاض المال بعد ان صار ورقا يطبع وكثرة التجارة وظهور القلم علامة النشر والطباعة ورفع العلم لان اكثر ما ينشر ويكتب ويقرأ ليس من الهدى بل من الضلال اما ذكر نشر الصحف فى آخر الإمارات الواردة فى سورة التكوير فهذا يدل على أحدث صورة معاصرة للصحف باعتبارها نشراً للملعومات، وحيث ان الانترنت اوسع قاعدة معلوماتية يمكن عن طريقها الإطلاع على علوم وصحف ومصادر معلوماتية وعلمية كالجرائد والمجلات والجامعات والمكتبات تعد بملايين المصادر من خلال جهاز صغير فى المنزل . وحيث ان هذه الشبكة تعتبر اعظم وأوسع وأحدث نشر للمعلومات فان تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠/ التكوير) يصدق على شبكة الانترنت اكثر من أى مصدر اعلامى آخر وان لم يكن هذا التأويل مانعا لصدقه على غيره، ولكن نظراً لأن هذه الشبكة أحدث نشر

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود والحاكم وصححه وهو فى مسند احمد برقم .

(٢) رواه ابو داود الطيالسى فى مسنده عن اتحاف الجماعة جـ٢ ص١٠٩.

للمعلوماتية، وهذا الشرط آخرها وروداً في سياق سورة التكوير، فإن التأويل بشبكة الانترنت أصدق وأكثر مطابقة من أى مصدر آخر للعلم والمعرفة والإعلام والنشر. وذلك تبعا للملاحظة أن هذه الأمارات مرتبة فى السورة حسب وقوعها فى الزمن.

ومن ثم يصح القول بأن تأويل قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت) خبر بامارة من الإمارات وهي نشر الصحف والمجلات بعامة والنشر عن طريق الانترنت بخاصة. وبعدها أمارة كشط السماء وهو ما يطلقون عليه ثقب الأوزون وهو مايزداد خطره يوما بعد يوم. وهى ظاهرة بيئية تعاصر فى الزمان التوسع فى نشر الصحف الذى أخذ أوسع مدى له فى شبكة الإنترنت. التى جعلت أهل هذه الحضارة المادية يظنون أنهم قادرون على العلم بكل شيء ومعرفة كل شيء، وهذا يدل على أنهم الجيل الذى تقوم عليهم القيامة الصغرى.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟ آمين.



الفصل السابع

التقدم فى علوم الحياة والطب والجراحة والهندسة الوراثية وإستنساخ الكائن الحى من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٥٧) حكم الإسلام فى تغيير خلق الله تعالى:

قال تعالى ﴿إن يَدْعُونَ من دُونه إلاَّ إنَاثًا وَإن يَدْعُونَ إلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ منْ عبَادكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَام وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه وَمَن يَتَّخذ الشَّيْطَانَ وَليًّا مّن دُون اللَّه فَقَدْ خَسرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا (١٢٠) أُوْلَئكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾(النساء١١٧-١٢١) عن الضحاك (قال المشركون إن الملائكة بنات الله وإنما نعْبدهم ليقربونا إلى الله زلفى قال: اتخذوهن أربابا وصَوَّرُوهُنَّ صور الجوارى فحلُّوهنَّ وقَلَّدُوهن) وعن ابن عباس (وإن يدعون الاشيطانا مريدا قال: مع كل صنم شيطانة).

وعن مقاتل بن حيان (وإن يدعون من دون الله الاشيطانا) يعنى : إبليس. وعن سفيان(وإن يدعون من دونه الاشيطانا مريدا) قال: ليس من صنم إلاَّ فيه شيطان) وعن قتادة فى قوله(مريداً) قال تمرد على معاصى الله وأما قوله(لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)قال: يقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة).

وعن عكرمة فى قوله تعالى(ولأضلنهم ولهأمنينهم ولآمرنهم فليتبكن آذان الانعام)، قال: دين شرعه لهم ابليس كهيئة البحائر والسوائب) وعن قتادة (قال التَّبْتِيك فى البحيرة والسائبة كانوا يُبَتِّكون آذانهم لطواغيتهم) وتبتيك الآذان، تقطعها لتميزها عن غيرها أو يشقونها فيجعلونها بحيرة.

هذا فى التبتيك الذى كانوا يميزون به الأنعام التى ينذرونها لاصنامهم وطواغيتهم.

أما قوله تعالى: ﴿ولآمرنهم فليُغيِّرن خلق الله﴾ فقد إختلفوا فيه، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما (فليغيرون خلق الله قال: دين الله) يقصد الفطرة قال الضحاك («فليغيرن خلق الله» قال: دين الله وهو قوله: (فطرة الله التى فطر الناس عليها).

وفسر آخرون التغيير بالإخصاء الذى يحدثونه فى ذكور الانعام، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كرهه ؟ وقال فيه نزلت(ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) وربط المفسرون بين الآية وبين تحريم النبىﷺ تغيير خلق الله فيما رواه عبدالله بن مسعود رضى الله عنه(قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله).

وكذلك مارواه البخارى ومسلم عن لعن الواصلة والمستوصلة فعن أسماء قالت: أتتْ النبىﷺ إمرأة فقالت: إن لى إبنة عروسا وأنه أصابتها حصبة فتمزق شعرها، أفأصله؟ فقال رسول اللهﷺ: لعن الله الواصلة والمستوصلة).

لكن تغيير خلق الله أخذ فى عصرنا هذا أبعاداً أعمق وأوسع وأخطر، حتى أن كل الأعمال التى دلت النصوص السابقة على أنها موجبة للعنة الله تعالى لأنها تدخل فى طاعة الشيطان لعنه الله بتغيير خلق الله تعالى، إنما هى لعنة لا توجب الخلود فى النار بالضرورة، أما فى عصرنا، فإن التغيير فى خلق الله تعالى الذى يتم بتأثير الإكتشافات العلمية والمخترعات الحديثة فى مجالات الطب وعلوم الحياة ليس موجبا للعنة الله تعالى فحسب، وإنما هى من موجبات اللعنة الأبدية التى لاتكو ن الا لمن يكفر كفرا بواحا مخلداً صاحبه فى النار.

فإستخدام الباروكة يلبسها الأصلع ليخفى صلعته وتلبسها المرأة تتجمل بشعر أشقر مرة وأسود مرة يتضمّن اعتراضا على قدر الله تعالى، وهو كفر بالقدر، الامر الذى لعن الله من أجله الواصلة والمستوصلة والواشمات والمتنمصات والمتفلجات، فلعنة من يلبس الباروكة لاتوجب الخلود فى النار، أى لاتحكم عليه بالكفر، وتأخذ

وإذا كان الحكم بمعنى السلطة فمعناه الوصول إلى كراس البرلمانات والمجالس النيابية وآخر مثل لهذا هو شراء أحد السياسيين الاتراك ويدعى يلمظ سبع مقاعد باستقاله أصحابها من الأحزاب المنافسة لحزبه لكى تصبح حكومة يلمظ هذا مؤيدة من المجلس بأكثر من نصف الأصوات بصوت واحد حسب الدستور فتسقط حكومة حزب الرفاه وهى التى كانت تريد ان تطبق حكم الله تعالى، وكأن هذا التعبير فى الحديث خاص بهذه الحادثة وما يماثلها وهو كثير.. مع أن تجارة يلمظ هذا هى الدعارة والمخدرات والقمار والملاهى الليلية، والنتيجة ان هذه الاحداث تدل على أنه لم يبق للساعة كثير لبث كما نص الحديث. وهذا تعبير يدل على القرب الشديد للساعة والدخول فى عصر الآيات. فهذه الأمارات كلها حدثت متعاصرة مع علو البنيان.

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال(لاتقوم الساعة حتى يُجعل كتاب الله عارا ويكون الاسلام غريبا.. إلى أن قال... وحتى تُبنى الغرف فتتطاول؟)[1] أى تبنى مجموعة من الغرف، ثم يبنى فوقها مجموعة أخرى وهكذا حتى تصبح البناية مرتفعة او تصبح جبلا وهو ما نُسمِّيه هذه الأيام بالادوار التى بكل واحد منها مجموعة من الشقق وصدق رسول الله ﷺ الذى بيّن فأحسن البيان وبلّغ بأبلغ لسان.

ولولا المعدات الثقيلة والأجهزة الكهربائية الحديثة لما استطاع الإنسان أن يبنى الجبال الشاهقة التى يسميها عمارات متعددة الطوابق، إذ لولا المصاعد الكهربائية لما ارتفع البنيان، وكذلك لولا شبكات المياه والصرف الصحى. والتطاول فى البنيان لايعنى ارتفاعه فقط بل يعنى كذلك التنافس فى زخرفته وتجميله من الخارج، وكذلك من داخل الاكنان أى الشقق بما يعرف اليوم بالديكور، وهى أمور سبق أن وصلت إليها البشرية من قبل حتى غزو الفضاء وكل مظاهر الحضارة الكهرومغناطيسية كما ذكرنا هذا فى الجزء الأول عن عاد الأولى باعتبار أمريكا هى عاد الثانية.

(١) رواه ابن ابى الدنيا وأبو نصر السجزى فى الأبانة واورده المتقى الهندى بكنز العمال وقال لابأس بسنده عن انحاف الجماعة صـ٢ صـ ٢٨ للتويجرى.

فعن التقدم التقنى العمرانى والعناية بالديكور قال تعالى:﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣٣-٣٥/ الزخرف) فانظر إلى قوله تعالى: ﴿لبيوتهم سقفا من فضة﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿وزخرفا)﴾ اليس هذا هو مايعرف الآن«بالديكور» وانظر إلى قوله تعالى:﴿ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا﴾ اليست المعارج فى اللغة هى ما يُعْرَجُ بها أى يُصعد بها إلى أعلى، ويظهرون أى يعتلون إلى الظهر أى سقف المبنى أو أعلاه، أليست هذه اذن المصاعد الكهربائية وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ولبيوتهم أبوابا﴾ وما الجديد أن يكون للبيوت التى بها معارج يظهرون عليها أبواب؟ المقصود إذن أن نكون لها أبواب مخصوصة هى أبواب كهربائية أو أبواب المصاعد أو أبواب مزخرفة غير عادية.

وأليس جوهر فن الديكور هو «حسن المنظر»؟ فإذا كان بداخل الشقة أو الفيلا أو المكتب، يكون ترتيب الأثاث وتناسق الوانه بحيث يرتاح النظر إليه، إذ يكون كل شئ متناغم مع سائر الأشياء الأخرى فى المكان، وبعض الناس يفتنهم ذلك حتى أنه ربما يلجأ إلى الكسب من الحرام لكى يعيش فى مثل هذه الأجواء، وتلك هى المساكن التى يرضاها الناس وتقعدهم عن الجهاد(.. ومساكن ترضونها...) والكفار يفتخرون دائما على المؤمنين ويعيرونهم بأنهم أقل فى مستوى المعيشة من حيث المسكن اولا ثم الملبس ثم المأكل ومن حيث عمارة المدن والتقدم المدنى ويقولون لهم لو كان دينكم الاسلام هو الحق لما كنتم أقل منا نجاحا فى الحياة ومن ثم رد الله تعالى عليهم فقال تعالى﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾(٧٣-٧٥مريم) فقولهم: (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نَديًا) هو ذكر لتكبر ولتعالى الكفار على المسلمين بما عندهم من تقدم حضارى ومدنى ليس عند المسلمين، وقولهم لو كان الاسلام هو الحق والعلمانية هى الباطل ماكان هذا حالكم ولما كان هذا حالنا.

والرد عليهم: أن الله تعالى أهلك الذين من من قبلكم الذين كانوا أكثر منكم حضارة وتقدمًا وغنى ورفاهية وأثاثاً وديكورا وهذا معنى كلمة(رِءْيًا) لأن جوهر فن الديكور هو جمال الآثاث وتناسق الوانه واوضاعه مع الجدران حتى يروق للعين الناظرة. أى جمال المنظر فهو فن تحسين المنظور أى المرئى وتجميله، ومن ثم قال تعالى ردا عليهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا/ ٧٤/ مريم)

(٥٤) تخطيط المدن ونسف الجبال وعمل الانفاق من أمارات الساعة:

روى الطبرانى فى الكبير بسنده مرفوعا(قال رسول الله ﷺ: ثلاث إذا رأيتهن فعند ذلك تقوم الساعة: خراب العامر وعمار الخراب.. الى آخر الحديث)وقال رسول الله ﷺ(لاتقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتى تُتخذ المساجد طرقا فلا يُسجد لله فيها)(١) وهذا قد تحقق باعادة تخطيط المدن وهدم الأحياء القديمة لشق الطرق الواسعة فيها وبناء أحياء جديدة وبطبيعة الحال هدم المساجد التى فيها ليحل محلها الطرق وتعمير الخراب، وقد رأيت هذا فى مدينة الرياض وغيرها من مدن السعودية إذ هدمت جميع الأحياء المبنية بالطين ودفعوا للناس تعويضات وحلّت محلها الطرق الحديثة الواسعة. وإعادوا التخطيط فخربوا العامر وعمروا الخرب، وهذا يحدث فى كل مكان فى الدنيا.

وفى حالة إعتراض الجبل للطريق ينسف «بالديناميت» ويُنقل رُفاته بالمعدات الثقيلة (البلدوزر والشاحنات الثقيلة الضخمة) إلى خارج المدينة ليصبح أكواما من الصخور وهذا ماأنبأ به الله تعالى فى القرآن الكريم بقول تعالى(وإذا الجبال نُسِفَتْ) وقوله تعالى(وإذا الجبال سُيِّرت) وهذا فى الدنيا وهو ماحدث فى كل المدن التى تتخللها الجبال فى جميع أنحاء العالم وبصفة خاصة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وجاء فى الحديث الذى تذاكر فيه سيدنا المسيح مع سيدنا موسى ومع سيدنا

---

(١) رواه الطبراى فى الكبير من حديث ابن مسعود.

ابراهيم عليهم الصلاة والسلام أخبار الساعة قول المسيح عليه السلام لهما(ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الاديم) أى مد البساط، وهذا مايحدث بعد نسف الجبل إذ يحل محله الطريق المرصوف الممتد مَدَّ الأديم.. والاديم هو الجلد، والمعنى ان تبسط الأرض كبسط الجلد عند دبغه.

وينطبق هذا الوصف أيضا على عمل الأنفاق فى بطون الجبال لمد الطريق فيها أيضا مد الاديم لأنه يتم بنسف باطن الجبل، ولكن مع هذا ورد مايدل صراحة على مانطلق عليه الانفاق باسم «الانقاب» فى مكة والمدينة حيث النقب هو الكلمة الاكثر دقة وأصح من النفق لأن الإنسان هو الذى نقب الجبل، فتسميته بالنقب أولى. وتشتهر مكة المكرمة بالانقاب الكثيرة الآن التى تربط أحياءها بعضها ببعض عبر الجبال.

روى نعيم ابن حماد فى الفتن بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال (محرم على الدجال ان يدخل نقاب المدينة)(١) وروى نعيم أيضا بسنده عن أبى بكرة عن النبي (ليس من بلدة إلاَّ يبلغها رعب الدجال إلا المدينة، على كل نقب من نقابها ملكان يذّبان عنها رعب المسيح)(٢).

وروى نعيم كذلك بسند مرفوع قال(يأتى سباخ المدينة ومحرم عليه أن يدخل نقابها فيخرج إليه كل منافق ومنافقه ثم يولى الشام)(٣) وروى نعيم أيضا بسنده عن ابى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ (الدجال لايبقى من الأرض شئ إلا وطئه، وغلب عليه الامكة والمدينة فإنه لايأتيها من نقب من أنقابها، إلا لقيه ملك مصلتا بسيفه حتى ينزل الظريب الأحمر...)(٤) إلى آخر الحديث.

هذه الأحاديث جميعا تثبت أنه عندما يأتى الدَّجال ستكون مداخل مكة والمدينة أنقابا وهى لم تكن كذلك إلاَّ فى العشرين سنة الأخيرة بعد نسف الجبال ومد الطرق مكانها مد الاديم وكذلك نسف باطن الجبال فى مكة وعمل مانطلق عليه الانفاق التى ليست سوى النقاب التى نقبها الإنسان بنسفها بالديناميت ثم نقلها بالمعدات الثقيلة خارج المدينة فتحقق الشرطان (إذا الجبال نسفت) و(إذ الجبال سيِّرت).

---

(١) نعيم بن حماد / الفتن/ حديث رقم ١٥٨٣.

(٢) نعيم بن حماد/ الفتن/ حديث رقم ١٥٨٤.

(٣) نعيم بن حماد/ الفتن/ حديث رقم ١٥٨٥.

(٤) نعيم بن حماد / الفتن/ حديث رقم ١٥٧٢.

(٥٥) شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحى فى مكة وارتفاع المبانى على الجبال من إمارات الساعة

ولولا تقنيات البناء الحديثة وتقنينات المياه والصرف الصحى لما أمكن أن ترتفع المبانى فوق جبال مكة.

أما عن شبكات المياه وشبكات الصرف الصحى الحديثة التى لولاها لما تمكن الإنسان من تخطيط المدن الكبيرة والارتفاع بالبنايات الى الطوابق المتعددة، هذه الشبكات جاء ذكرها باعتبار أنها من امارات الساعة فى المدن بعامة وفى مكة بخاصة، فيما أخرج ابن ابى شيبة فى مُصنَّفه. عن يعلى بن أبى عطاء عن أبيه قال (كنتُ آخذا بلجام دابة عبدالله بن عمرو فقال: إذا رأيت مكة قد بعُجتْ كظائم، ورأيت البناء يعلو رؤوس الجبال فاعلم أن الأمر قد أظلك)[١].

والبعج لغةً هو الشق والفتح،(قال الخليل: بَعَجَ بطْنه بالسكين أى شجَّهُ وشقه وخضخضه)[٢]. وكظم: أصل واحد يدل على الإمساك والجمع للشئ والكظم تخرج النَّفس يقال أخذ بكظمه كأنه منع نَفَسَهُ أن يخرج. والكظائم خروق تحفر يجرى الماء فيها من بئر إلى بئر، فهى اذن قنوات مغطاة باطنيه فى الأرض وتصل من مكان إلى مكان فى باطن الأرض وهذا الوصف بنطبق على مانسميه الآن شبكات المياه النقية وشبكات الصرف الصحى إذ هى مواسير تنتقل فيها المياه من موضع الى موضع وهى مكظومة أى مدفونه فتمنع المياه من الخروج من هذه المجارى والمواسير، إلاَّ عند الطلب.

ومن ثم فإن معنى هذه العبارة الواردة فى الحديث عن مكة فى آخر الزمان(إذا رأيت مكة قد بُعجت كظائم) أى شُقَّت بطونها وشُجَّت وخُضْخضْتَ أى نزع مافى هذه الشقوق من أتربة، وفرغت منها لتحل محلها مواسير المياه المضغوطة داخلها

---

(١) أخرجه بن أبى شيبة فى مصنفه. عن اتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ٢ ص١٧٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور.

فتكـون كظائم كما يـكتم الحى نفسـه داخل رئتيه لأن المـكظوم هو المضغـوط وكذلك بنطبق هذا الـوصف على الانفـاق فى باطن جبـال مكة، إذ تم شق باطن هذه الجبـال وفـتحـها وخـضخـضـتهـا بإخراج مـاتم نسفه فى باطنهـا من صـخور ثم وضـعت فيها «التوربينات» وهى المراوح الضخمه لتجديد الهواء فيها فأصبحت بأصواتها أشبه ماتكون بالنفس المكظوم، أى صارت كظائم لانفاسها بالمعنى الأول. ولامانع من القول أن هذا الوصف يصـدق على الاثنين أى على الشـبكات وعلى الانـفاق. ويؤكـد هذا قوله عن امارة مصـاحبة لهذا وهى علو البناء رؤوس جبال مكة وليس سفـوحها فقط. وهذا كله قد حدث فى زمن واحـد لإرتباطهما تقنيا، إذ لو لاشـبكات المياه والصرف الصحى لما أمكن إرتفاع المبانى فوق رؤوس الجبال.

أما قوله : (فإعلم ان الامر قـد أظلك) فهى دليل على بدء عصر الآيات وان الدنيا آذنت بانتهاء. فهذا كله من إمارات الساعـة القريبة والمباشرة لها لان معنى أظلك: أى صار فوق رأسك.

ولم يكن ليتـم البناء على رؤوس الجبال الابهـذه التقنيـات الحديثة والمعـاصرة فى العمران حـتى قامت القُصور الملكية عمـارات عالية متعـدده الأدوار فوق رأس جبل أبى قبيس المطل على الحرم من ناحـية الصفا، وقد نبأ الوحى بهذا الحـدث باعتباره من أمارات السـاعة القـريبه فـيما رواه ابو الوليـد الازرقى فى أخبـار مكة عن يوسف بن ماهك قـال كنتُ جالسـا مع عبدالله بن عـمرو بن العاص رضى الله عنـهما من ناحـية المسجـد الحرام إذ نظر إلى بيت مشـرف على أبى قبيس فـقال: أبيتٌ ذاك؟ قلت:نعم، فقال: إذا رأيت بيوتهـا قد علت أخشبيْها وفجرت بطونهـا أنهارا فقد أزف الأمر)(١) والآن علت بيوتهـا الأخشبيْن وهما الجـبلان العظيمان اللذان يحـيطان بمكة، وتشرب مكة الآن من مياه التحلية المنقولة عبر مواسيـر طولها أكثر من خمسين ميلا من محطة تحلية على شاطئ البـحر الأحمر وهى أنهار تجـرى فى بطون مكة، وهذه الأنهار تدفع بفـعل الضـغط بالمضـخـات الكـهـربائيـة لتـرتفع إلى قـمم الجـبـال حـيث البـيـوت

(١) عن إتحاف الجماعة جـ٢ ص ١٧٢.

والعمارات. وهذاتأويل قوله: ﴿وفجرت بطونها أنهارًا﴾ أي ماءًا عذباً يجرى في بطونها داخل المواسير بفتح الصنابير. وقوله رضى الله عنه:(فقد أزف الأمر) أى قرب وبدأ امر الساعة أى اماراتها القريبة.

وروى الأمام احمد عن جابر رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبره أنه سمع النبيﷺ يقول:(سيخرج أهل مكة منها ثم لايعمرونها (أو لاتعمر إلاَّ قليلا) ثم تعَمر وتمْتلئ وتبنى ثم يخرجون منها فلايعودون إليها ابدًا)(١) .

وقد حدث هذا فى هذا العصر لان المقصود بأهل مكة فى الحديث هم قريش وقد خرجوا منها وانتقلوا الى الآحياء المنشأة حديثا حول مكة القديمة، اما الذين يعيشون فى مكة القديمة وفوق جبالها وبين شعابها، فهم الوافدون للحج والعمرة إذ أصبحت المنازل والبيوت والعمارات حول الحرم كلها فنادق للحجاج والمعتمرين، ويسكنها العمال وغير القرشيين بل غير العرب وغير اهل الجزيرة أى الذين وفدُوا وهاجروا من الهند والسند وجاوة وافريقيا وغيرهم ممن يعملون فى خدمة الحجاج وفى الأشغال اليدوية واكثرهم من الخزر ولايعيش من قريش بين شعاب مكة الا القليل النادر. بل إن توسعة الحرم الشريف شغلت اكثر أرجاء مكة فى العهد النبوى فلم يبق منها مسكونا مأهولا إلا قليلٌ. ولايسكن هذا القليل أهل مكة أى قريشى، وإنما اكثره فنادق الحجاج والمعتمرين والعاملين فيها وفى الحرم. أما قريش فتعيش الآن فى فلل فى أحياء حديثة مخططة خارج مساحة مكة القديمة، وفى مدينة جدة أيضاً.

(٥٦) رصف الطرق بالزفت الأسود امارة على قرب وقوع العذاب بأهل الأرض بزلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى

ومع هذه الأمارات أمارة تخص الطرق، وهى مع سائر الامارات من مقدمات وارهاصات الزلزال او العذاب الذى سينزل بأهل الأرض، هذه الإمارة هى رصف

(١) رواه الإمام احمد فى مسنده وأبو يعلى قال الشيخ النويجرى فيه (قال الهيثمى: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح) جـ٢ ص ١٧١.

الطرق بالزفت الأسود المستخرج من البترول، يدل على هذا ما أورده المتقى الهندى فى كنز العمال(عن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: إذا ظهر السواد فى الأرض انزل الله بأهل الأرض نائبة). قلت يارسول الله: وفيهم أهل طاعة الله؟! قال:نعم ، ثم يصيرون إلى رحمه الله)(١).

ماذا يكون السواد الذى يظهر فى الأرض إلا مايسمى بالزفت الذى يرصفون به الطرق. حتى أنك لاترى فى مدينة عظيمة المساحة مثل القاهرة إلا أرضا سوداء. وكذلك كل مدن الدنيا وكثير من قراها ومن ثم أصبح الظاهر فى أعين أكثر البشر هو السواد.

وماذا تكون النائبة التى تنزل بأهل الأرض كل أهل الأرض أى البشر بما فيهم أهل طاعة الله تعالى إلاَّ زلزال الأرض العظيم.؟! وعذاب يوم القيامة؟!.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك. آمين.

---

(١) كنز العمال للمتقى الهندى حديث ٣١٤٥ جـ١١ صحـ٢٥١.

الفصل السادس

التقدم فى التشييد والبناء وتخطيط المدن ورصف الطرق وشبكات المياه من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٥٣) التصريح فى السنة بالتقدم العمرانى المعاصر

لقد جاءت الإشارة فى كتاب الله تعالى عن تخطيط المدن وتجميلها وزخرفتها وتزيينها باعتبار ذلك كله امارة على قرب مجىء العذاب ووقوع الزلزال والهدم، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(يونس/ ٢٤) وجاء فى حديث الإيمان والإسلام والإحسان ذكر امارة من امارات الساعة وهى (وأن ترى الحفاه العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان)(١) وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال(لاتقوم الساعة حتى يفيض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن وحتى يتطاول الناس فى البنيان)(٢).

وروى الطبرانى فى الكبير عن ام المؤمنين ميمونة رضى الله عنها قالت قال نبى الله ﷺ ذات يوم(ماأنتم إذا مرج الدين وسفك الدماء وظهرت الزينة وشرف البنيان؟!)(٣).

وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) صحيح مسلم ك/ الايمان، ب/ بيان الإيمان والإسلام والاحسان (١/ ١٥٨/ النووى).

(٢) رواه البخارى فى الصحيح ك/ الفتن.

(٣) رواه الطبرانى قال الهيثمى: ورجاله رجال الصحيح وقد رواه أحمد قال الشيخ التويجرى فى اتحاف الجماعة ورواته ثقات حـ٢ ص١٦٢.

تُسْلِمُون﴾(النحل/ ٨١) وقد اتم الله تعالى نعمته على الناس لعلهم يسلمون بأن جعل لهم فى هذا العصر من المبانى الشاهقة الارتفاع كالجبال أكناناً أى شققا لأن الشقة كن والشقق اكنان.

يدل على شيوع الجبال أسلوبا للاسكان فى المدن تلك التى يسمونها عمارات أحيانا أو بنايات أو ناطحات سحاب مارواه ابن أبى شيبة عن على رضى الله عنه أنهم سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟!

فقال: لقد سألتمونى عن امر مايعلمه جبريل ولا ميكائيل، ولكن إن شئتم أنبأتكم بأشياء إذا كانت لم يكن للساعة كثير ليث: إذا كانت الالسن لينة والقلوب جنادل، وظهر البناء على وجه الأرض واختلف الأخَوَانْ، فصار هواهما شتى وبيع حكم الله بيعا)[1] والشاهد فى هذا الحديث ظهور البناء على وجه الأرض، ومعاصرة الأمارات الأخرى فيه لهذه الامارة.

وروى ابن إبى شيبة أيضاً عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: إن من إقتراب الساعة: أن يظهر البناء على وجه الأرض وأن تقطع الأرحام وأن يؤذى الجار جاره)[2].

وظهور البناء على وجه الأرض يعنى كثرته وارتفاعه معا، وهذه الامارة العمرانية يصاحبها امارات سلوكية خلقية وسياسية واجتماعية هى لين الألسن مع موت القلوب وقسوتها وهى مايعبرون عنه فى العصر الحديث بأخلاق (الجنتل مان) المتمثلة فى عبارات رقيقة تقال فى كل مناسبة مع أن الذى يقولها مجرم وسفاك للدماء معتد أثيم، والأخَوَان من بيت واحد، لكل منهما طريق مختلف بل ومعاكس ومضاد للآخرَ كان من أهالى مركز دكرنس محافظة الدقهلية رجل له إبنان معتقلان فى عهد جمال عبد الناصر: أحدهما لأنه من الأخوان المسلمين والآخر لأنه شيوعى.

(وبيع حكم الله بيعا) إن كان الحكم بمعنى الفتوى فمعناه ضلال علماء هذا الزمان إذ يفتون بمايروق للحكام مقابل المنصب، والمال.

---

(١)، (٢) رواهما ابن أبى شيبة. عن إتحاف الجماعة / جـ٢/ ص٢٦.

جراحة التجميل نفس الحكم وأكثر، فهذه التى تغير حجم أنفها بالتصغير أو التكبير تعترض إعتراضًا صريحا على أمر الله وقدره ومشيئته، وهو يكاد يكون كفرا بواحا، وهو طاعة صريحة للشيطان لتغيير خلق الله تبارك وتعالى، لأنه تغيير فى أعضاء رئيسية فى الوجه لتغيير الصورة التى خلقه الله تعالى عليها وقد قال تعالى للإنسان: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(الإنفطار/ ٨) وقال تعالى أيضا﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(آل عمران٦) فكيف يجرؤ مسلم على تغيير خلقته وصورته التى شاء الله تعالى أن يكون عليها معترضًا عليها معيبا لها محاولا اصلاحها وتعديلها ثم يزعم بعد هذا أنه أسلم وجهه لله تعالى؟ إنه يكون بذلك على حافة الكفر والعياذ بالله.

كذلك يمكن اعتبار نقل الأعضاء الآدميه من شخص إلى آخر نوعا من تغيير خلق الله تعالى. لأنه إذا كان نقل الشَّعْر من امرأة إلى أخرى تغييرًا فى خلق الله تعالى إستحقت فاعلته اللعنة، والشعر عضو خارجى، فإن حكم اللعن ينسحب ايضا على من يستعير من غيره عضوا حيويا داخليا، إذ هو أيضا تعبير واضح صريح عن رفض قدر الله تعالى وعدم الصبر،والصبر كما هو معلوم نصف الإيمان.

فإذا كان التبرع من حى إلى حى باختيار المتبرع، فإن الضرر الذى يقع على المتبرع بعد ذلك يدخله فى مرتكب الأعمال الإنتحارية أو إلقاء النفس فى التهلكة وكلاهما منهى عنه، فهو رفض لقدر الله تعالى من الاثنين، وهو حرام من هذا الوجه.

أما نقل الأعضاء من الأموات إلى الأحياء فهو لايصلح من الناحية الطبية، إذ لابد من نقلها من جسد حَيٍّ به قلب ينبض ويضخ الدم فى الأعضاء، ومن ثم ابتدعوا بدعة موت الدماغ، مع بقاء الجسد حيا باستمرار نبض القلب، وينص القرآن الكريم على أن حقيقة الإنسانية وجوهرها فى القلب، والفؤاد فى القلب واللب في الفؤآد والفقه بالقلب والتعقل بالقلب فمن كان قلبه ينبض فهو حى ولايجوز قتله ولايجوز نقل أى عضو منه حتى لو كان دماغه ميتًا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أدى هذا إلى تكوين تجارة محرمة تُديرها عصابات إجرامية تعمل على تنويم دماغ بعض المرضى مع بقاء قلوبهم حية نابضة لتستخدم هذه الأجساد قطعا للغيار تباع تجارة رابحة كتجارة المخدرات.

وقد جاء ذكر هذا بإعتباره أحد الأعمال الإجرامية التى تفشت فى أمريكا قبل هدمها بالزلزال عندما وصفها يوحنا اللاهوتى بقوله(ويبكى تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضاعتهم لايشتريها أحد فيما بعد، بضائع من الذهب والفضة)، ثم يمضى فى ذكر البضائع حتى يقول (وأجسادًا ونفوس الناس)(١) إشارة إلى وجود عصابات فى امريكية تتاجر فى الأعضاء البشرية.

ولأنه نوع من تغير خلق الله تعالى الذى يخرق سنن التوازن والتناسق بين أعضاء الكائن الحى فإن الجسم يرفضه وما المحاولات المستميته من الأطباء لإبقاء العضو داخل الجسم إلا تأجيل موت المريض ثم تعود الحالة المرضية من جديد.

(٥٨) الهندسة الوراثية والتدخل لتغيير خصائص الخلية أخطر تغيير لخلق الله تعالى

وذلك لأن التغيير يحدث فى تكوينات الخلية فهو ليس تغييرا فى عضو ظاهرى أو عضو رئيسى، وإنما هو تغيير فى الوحدة البنائية الأساسية للعضو، ومن ثم للكائن الحى. فكأنه هدم للبناء ثم إعادة البناء بلبنات مغايرة للبناته. وهذا عبث بفطرة الخلق، فيغيرونها بافساد وليس بإصلاح كما يزعمون، لأن الله تعالى قد(أحسن كل شئ خلقه) وأحكمه، فكل خليه فى الكائن الحى متوازنة مع غيرها وكل عضو فيه متوازن ومتوافق مع سائر الأعضاء، وكل عنصر من عناصر تكوينه متوافق ايضا مع باقى العناصر ومتكامل، فالتوازن قائم فى الذات الواحدة، والتوازن أيضًا قائم بين أفراد النوع الواحد، ثم هو ايضا قائم بين جميع الأنواع الحية ثم إن التوازن والتوافق والتناسق علاقات قائمة بين كل ماهو حى وبين العناصر الأخرى غير الحية فى الأرض من الجمادات، والتوازن قائم بين الثوابت من العناصر والأشياء من ناحية

---

(١) رؤيايوحنا اللاهوتى ١٨/ ١-٢٤. وراجع الجزء الأول فصل دمار أمريكا بالخسف الغربى.

وبين المتغيرات كالرياح والامطار ودرجات الحرارة والفصول الأربعة والليل والنهار والبحار والأنهار والصحارى والجبال والاودية والعمار والقفار والارض والغلاف الجوى والسماء والكواكب والشمس والقمر والأرض والنجوم والمجرات، فالتوازن والتناسق والتوافق وايضا التكامل هى جميعا من السنن الربانية العامة الحاكمة للمخلوقات الأرضية والسماوية بأمر الله عزوجل، فإذا كانت السنن الكونية جميعها متناسقة فيما بينها، فإن السنن الحياتية متوافقة معها جميعا بالضرورة، لأنه سنّة داخل مجموعة متكاملة من السنن الكونية، فمن تدخل فيها أو فى واحدة منها بأدنى تغيير أدى هذا إلى خلل فى منظومة السنن، ولايمكن أن يؤدى هذا إلاَّ إلى فساد، وربما لايظهر هذا الفساد مباشرة وبسرعة، ولكنه لابد أن يظهر بعد حين، ويكون تأثيره على كثير من الكائنات وليس على الكائن الذى أحدثوا فيه التغيير وحده، لأن الأحياء نبات وحيوان وإنسان، والبحرية منها والبرية والبرمائية، كلها منظومة واحدة متتابعة كتتابع حبات العقد فى سلكه، إذا هلكت أولها تتابع الهلاك على بقيتها.

أورد صاحب كنز العمال(عن جابر بن عبدالله قال: قلَّ الجراد فى سنة عمر التى وَلِي فيها فسأل عنه، فلم يُخبر بشئ فإغتم لذلك، فأرسل راكبا إلى اليمن وراكباً إلى الشام وراكبا إلى العراق يسأل: هل رُؤِىَ شئ من الجراد أم لا، فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه، فلما رآها كبَّر ثلاثا ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر، فأول شئ يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا انقطع سلكه)(١).

وقد ثبت انقراض بعض الأنواع مما حدا بالمهتمين بالبيئة بالعمل على حماية انقراض بعض الأنواع الأخرى بما ينشئونه من محميات طبيعية.

لقد ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايد ى البشر، بسبب الطمع وطلب الغنى السريع والربح بأى طريقة وبأى سبيل.

---

(١) رواه نعيم فى الفتن، وابوالشيخ في العظمه؟ في الكنز جـ١١ رقم ٣١٤٨٤.

فَعَلى سبيل المثال نجد أنَّ التغيير الذى أحدثوه فى بعض ثمار الفاكهة بالهرمونات التى تُضَخِّمُها أدى إلى إصابة من يأكلها بأمراض خبيثة. كما ثبت أن الاسمدة الصناعية التى توضع فى التربة تؤدى إلى زيادة عناصر أكثر من المطلوبة فتفسدها، كما أدت محاولة تضخيم أحجام وأوزان الدجاج بالهرمونات إلى أمراض الفشل الكلوى والكبدى. وتسببت عقاقير منع الحمل إلى أمراض خبيثة للمرأة وتشوهات فى الأجنة وكثرة التوائم، وأدى استخدام انواع معينة من الغازات الصناعية إلى ثقب الأوزون وزيادة حرارة الأرض.

وأدى تلوث الأنهار والمياه بعوادم ومخلفات المصانع وعوادم السيارات الى امراض خطيرة أصابت البشر، وأدى استخدام المبيدات الحشرية إلى أضرار بالغة على صحة الانسان والحيوان.

وأدى تلوث البحار بمخلفات السفن وغرق حاملات النفط إلى موت كثير من الأحياء البحرية. وإنقرضت أنواع من الحيوانات والأحياء البحرية والبرية وهذا من امارات الساعة، لأن الأحياء سلسلة متصلة إذا إنقطعت بعض حلقاتها ادى هذا إلى هلاكها جميعا، كما ذكرنا من قبل .

وأخطر مايتم من تغيير فى خلق الله تعالى ويهدد بالفناء هو مايسمونه بالهندسة الوراثية. وهذا مايتوافق مع توصلوا إليه فى العشرين سنة المنصرمة فى مجال علم الأجنة وعلاج العقم حتى ظهرما يُعرف بمشاتل الأجنة فى الأرحام المستأجرة ووكالات تأجير الأرحام فى امريكا واوربا، وذلك حسب ما أعلنت عنه جريدة «المسلمون» عن هذا فى أحد أعدادها.

وقد بدأت هذه الابحاث منذ عام ١٩٧٨م عندما أعلنوا عن «طفل الأنابيب» إذ تمكنوا من تلقيح بويضة أنثى بحيوان منوى صناعيا، ثم تمكنوا من نقل الخلية الملقحة إلى رحم الأنثى وزرعها فيه ليأخذ بعد ذلك مراحل النمو والولادة حسب السنة الاعتيادية، وبالرغم من أن البويضة الملقحة لاتمكث فى الأنبوب اكثر من بضع ساعات إلاَّ أن أجهزة الأعلام الالحادية ضخمت من هذا الاكتشاف وأطلقوا على

المولود بهذه الطريقة «طفل الأنابيب» تضليلا للناس بالايهام أن العلماء توصلوا إلى تصنيع الأطفال والبشر بالرغم من أن هذه العملية لاتتعدى أن تكون علاجاً لحالة من حالات عقم المرأة وهى حالة انسداد قناة فالوب.

ومع أن هذه الابحاث بدأت عام ١٩٧٨م إلا أنها إستمرت حتى توصلوا بعد هذا إلى زراعة البويضة الملقحة من الزوج فى رحم مستأجر ليس هو رحم صاحبة البويضة.

لكن فى سنة ١٩٧٨، أيضا وقبلها بقليل زادت ثروة دول الخليج أضعافا مضاعفة وبخاصة أهل السعودية الذين كانت الغالبية منهم يعيشون فى الخيام فى البادية لممارسة الرعى والذين كانوا يعيشون فى المدن كانوا يسكنون أكشاكا يسمونها(صندوقة) من الخشب والصفيح، ولم تكن مدن السعودية مدنا ولاحتى قرى بمفهوم المدينة أو القرية كمجمعات سكنية مخططة تتمتع بالكهرباء وشبكات المياه أو الصرف الصحى والطرق وغير ذلك ، وإنما كانت المدينة مجموعة من المبانى المبعثرة هنا وهناك وكذلك القرية وكان أكثرها من الطين.

وكان البدو فى شبة الجزيرة حفاة عراة، لايتمتعون بأى حقوق أو مزايا حضارية كالتعليم والعلاج ومياه الشرب النقية وغير ذلك.

فلما ارتفع سعر البترول بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ من خمسة دولارات للبرميل إلى اربعين دولارا وزاد ضخ البترول وتضاعف عليه الطلب تضاعف دخل دول الخليج البترولية عشرات المرات. وبدأ التخطيط لنهضة حضارية شاملة وبخاصة فى السعودية وبدأت القفزة الحضارية فى جميع المجالات بلا استثناء، ومن ثم رأيت بعينى هؤلاء البدو وسكان الأكشاك ينتقلون للعيش فى «فلل» من دورين مهيأة بجميع وسائل الحياة المدنية الحديثة من مياه شرب وصرف صحى وكهرباء ومكيفات وأجهزة الكترونية وأثاث جيد فخم.

بل تفشت بين السعوديين وغيرهم من أهالى دول الخليج التنافس على بناء القصور، لأن الناس على دين ملوكهم، وقد غالى الملوك والامراء والشيوخ فى بناء القصور وبدأت العمارات الشاهقة ترتفع فى أحياء الرياض الجديدة وجدة و«أبوظبى» و«دبى» «ومسقط» و«قطر» وسائر هذه البلاد.

لقد بدأت فعلا هذه النهضة العمرانية حوالى عام ١٩٧٨ وبدأت تتنامى ولازالت حتى الآن أى فى نفس سنة الاعلان عن ماأَسْمَوْهُ «بطفل الأنابيب» التى انتهت بعد سنوات إلى ظاهرة شتل الأجنة فى الأرحام المستأجرة.

مالعلاقة بين هذا وذاك؟ بينهما ارتباط زمنى كما رأينا، فالحدثان متعاصران بل متزامنان.

هذان الحدثان جمعهما رسول اللهﷺ باعتبارهما امارتين بارزتين على الساعة فى حديث الاسلام والايمان والاحسان المشهور، إذ سأل جبريل عليه السلام المصطفى ﷺ عن موعد الساعة فقال (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)

فقال: فما أمارتها؟

قال: ان تلد الأمةُ ربَّتَها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان)(١).

فما معنى أن تلد الأمةُ رَّبَتَهَا- وفى رواية ـ ربَّها، للإجابة على هذا السؤال نقول: كل ما قاله السابقون فى شرح هذه الإمارة غير صحيح، لماذا؟

أولا: لأن هذه الأمارة متعاصرة مع تطاول فقراء ورعاة الجزيرة فى البنيان، وليس افقر من الراعى الحافى العارى يسير خلف الغنم لقاء لقيمات يقمن اوده، وقد ظلوا كذلك حتى عام ١٩٧٨ وبدأوا فى البناء من بعد عام ١٩٧٦/ ١٩٧٧، نفس زمن ما أطلقوا عليه أطفال الأنابيب.

ثانياً: لأن الأمارة تعتبر علامة على قرب الساعة الشديد كما بيَّنَّا من قبل، وهذا واضح من سياق الحديث، إذ سأل جبريل عليه السلام عن موعد الساعة ومن ثم يكون معنى الامارات الاحداث التى تسبقها مباشرة، ولايبقى بعد حدوثها كثير لبث وكل ما فَسرَّوا به هذه الإمارة: مثل قولهم عقوق البنت لأمها أو إسترقاق البنت والابن لامهما، هو من الامور المعتادة منذ القدم حتى قبل الإسلام، ولما جاء الإسلام قلل من حدوثه بحثه على بر الوالديّن.

(١) صحيح مسلم/ ح ٥٩.

فالحدث لم يكن قد حدث قبل الإسلام ولابعده لأنه من أحداث آخر الزمان ويزامن حدوثه تطاول فقراء الجزيرة فى البنيان، وهو مالم يحدث منذ بعث النبىﷺ إلا فى السبعينات من هذا القرن أى بعد عام ١٩٧٤م ومن ثم فالتفسير الصحيح القطعى لهذه الإمارة هو ظاهرة إستئجار الأرحام، وهى ظاهرة لأنها أصبحت أمرا قائما معترفا به قانونا فى المجتمعات الغربية حيث تقوم الأسرة الثرية بالاتفاق القانونى المكتوب، من خلال وكالات مخصوصة، مع امرأة شابة لحمل بويضة الزوجة الملقحة من زوجها عن طريق زرعها فى رحمها نظير أجر معلوم، بعد أن توقع هذه المرأة الشابة على بنود فى العقد تنص على أنه ليس لصاحبة الرحم المستأجر الحق فى المولود وعلى إقرارها بأنه ابن للأسرة التى دفعت لها الأجر لزرع البويضة فى رحمها، وليس ابنا لها ولا تُقْدم على إستئجار رحم غيرها المرأة العاقر فقط، بل تفعل ذلك المرأة الولود الثرية هربا من آلام ومتاعب الحمل والولادة تفضيلا للراحة مع ارضاء دافع الأمومة عندها دون أن تحمل وتلد مادام الأمر لايكلف إلا بعض المال الذى تملك منه الكثير.

ومن ثم صارت هذه العملية ظاهرة من الظواهر الطبية التقنية البشرية المعاصرة ولامانع أن تتفق الأسرة مع الأجيرة لارضاع الطفل أو الطفلة بعد الولادة نظير أجر مقابل الارضاع أيضا، ونظير تربيته أيضا، لكن مع هذا كله ليس للمرأة الشابة التى أجرَّت رحمها أن تَدَّعى امومتها للطفل أو الطفلة، لابحكم الحمل ولابحكم الولادة ولا بحكم الإرضاع ولابحكم التربية لأنها فى جميع الأحوال أجيرة.

ولما كان الأجير اليوم هو البديل للعبد قديما، والأجيرة بديلة للأمة. فإن هذه المرأة الشابة التى رضيت أن تؤجر رحمها نظير مبلغ من المال تكون أمة عند اللذيْن دفعا لها الأجر أى الوالدين، ولما كان الوالدان صاحبا البويضة الملقحة قد أستاجرا هذه المرأة للجنين، فإنها تكون أمة له، وهو فى رحمها وتكون أمة له وهى تلده، وليست فى نفس الوقت أجيرة أو أمة عندهما، إذ ليس لهما الحق فى أن يكلفاها بأى عمل آخر. وهذا مانص عليه الحديث الشريف بدقه بياينة معجزة.

ألم يقل الصادق المصدوق ﷺ (أن تلد الأمةُ ربّتَهَا)؟ أى أنها وهى تلدها هى أمتُها والمولودة ربتّها لأن والديْها دفعا الأجر وإستأجراها لها، وفى رواية(أن تلد الأمة ربّها) لأنه احيانا يكون أنثى وأحيانا يكون ذكرا، كالعادة.

أما التفسير بالعقوق للأم فيدل على استرقاق البنت لأمها بعد أن تصبح البنت شابة والام عجوزا. أما صياغة النبأ فى الحديث فتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الوالدة تكون أمة للمولودة ساعة الولادة، وهذا يطابق بالقطع ظاهرة شتل الأجنة وإستئجار الأرحام وانتشار وكالاتها فى الحياة الغربية، وحتى وهى ترضعها وتربيها لاتستطيع أن تزعم أنها أمها، ولايحق لها ذلك لأنها فى جميع الأحوال أجيرة عندها وإن كانت قد ولدتها.

والعجيب أنه ليس فى تشريعات وقوانين الحياة الغربية العلمانية مايمنع بعد ذلك أن يتزوج المولود من هذه التى ولدته، لأنها ليست أمه قانونا بالرغم من حملها له وولادتها إياه. وهذا يظهر لنا عظمة التشريع الإسلامى وكماله وصلاحيته لكل زمان ومكان إذ حرَّم من الرضاعة مايحرم من النسب، وإذ جعل المرضعة أماً ثانية، ولاشك أن المولود الذى تكوَّن جسده من دم إمرأة فى رحمها هو إبنها بما هو أعظم وأقوى من الرضاعة، فهى أمه بالحمل وإن لم تكن له أما بالعصب.

وهذه الإمارة التى لم تحدث إلا بعد رحلة طويلة من التقدم العلمى والتقنى فى مجال علميْ الأحياء والأجنة هى من الأحداث التى تحدث قبل الساعة مباشرة بنص الحديث الذى رواه أحمد عن عامر رضى الله عنه وفيه (فقال: أن شئت حدثتك بعلامتين تكونان قبلها، فقال حدثنى.

فقال: إذا رأيت الأمة تلد ربّها ويطول أهل البنيان بالبنيان، وعاد العالة الحفاة رؤوس الناس قال: ومن أولئك يارسول الله قال: العُرَيْب.) والعريب تصغير العرب الحفاة العراة أقل العرب شأنا صاروا رؤوس الناس أي ارتفع شأنهم بأموال بترول الخليج.

ففى قوله ﷺ (بعلامتين تكونان قبلها) دليل قطعى الدلالة على أننا الآن أى أواخر القرن العشرين الميلادى قبل القيامة الصغرى مباشرة.

(٥٩) من إمارات الساعة فى العلوم الطبيه وعلوم الحياة ما أطلقوا عليه إستنساخ الكائن الحى الذى حدث أوائل عام ١٩٩٧م

أما الأمارة التى تتصل بالأمارة السابقة الخاصة بشتل الأجنة وتأجير الأرحام، إذ تعتبر امتداداً لها، فهى تزويج النفس الحيَّة والتى جاء ذكرها فى قوله تبارك وتعالى فيما ذكره من أمارات للساعة(وإذا النفوس زُوِّجت) وهذه الأمارة هى ماعرف فى الإعلام فى أوائل عام ١٩٩٧ باستنساخ الكائن الحى متمثلا فى أول نجاح لهم فى هذا المجال فيما أطلقوا عليه(النعجة دوللى) وهو من نتائج أبحاث وتجارب الهندسة الوراثية مع الاستفادة من نتائج شتل الأجنة.

وبيان هذا أن الكائن الحى: سواء النبات أم الحيوان أم الإنسان يخلقه الله تعالى بسُنَّة واحدة وهىْ: تخليقهم من ذكر وأنثى أجنة فى الأرحام أطواراً حتى إكتمال النموْ ثم الولادة.

والخلق من ذكر وأنثى يستتبع أن يكون الجنين وارثا لنصف خصائصه الحيوية من أمه وللنصف الثانى من أبيه، وهذا يستتبع حتما أن يأتى المولود مختلفا عن الأم، وكذلك مختلفا عن الأب، أى لأنه يستحيل- حسب هذه السنة الحياتية التى هى وراثة المولود جميع خصائصه الحيوية من الأب ومن الأم معا، ولس من واحد منهما فقط، أقول: إنه يستحيل أن يأتى المولود صورة طبق الأصل من الأب، كما يستحيل أيضا أن يأتى صورة طبق الأصل من الأم. لأنه يأخذ نصف الخصائص من الأب والنصف من الأم.

ومن ثم يمكن القول بأن سنة الله تعالى فى الخلق هى الفردانية وبصفة خاصة بالنسبة للحيوانات الثدية التى تتجلى فيها قوانين الوراثة بوضوح، فلا يأتى مولود مثل أحد والديه وإنما لابد أن يكون فيه منهما معاً. وبالتالى يستحيل أن يأتى مولود من بنى آدم مثل الآخر، أو صورة طبق الأصل منه، لامِنَ الأب ولاَ مِنَ الأم ولاَ مِن شقيقه، ولو كان تَوْأَمَهُ.

وهذه الفرادنية تتجلى فى البشر أكثر من غيرهم من الأنواع الأخرى، أى يمكن ملاحظتها بسهولة فيهم، فلايوجد فرد من أفراد البشر يشترك مع غيره فى خاصية من

خصائصه الحيوية: لافى بصمات الأصابع، ولافى شكل القدم، ولا العينين ولاحتى فى ذبذبات الصوت، فالفرادانيه هى السنة الشاملة لكل الكائنات الحية ويكمن سر هذا فى أن المخلوق الفرد الحى يأتى من ذكر وأنثى أى يرث خصائصه من إثنين وليس من أصل واحد. لأنه لو ورث خصائصه من أصل واحد لجاءت جميع هذه الخصائص صورة طبق الأصل من الموروث منه، ومن ثم يكون المولود نسخة طبق الأصل من والدته شأنه فى هذا شأن الكائن الحى البسيط الذى هو الاميبا المكون من خليه واحدة ليس فيها ذكر وأنثى، وإنما تتكاثر بالانقسام، وعندما تنقسم تكون الخليتان الجديدتان المنبثقتان عن خلية واحدة كل منهما صورة طبق الأصل من الخلية الأصل، وذلك لأن كل واحدة منهما جاءت من أصل واحد.

فلو أمكن بإذن الله تعالى ومشيئته وقدره، وبسلطان العلم الذى يُمَكِّن الله تعالى به الإنسان من تغيير خلق الله تعالى إبتلاءً له، أن يعمل على إنتاج كائن من أنثى فقط وليس من الاثنيْن أى بخلاف السُّنَّة، فإن هذا الكائن الناتج من أصل واحد، لابد من أن يكون صورة طبق الأصل من أمه، أو من أصله الذى نتج عنه. وهذا ماحدث فى إنتاج النعجة دوللى، إذ أخذوا الخلية الأنثوية أى البويضة من أمها،ثم أخذوا خلية أخرى من ضرع هذه الأم وفرغوا هذه الأخيرة من عواملها الوراثية وأبقوا عليها حيث إستعملوها باعتبارها وعاءا للبويضة، ثم بوسائل علمية توصلوا إليها عن طريق التجارب زرعوا هذه الخلية فى رحم النعجة الأم فنما الجنين حتى أكتمل وولدت الأم الشاة دوللى، فإذا بها صورة طبق الأصل فى كل الخصائص الحيوية من أمها. حتى أنهم لاحظوا بعد بضعة أشهر أن النعجة المولودة سارعت في المشيب حتى ظهرت عليها أعراض عمر أمها.

ومن ثم اطلقوا على هذه العملية اسم الاستنساخ، وهو لفظ دقيق مطابق لما أُطلقَ عليه. لأن الإستنساخ لغةً هو كتابة صحيفة مرة ثانية كما هى أو هو تصوير هذه الصحيفة لتكون نسخة طبق الأصل منها، والآن: نطرح سؤالا هاما! ماهى النفس الحية؟

الإجابة: هى الجوهر الحامل لجميع الخصائص الحيوية للكائن الحى، وهذه الخصائص هى التى تصاحب الكائن منذ بدء تكونه حتى إنتهاء حياته.

وعلى هذا فكل نفس حية لابد أن تكون فردانية، ليس لها مايطابقها فى جميع خصائصها الجسدية والعقلية والعاطفية والنفسية والخلقية لافى المكان ولا فى الزمان أى منذ بدء الخلق وحتى نهايته.، مادام كل حى يأتى من ذكر وأنثى.

أما هذه التى نتجت عن التغيير فى خلق الله تعالى، فقد جاءت مخالفة لسنة الفردانية فى الأحياء، إذ جاءت طبق الأصل لامها، نفس مستنسخة من نفس، فصارت هذه النفس زوجا بعد أن كانت الأم نَفْسًا فردانية كسائر الأحياء.

ولما لم يكن من المتصور أن تكون نفس الكائن الحى زوجا حسب سنة الفردانية فى الأحياء العليا، فإن حدوث هذا التغيير فى الخلق وإن كان قد تم بإذن الله وقدره ومشيئته الكونية، إلاَّ أنه يعتبر خرقا للفرادنية باعتباره تغييراً فى خلق الله تعالى، ومن ثم فهو إستجابة لأمر الشيطان، وبهذا تم تزويج نفس النعجة بانتاج نفس أخرى مطابقة لها وهذه إمارة من الامارات التى أنبأبها الله تعالى فى كتابه بقوله(وإذا النفوس زُوِّجَتْ). إن النعجة دوللى كانت نفسا فردانية ولما أنتجوا نفسا مثلها طبق الأصل صارت زوجا وتتوالى التجارب فهى نفوس ستُصبح أزواجا بعد أن كانت أفراداً.

وكل ماجاء بعد«إذا» فى سورة التكوير من الامارات هو مما يحدث فى الدنيا قبل قيام الساعة كما ذكر المفسرون، بل هى دليل على القرب الشديد للقيامة.

وتزويج النفوس هو إستجابة البشر لإبليس بتغيير خلق الله، إذ تمكنوا بقدر الله وبإذنه من إستنساخ النعجة من أمها وصارت هذه النفس زوجا بعد أن كانت فردانية وهى إمارة من إمارات زمن العجائب فى مجال العلوم الطبية. وبعض الشياطين من العلماء يصرحون أنهم سيحاولون ذلك فى الجنس البشرى، وهذا من أظهر الأعمال الموجبة لنزول العذاب لتدمير معاملهم قبل أن يعبثوا بذرية آدم خليفته فى الأرض.

(٦٠) التقدم فى مجال الجراحة بعامة والولادة بالقيصرية بخاصة من امارات الساعة

ومن امارات الساعة الطبية التقدم فى مجال الجراحة، فقد أخرج ابن أبى شيبة

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: لتؤخذن المرأة فليبقرن بطنها ثم ليؤخذن مافى الرحم فلينبذن مسخافة الولد)(١) قال ابن منظور فى اللسان (وأصل البَقْر: الشق والفتح والتوسعة) فالمعنى اللازم من صياغة الحديث على هذا الوجه هو العملية الجراحية المعروفة بالقيصرية حيث يتم فتح بطن المرأة واستخراج الجنين من رحمها مع المحافظة على حياتها، وإلاَّ لوكان مقصد أبى هريرة بقربطنها لقتلها وقتل جنينها لما كان ثمة ضرورة لبقر بطنها واستخراج الجنين مخافة الولد، ولقال«لَتَقْتَلَنَّ المرأة مخافة الولد»، وحيث أن مجئ الفعل بصيغة المضارع مع لام ونون التأكيد يفيد تكرار الفعل والاعتياد عليه، وآخر الحديث يدل على أن مافُعل بها ليس لقتلها ولكن للتخلص من الجنين فقط، فإن تأويل الحديث القاطع لايكون إلاَّ بالعمليات الجراحية التى يتم فيها شق بطن المرأة وإستخراج الجنين مع بقاء المرأة حية بعد ذلك بسبب التقدم فى مجال الجراحة ولم يكن هذا مُتَصوراً فى عهد الصحابة إذ كان يموت حتما الذى تبقر بطنه، وتموت حتما التى يُبْقَرُ بطنها.

وعلى هذا فالحديث يدل على التقدم الجراحى الطبى باعتباره إمارة من أمارات الساعة. وهو يحمل أيضا امارة خلقية لأن المرأة التى تريد أن تتخلص من جنينها غالبا مايكون حملها سفاحا وصياغة الحديث الشريف تفيد شيوع هذا الفعل، ودلالته شيوع الفاحشة وشيوع الإستهانة بالقتل.

لقد ظن الأشرار أنهم قادرون علي صناعة الحياة ، وتجرأوا على تغيير خلق الله إستجابة للجبت والطاغوت، وإن لم يقلعوا ويرجعوا للخالق جل وعلا، فسيأتيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟ آمين.

الفصل الثامن

آبار البترول وحقول الغاز الطبيعى واستخداماتهما من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٦١) التفسير اللغوى المحض للبحر المسجور يصدق على آبار البترول وحقول الغاز الطبيعى أكثر من أى شئ آخر

كل ماذكرناه فى المخترعات الحديثة يعمل بمشتقات البترول، حتى الكهرباء: التى هى الطاقة الرئيسية لكثير من الأجهزة مصدرها البترول. ومن غير البترول ومشتقاته ماكانت هذه الحضارة، ولاشك أن البشرية ستنتكس حضاريا إذا نضب النفط فى بحاره الباطنية وجفت آباره، إن لم يجدوا البديل الذى يحل محله فى القوة وفى قلة التكلفة. فهل ورد عنه ذكر فى القرآن الكريم والسنة باعتبار أهميته القصوى لحياة الإنسان المعاصر؟!

لقد سبق ذكر آثار البترول ومشتقاته فى اكثر من موضع:

أولا: الاشارة إلى النفط فى قوله تعالى﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾(٩-١٠/ فصلت) وفى هذا إشارة إلى أن الله تعالى قدّر أقوات الأحياء جميعا الذين سيعيشون على ظهر الأرض أجيالا بعد أجيال منذ بدء الحياة إلى قيام الساعة. وقد ثبت لنا أن الله تعالى وتبارك يرزق الناس والأحياء طعامهم بتوسع الإنسان فى الزراعة بالآلات التى لولاها لما زرع الإنسان هذه المساحات الشاسعة من القمح والحبوب وغيرها من الاغذية للإنسان وللأنعام.

ولما كان البترول هو الطاقة الرئيسية بل ويكاد يكون الطاقة الوحيدة لتشغيل هذه الآلات الزراعية والصناعية ووسائل المواصلات والنقل عبر القارات والمحيطات، فإن البترول يدخل فى قوله تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾.

لقد خلق الله تبارك وتعالى الأرض فى يومين وقدر فيها اقواتها ايضا فى هذين اليومين وفى يومين آخرين، أى أن تقدير اقوات الخلق بدأ منذ اللحظة الأولى لخلق الأرض، ومن ثم استغرق تقدير أقوات الاحياء فى الأرض أربعة أيام، لان من تقدير الأقوات تهيئة الأرض بكيفية محددة تضاريسا وطقسا وسننا حاكمة لهذا وذاك، ومن ثم بدأت التهيئة منذ بدء الخلق. ومن تقدير الاقوات توفير النفط فى باطن الأرض ثم تمكين الانسان من استخراجه وتكريره وإستخدامه عندما يكون عدد البشرية فى حاجة إليه.

ويفسر العلماء وجود بحار البترول فى باطن الأرض بأنه عصارات زيتية لاشجار عملاقة سادت الأرض ملايين السنين عاشت بها وعليها كائنات عملاقة مثل الدنياصورات ثم حدثت أحداث جيولوجية جعلت كل هذه النباتات والحيوانات العملاقة فى باطن الأرض وبفعل الضغط والزمن تحللت وأصبحت هذا السائل الزيتى. وهذا من تقدير الله تعالى لاقوات الأحياء فى الأرض وتؤكده نصوص أخرى تأتى لاحقا.

ثانيا: قوله تبارك وتعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (١-٥/ الاعلى) (أخرج عبد بن حميد وابن ابى حاتم عن إبراهيم فى قوله (والذى اخرج المرعى) قال: النبات. وأخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس فى قوله : فجعله غثاء أحوى، قال غثاء السيل، وأحوى قال: أسود)(١).

وهذا مايـنطبق تماما على صفات البترول وخصائصه، لانه إذا اختلط بالماء صار فوقه وعلى سطحه وهو الغثاء، ويرجح هذا أنه غثاءأسود لأن غثاء السيول العادية لايكون أسوداً لأنه قش ؟ وتبن وفقاقيع بينما البترول هو الذى إذا إنساب على المياه يطفو فيكون غثاءا ولكن أسود.

كما أن أصله- كما نصت الآيات- النبات، حسب ماقرر العلماء فهو سبحانه

---

(١) السيوطى / الدرالمنثور جـ١ صـ٣٧٨.

(الذى قدَّر فـهدى والذى أخرج المرعـى فجعلـه غثاء أحوى) أى قدر أقـوات الناس وأخرج الأشجار العملاقة ثـم جعلها زيتا أسوداً يطفو فيكون غـثاء أسوداً على سطح الماء. وحيث أهم طرق إستخراج البترول وأكثرهـا استخداما هى ضخ البئر بماء البحر حتى يطفو البتـرول داخل البئر على سطح الماء لأن كثافته أقل ثم بـعد ذلك يتم سحبه بالمضـخة، والفائدة مـن هذه الطريقـة التخلص مـن الأتربة المختلـطة بالبتـرول والتى أحيانـا يشكل معهـا قوام شبيه بالـطين. والخلاصة أنه لابـد من أن يصبح البـترول فى باطن أرض عـائما فوق الميـاه حتى يتم سـحبه بدون طين لأن مـياه البحر تـذيب هذا الطين. ومن ثم يكون غثاءاً أحوى أى أسوداً.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

عن السُّدِّى قال: فُتحتْ وَسُجِّرَتْ وهذا لايتطابق إلا مع كون هذه البحار فى باطن الأرض تستخرج ثم تَسُجَّر.

وعن ابن عـباس رضى الله عنـهما (وإذا البحـار سُجرت) قال تُسَجَّر حتى تـصير نارا، وهـذا هو الذى يتـم بأكثر وأهـم مشتـقات بحار الـبترول، فى بـاطن الأرض إذ تسجر في وسائل المواصلات والمولِّدات الكهربائية وخلافه. وعن شمَّر بن عطية قال: (تُسَجَّر كما يُسجَّر التنور)[٢] ومن استخدامات المازوت إشعـال افران الخبز وغيرها والتنور هـو الفرن، هذه التأويـلات يتطابق تمامـا على آبار البتـرول فى باطن الأرض، ومثل هذه الآية قوله تعالى مقسما بـهذا البحر فى باطن الأرض بقوله تعالى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٦/ الطور) كما سنرى التفسير اللغوى المحض.

رابعاً: قولـه تعالى ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾(الطور/ ١-٦)[١].

أما أقوال المفسرين فى قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ فقد أخرج ابن جرير وابن

(١) سنعود لتفسير الامارات الـواردة فى القَسَمْ الإلهى بالطور ومابعده ونكتفى هنا بالـقسم بالبحر المسجور لصلته بموضوع الفصل ودلالته على البترول والغاز الطبيعى.

(٢) السيوطى/ الدر المنثور / ٦ ص٣٥٥.

أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: المحبوس. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ . قال: المرسل. وأخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله:﴿والبحر المسجور﴾ قال: الموقَدُ، وأخرج أبو الشيخ عن كعب فى قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: البحر يُسجر فيصير جهنم. وأخرج ابن جرير عن قتادة فى قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: المملوء وايضا عن ابن عباس فى قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: الفارغ ،خرجت أَمَةٌ تستسقى فرأت الحوض فارغا فقالت: الحوض مسجور.

فما هو البحر الذى تجتمع فيه الصفات والأحوال الآتية: محبوس ومرسل، مملوء وفارغ، ويوقد فيصير جهنم أو مثل جهنم.؟ ويُسجر مثل التنور، وهو محبوس حتى يُفتح ثم يُسَيَّر حتى يصير فارغا.

أليس هو بحر البترول؟ وأليس هو بصفة أخص حقل الغاز؟ لأن المحبوس هو المضغوط، والمرسل هو الذى يجرى فى أنابيب من حقله إلى موضع تكريره وتوزيعه وإستعماله وهو مملوء يوم اكتشافه وهو فارغ بعد استخراج كل مافيه. وهو فوق هذا وذاك مصيره الاشتعال. وهل من مصدر لهذه التأويلات التى تحققت فى عصرنا إلا الوحى؟!

وأول القسم فى السورة بالطور وكتاب مسطور وأخره بالبحر المسجور والمقسم عليه هو(أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع).

فالمقسم به مقدمات الزلزال والعذاب، والمقسم عليه هو الزلزال العظيم والخسوف الرهيبة وأحداث القيامة.

ومن ثم فَعَصْر البترول والغاز الطبيعى هو عصر الزلزال ونزول العذاب قبل الساعة أى عصر القيامة الصغرى.

ويؤكد هذا قوله تعالى(وإذا البحار سُجِّرت) «وإذا» الشرطية تدل على أن تسجير البحار حدث من إمارات الساعة وقد حدث فى نهاية الحرب العالمية الثالثة. ضد

العراق التى يسمونها حرب تحرير الكويت إشتعال أكثر من ثمانمائة بئر بترول كويتية ظلت شهورا عديدة لأول مرة فى تاريخ البشرية وصعدت سحابة كثيفه سوداء من هذا الحريق غطت سماء الكويت وحجبت ضوء الشمس فأضاءوا المصابيح نهارا وأمطرت السحب مطرا أسودًا.

وهو بحر مسجور أى مشتعل فى مواضع إستخدام مشتقاته إذ يرسل من مَحْبسه الذى ظل فيه ملايين السنين إلى معامل تكريره ثم إلى المواقد والمواتير والمولدات والسيارات والطائرات والسفن وغير ذلك من المواضع التى يستخدم فيها مشتقات البترول وايضا الغاز الطبيعى.

خامسا: فى حديث البخارى عن أول أشراط الساعة قال ﷺ (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[١]. وقد فسرها العلماء بأنها فتنة حرب والنار نار حرب، وقد صدق هذا الوصف على أحداث العراق والكويت والحرب العالمية الثالثة. ولكن ورد من العلامات التى تدل على قرب مجئ المهدى (نار عظيمة من المشرق تطلع ليالى)[٢]. وورد فى سفر دانيال قوله عن قديم الأيام أى المهدى المنتظر (نهر نار خرج وجرى قدامة)[٣] إشارة إلى جريان البترول بالضخ فى أنابيب وارساله من الابار الى المعامل ثم إلى الاستخدام. وهل يتصورا أحد نهرًا من النار الاّ أن يكون سائلا شديد الاشتعال؟. وهل من سائل شديد الاشتعال إلا من البترول؟!

سادسا: ورد ذكر صريح ايضا للبترول واستخراجه من بلاد العرب واستخدامه فيما رواه الأمام أحمد عن زيد بن أسلم عن رجل من بنى سليم عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ستكون معادن يُحضرُّها شرار الناس)[٤] وشرار الناس هم الروم كما دلت على هذا الوصف لهم آثار كثيرة، وهم الذين ستقوم عليهم الساعة،

---

(١) صحيح البخارى / ك الفتن/ ب ٢٤، وكذا أخرجه أحمد والنسائى.

(٢) عقد الدرر فى أخبار المهدى المنتظر / للمقدسى/ ح رقم ١٧٠.

(٣) سفر دانيال / إصحاح ٧/ عدد ١٠.

(٤) رواه أحمد فى مسنده/ عن اتحاف الجماعة للتويجرى جـ٢ ص ١٨٣.

وهم الذين يُحَضِّرون البترول: اكتشافا وإستخراجا وتكريرا ونقلا، اذ أنهم أصحاب هذه التقنيات واكثر المنتفعين به.

١ – وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أُتِىَ النبىﷺ بقطعة من ذهب كانت أول صدقة جاءته من معدن لنا فقال إنها ستكون معادن وسيكون فيها شرار الخلق)[١] فقال معادن ولم يقل ذهب، ولم يقل معدن بالافراد، وذكر فيها شرار الخلق، ولم يرد على الجزيرة العربية مشركون الا الانجليز ثم الأمريكان فى نهاية الحملة الصليبية الاستعمارية الأخيره التى تم اكتشاف البترول فى آخرها.

٢ – وعن ابى غطفان قال سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول (تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه شرار الناس يقال له: فرعون، فبينما هم يعملون فيه إذ حسر عن الذهب، فأعجبهم معتمله إذ خسف به وبهم)[٢] والخسف- والله أعلم- غالبا فى الزلزال، وربما يكون هو خسف جزيرة العرب، وقوله: (فبيناهم يعملون فيه) أى خلال سنوات كثيرة، وقوله (فأعجبهم مُعْتَمَلَه) أى أنهم أعجبوا بما أخرجته المعامل وأثره على حياتهم فأحبوه واعتمدوا عليه فى حياتهم وترفهوا بسببه وقوله (إذ خسف به وبهم) يؤيده ورود آثار عن خسف بجزيرة العرب، وآثار أخرى عن خسف بشرق الجزيرة وهو مكان الآبار فى الخليج.

والحديث يشير إلى استمرار البترول حتى يتم الكشف عن الذهب، ربما – والله أعلم- هو جبل الذهب الذى سينحسر عنه الفرات.

٤ – وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال سمعتُ رسول اللهﷺ يقول:(يظهر معادن فى أرض بنى سليم يقال له: فرعون وفرعان «وذلك بلسان أبى جهم قريب من

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط. قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح. انظر اتحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٣.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى وأبده فى صحته. ورواه نعيم فى الفتن أيضاً انظر اتحاف الجماعة جـ ١٢ ص ١٨٤.

السوء» يخرج إليه شرار الخلقٌ أو (يحشر إليه شرار الناس)(١).

ومما يؤكد أن المقصود بالمعادن النفط وليس غيره أنه حدَّد موعداً لخروجه وهو آخر الزمان، وأنه من امارات الساعة، (فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول اللهﷺ: لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن لايسكنها إلا أراذل الناس)(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أنه قال(لتظهرن معادن فى آخر الزمان يخرج إليها شرار الخلق)(٣) فهذه الرواية فيها تأكيد وفيها إشارة إلى زمن ظهور هذه المعادن وهو آخر الزمان، وان الذين يخرجون للعمل فيها هم شرار الخلق، وفى حديث الطبرانى جاء ذكر الذين يعملون فيها بتعبير (لايسكنها إلا أراذل الناس) يشير إلى اقامة المدن والمساكن الخاصة حول مناطق الآبار والمعامل لسكنى العاملين فيها مثل مدينة(الخفجى) وغيرها وهذا يدل على إستمرار العمل فى هذه المعادن اكتشافا وإستخراجا وتكريرا زمنا طويلا. وهذا لاينطبق الاعلى معدن البترول. كما أن قوله معادن بصيغة الجمع يدل على هذا لأن النفط ليس عنصراً واحداً فقط، وإنما هو عناصر متعددة وكلها مستخرجة من باطن الأرض فهو معادن.

حقا: إننا فى آخر الزمان، وهو عصر علو الأشرار الذى تعمقوا فيه فى البحار واستخرجوا من باطن الأرض كنوزها: البترول الذى زينوها وزخرفوها به، ونفذوا به من أقطار السماوات والأرض فتوهموا خادعين لأنفسهم أنهم قادرون عليها .

توبوا وارجعوا إلى خالقكم أيها الناس، وإلا فسيأتيكم بأس الله ليلا أو نهاراً فيجعلها حصيداً كأن لم تَغْنَ من قبل.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك. آمين.

---

(١) رواه أبو يعلى، قال الهيثمى رجاله ثقات / عن اتحاف الجماعة جـ٢ ص ١٨٣.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط / عن اتحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٢.

(٣) رواه عبد الرزاق فى مصنفه / عن اتحاف الجماعة جـ٢ ص ١٨٣.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

كتب المؤلف

١ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة .	ثلاث طبعات
٢ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين.	ثلاث طبعات
٣- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة.	ثلاث طبعات
٤ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية.	تحت الطبع
* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.	
٥- الأصول الإعتقادية للمعرفة في الإسلام.	طبعة واحدة
٦- الإسلام والعلم التجريبي.	طبعة واحدة
٧- استخلاف الإنسان في الأرض.	ثلاث طبعات
٨- قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة	طبعتان
٩- الإنسان والشيطان	ثلاث طبعات
١٠- مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان	ثلاث طبعات
١١- محاضرات في العقيدة الإسلامية	ثلاث طبعات
١٢- توفيق الحكيم لِمنْ أستمع وإلى من تحدث	طبعة واحدة
١٣- مقومات المجتمع المسلم	ثلاث طبعات
١٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى	طبعة واحدة
١٥- الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها	طبعة واحدة
١٦- التوحيد :- معرفة الله والعلم به	تحت الطبع
١٧- المدخل إلى العقيدة الإسلامية	تحت الطبع
١٨- حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح	تحت الطبع

«موسوعة أشراط الساعة»

١٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم.	طبعتان
٢٠- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى:- «المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة».	طبعة واحده

٢١- القيامة الصغري على الأبواب الجزء الثالث: «الأمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة» — طبعة واحده

٢٢- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع: «الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية» — طبعة واحده

٢٣- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس: «أحداث ماقبل المهدى عليه السلام» — تحت الطبع

٢٤- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس: «المسيح الدجال» — تحت الطبع

٢٥- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدى عليه السلام» — تحت الطبع

٢٦- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن: «الملحمة العظمى وفتح أوروبا». — تحت الطبع

٢٧ـ القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «يأجوج ومأجوج» — تحت الطبع

٢٨- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر: «نزول المسيح عليه السلام» — تحت الطبع

٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة» — تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

باسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠/ ٠٣- الأسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:

١- مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب/ ت:- ٥٧٥٦٤٢١.
- طريق النصر - مدينة نصر / ت :- ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.

٢- مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.

٣- مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام / ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الأسكندرية.

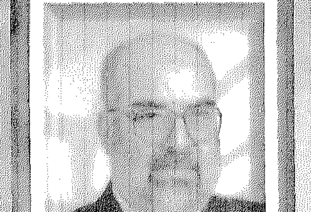
٤- معرض لونابارك - ش لاجيتيه - الإبراهيمية - الأسكندرية.

٥ ـ دار الدعوة ـ ١ ش منشا محرم بك/ ت :ـ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

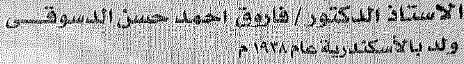
ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات







المؤلف



الاستاذ الدكتور / فاروق احمد حسن الدسوقي

ولد بالأسكندرية عام ١٩٣٨م

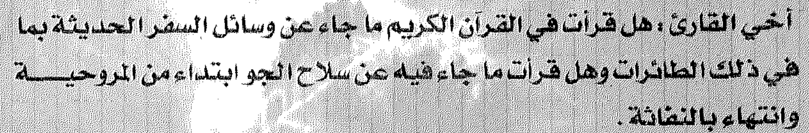
حصل على ماجستير الفلسفة الاسلامية من جامعة الاسكندرية بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع وتبادل الرسائل مع جامعات العالم.

حصل على دكتوراه العلوم الاسلامية قسم الفلسفة الاسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهره بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الاولى.

فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

عمل استاذ للعقيدة والثقافة الاسلامية بجامعتي الملك سعود وام القرى من عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م حتى عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

الكتاب



أخي القارئ: هل قرأت في القرآن الكريم ما جاء عن وسائل السفر الحديثة بما في ذلك الطائرات وهل قرأت ما جاء فيه عن سلاح الجو ابتداء من المروحية وانتهاء بالنفاثة.

وهل قرأت فيه عن الأساطيل البحرية بقطعها المتنوعة إبتداء من الغواصة حتى حاملة الطائرات؟ وهل تعلم أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد أ بكل مظاهر الحضارة المعاصرة مثل الكهرباء والبترول وجميع والأجه البصرية والقنوات التليفزيونية الفضائية وهل قرأت ما نزل في الاخير للبشرية عن التقدم الطبي والجراحي والهندسة الوراثية واستنساخ الكائن الحي؟!

وغير هذا كثير كثير من مظاهر التقدم العلمي والصناعي والعمراني ومع هذا كله، فأنت أخي القارئ تتلو هذه الآيات المخبرات بكل هذا، وتستمع اليها صباح مساء دون أن تعلم أنها تتحدث وتصف واقعنا الحضارى المعاصر فإذا قرأت هذا الكتاب الذي بين يديك وتيقنت أن الكتاب والسنة قد تضمنا كل ما تعيشه البشرية من مخترعات وصناعات قبل حدوثه بأربعة عشر قرنا كمل ايمانك بصحتها وترسخ يقينك بهما.

فإن لم يكن لهذا الكتاب من فائدة أو نفع الا إستكمال الايمان ورسوخ اليقين بالله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم، وهذا أعظم ما يمكن أن يجنيه انسان من فائدة مرجوه من أي كتاب يخطه بشر بيده فإذا علمت أخي القارئ أن كل هذا المخترعات ما هي إلا حجج بالغة وبراهين ساطعة علي أن القيامة الصغرى على الابواب فلك أن تتصور مدى الفائدة المرجوه منه.